مجلّة

المجمع الجزائري للّغة العربيّة

مجلة لغوية علمية محكمة تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربية

العدد 20 - 21 السنة الحادية عشرة صفر- ربيع الأول 1436- هـ الموافق
لـ ديسمبر 2014م - شعبان- رمضان 1436 هـ - الموافق لـ جوان 2015 م

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية

العدد 20 - 21 السنة الحادية عشرة:صفر- ربيع الأول 1436- هـ الموافق
لـ ديسمبر 2014م - شعبان- رمضان 1436 هـ - الموافق لـ جوان 2015 م

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية

مجلة لغوية علمية محكمة يصدرها المجمع الجزائري للغة العربية

المدير المسؤول

د. عبد الرحمن الحاج صالح

رئيس التحرير

عثمان شبوب

اللجنة العلمية

د. محمد صاري

د. أحمد حساني **د. التواتي بن التواتي**

د. بشير إبرير **د. عبد الجليل مرتاض**

عنوان المراسلة : 06 شارع العقيد بوقرة - الأبيار - الجزائر

البريد الالكتروني : aala@wissal.dz

هاتف : 213 021.23.07.90 الفاكس : 213 021.23.07.81

* المقالات التي ترد إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أولم تنشر
* كل باحث مسؤول عن آرائه

محتويات العدد

1 - دول المجامع اللغوية العربية وتحديث العمل المجمعي

أ.د. عبد الرحمن الحاج صالح.....9

2 - وظيفة البنية الإيقاعية في العمل الأدبي من منظور النقد العربي القديم

أ.د عبد القادر هني.....33

3 - البناء و النسج عند ابن خلدون – نحو تأصيل لنظرية (بناء الشعر).

د. الشيخ ولد سيدي عبد الله.....51

4 - نحو استثمار نظريات التعريف في صناعة معجمات لغير الناطقين بالعربية (قراءة في معجم فانيا عبد الرحيم الخاص بدروس اللغة العربية لغير الناطقين بها)

د.حميدي بن يوسف.....75

5 - رحلة ابن حمادوش الجزائري:تحقيق ونقد

د.محمد بن حجر.....117

6 - الجزائر في الشعر العماني الحديث المضمون و الأداء

د.حواس بري.....175

7 -جهود الأفراد و الجماعات في وضع معاجم مصطلحات الحاسوبيات في اللغة العربية.

أ.مسعودة بن النوي.....205

دور اتحاد المجامع اللغوية العربية وتحديث العمل المجمعي[1]

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح
رئيس المجمع الجزائري للغة العربية

1 -دور اتحاد المجامع

أنشئ اتحاد المجامع اللغوية العربية في عام 1391هـ (= 1971م) 1 لأهداف معينة دقيقة.

وقد جاء في النظام الأساسي لاتحاد المجامع فيما يخص هذه الأهداف ما يلي:

أ)-تنظيم الاتصال بين المجامع اللغوية العربية وتنسيق جهودها في الأمور المتصلة باللغة العربية وبتراثها اللغوي العلمي.

ب)- العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية العربية ونشرها.

---

1 - تمّ ذلك في منزل الدكتور طه حسين (كان رئيسا آنذاك لمجمع القاهرة) وحضر الاجتماع رئيس مجمع دمشق الدكتور حسني السبع والدكتور عبد الرزاق محي الدين رئيس مجمع بغداد والدكتور إبراهيم مدكور أمين مجمع القاهرة والدكتور عبد العزيز السيد عن جامعة الدول العربية. وكان اللقاء الثاني في بغداد في 1973. واللقاء الثالث في الجزائر في 1976 وقد شرفني أعضاء الاتحاد بالزيارة لمعهد العلوم اللسانية آنذاك.

قدم هذا البحث في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مارس 2015.

إن المادة الثانية تنص على العمل على توحيد المصطلحات ولهذا العمل أهمية كبيرة جدا تكاد لا تقاس بأي عمل آخر في هذه الصفة وهكذا كانت في نظر المؤسسين للاتحاد ولولا اهتمامكم الكبير بذلك لما جعلوا التوحيد والنشر في ثاني أهداف الاتحاد.

وكان الاتحاد يجمع آنذاك ثلاث مجامع: المصري والسوري والعراقي. وهي المجامع المؤسسة الأولى ونفخر بما بذلتْه من جهود جبّارة رائعة في خدمة اللغة العربية. والتحق بها مجمع عمّان ثم ظهرت مجامع أخرى في بعض البلدان العربية.

فتأسيس الاتحاد هو في الحقيقة حدث عظيم الخطورة بالنسبة للعصر الذي نعيش فيه والحالة الثقافية التي نحن عليها. وذلك لأن المجامع اللغوية قد كثر عددها في زماننا –وليس في ذلك أي عيب- وهي لذلك أحوج المؤسسات إلى وجود هيئة تتكفل بالتنسيق بينها ولاسيما في ميدان تهيئة اللغة كما سيأتي كصناعة المعاجم ووضع المصطلحات وصُنع الأرْصدة اللغوية للتعليم وغيرها. فهذا عمل جماعي في جوهره ويجب أن تسهم فيه كل المجامع ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بوجود هيئة عليا، كما قلنا، تشرف على هذا العمل وإلا كانت الفوضى وقد حصلت البلبلة بالفعل في استعمال المصطلحات كما هو الحال إلى يومنا هذا على الرغم من إنشاء هذا الاتحاد.

وقد تضاعفت خطورة هذا العمل في أيامنا أكثر فأكثر فعلى الرغم من كل ما بذلته جامعة الدول العربية ومنظمة الألكسو ومكتب تنسيق التعريب التابع لها وعلى الرغم مما نشر من المصطلحات التي سمّيت بالموحدة -وهي محاولة جيّدة- فلم نشعر إلى الآن بأي تقدم في هذا الميدان

أي في استعمال الناس السليم للموحَّد من المصطلحات. ولذلك نعتقد أن الاتحاد هو الهيئة الوحيدة التي يمكن أن يكون لها الحق والنفوذ اللازم لتحقيق بعض الشروط في العمل على التوحيد ونشر المصطلحات (وهذا لا يمنع أبدا من التعاون مع مكتب تنسيق التعريب وغيره من المؤسسات المتخصصة بل هو ضروري) وشرعية إشرافه على النشر مع التوحيد مبنية على كونه يمثل كل المجامع اللغوية العربية والمجمع اللغوي هو أعلى هيئة علمية في بلده في ميدان اللغة. والاتحاد بما أنه اتحاد وليس خاصًا ببلد فهو الهيئة الوحيدة التي يجب أن يعتمد عليها أولا وقبل كل شيء في إقرار المصطلح العلمي والوحيدة التي يرجع إليها في هذا الميدان وفي كل ما يخص اللغة واستعمالها الحقيقي.

مما ما سمي في البلدان الغربية «بالتهيئة اللغوية»(بالفرنسية: Aména-gement linguistique وبالانكليزية: Language Planning) فهو من عمل المجامع بصفة خاصة في جزء كبير منه ولا سيما ما يخص المصطلحات وقد تنشأ له المراكز المتخصصة في أوربا وكندا بالخصوص. ومن المؤسف جدا أن لا تعرف المجامع من ذلك إلا وضع المصطلح وتتجاهل تماما **التنميط** (لما دخل في الاستعمال منه) أي التوحيد بمقاييس موضوعية. فالتنميط وهو ترجمة لكلمة- Normalisation - [2] وهو ميدان علمي تشريعي لا يمكن أن تقوم به في أحسن حال فيما يخص الصناعات إلا هيئة حكومية مؤهلة قانونيا. وفيما يخص المصطلحات العلمية فهيئة تكون بالنسبة للوطن العربي فوق كل المجامع **من الجانب التشريعي**. ولا يمكن أن يتحقق هذا إلا بالاعتراف لها رسميا بهذا الحق في كل الدول العربية بناء على مشاركة

2 - وهو غير التنميط للمنتجات مع احتياج هذا العمل إلى توحيد التسمية للنوع من المنتج.

كلٍّ منها في التهيئة اللغوية وفي إقرار الألفاظ الجديدة. ولا يمكن أن يقوم بمثل ذلك إلا اتحاد المجامع.

هذا ويمكن أن يقوم الاتحاد أيضا، زيادة على إقرار ما تم تنميطه علميا في ميدان المصطلح بالإقرار لما سوف يتم تنميطه من لغة التخاطب **وجعلها أقرب ما يمكن من اللغة الفصحى** مع مراعاة قوانين التخفيف في الأداء وجعلها بذلك تستجيب لما يتطلبه التخاطب اليومي العفوي من عدم الكُلفة [3] كما يمكن أن يتكفل بإقرار ما يجب أن يعلم الطفل من الرصيد اللغوي الوظيفي وغير ذلك. وسنحاول أن نشرح كل هذا فيما يلي إن شاء الله.

أما فيما يخص التنسيق لأعمال المجامع فهذا يقتضي شيئين: التخطيط من جهة وتوسيع آفاق العمل مع توحيد المنهجية من جهة أخرى.

1) التخطيط لأعمال المجامع في ميادين معينة من التهيئة اللغوية

والذي يُلزمه التخطيط لوضع المصطلحات وغيره من المشاريع الكبرى هو توزيع الأعمال وإيتاء الفرصة لكل مجمع أن يتخصص في بعض الميادين بحسب رغبته وإمكاناته. كأن يرغب أحد المجامع أن يتخصص، زيادة على مهامه العادية، بالرصد المنتظم للاستعمال اللغوي الحقيقي كرصد ما دخل في الاستعمال العربي من المصطلحات –واكتشاف ما لم يدخل منها وما لم يُقبل عليه الناس. ثم إجراء البحوث على هذه المعطيات الموضوعية ويلجأ في ذلك إلى خبراء يعملون تحت إشراف لجنة من أعضاء المجمع في

3 - انظر ما دعونا إليه من استخراج أصول الأداء في التخاطب اليومي في بحثنا المشار إليه.

كل مجمع. أو رصد آخر لاستعمال ألفاظ الحياة العامة كما فعل المجمع الأردني- وكالتخصص في وضع المصطلحات في ميادين معينة من العلوم. وهذا جدّ ضروري ومفيد لأنه جماعي ومنتظم فيسهل العمل وتتحقق به سرعة الإنجاز مع الدقة والموضوعية.

كما يقتضي التخطيط أيضا التفادي لتكرار العمل الواحد فيكون ازدواج غير مفيد كما هو الحال الآن في بعض المشاريع وفي وضع المصطلحات خاصة ثم إن القيام بأعمال طويلة النفس تتطلبها المشاريع الكبيرة التي يتعذر على البلد الواحد أن يقوم بها لضخامتها فلا بد من إسهام كل المجامع في انجازها بحسب إمكاناتهم.

2) توسيع ميادين العمل وتوحيد المنهجية فيما يخص الوضع والتوحيد

لقد انحصر عمل المجامع غالبا في ميدانين وهما وضع المصطلحات وتحرير المعاجم من جهة وإحياء التراث من جهة أخرى وأضاف إلى ذلك مجمع القاهرة الاهتمام باللهجات وتفصيح العامية (وما يترتب على ذلك من إثبات الأصول).

وقد سبق أن ذكرنا بعض الميادين مثل الرَّصْد لاستعمال المصطلحات: لمعرفة ما يوجد منها بالفعل في الاستعمال ومدى شيوعها. وذكرنا أيضا ميدان استعمال ألفاظ الحياة العامة من جهة واستعمال الطفل العربي واحتياجه للغة معينة وتحديد الرصيد اللغوي الذي يحتاج إليه مستخرجا من الواقع الملموس مع سدّ الثغرات الكثيرة. ويمكن أن يهتم أيضا بالبحث عن أسباب شيوع اللفظة من جهة وعدم إقبال الناس على بعض ما وضع من الألفاظ من جهة أخرى .

وكل هذا يلزم منه النزول إلى ميدان الاستعمال للبحث عن الأسباب بكيفية موضوعية.

فأما منهجية العمل فأساسها هو الرصْد الدائم للاستعمال ولا ندري لماذا صارت المجامع بعد ولوع مجمع دمشق في زمان السيد كُرد عليّ بالاتصال بجماهير الناطقين المثقفين. أما الآن فلا نعرف شيئا من ذلك قد حصل ولا تحاول المجامع الاتصال بالجمهور من الناطقين المهتمين باللغة أبدا. مع أن وضع اللغة أمر تشريعي بهم المستعملين للغة. فهم، في آخر المطاف، الذين يرجع إليهم القرار في مصير اللفظ وهم المعنيون بالأمر بالدرجة الأولى ولا تستطيع المجامع أن تفرض عليهم شيئا مما يصدر عنها هي وحدها. فهذه سنة الله في أرضه أن يقبل الناس على لفظ وأن يرفضوا لفظا آخر. ولا بد للعلماء أن يبحثوا عن الأسباب. واستمر عمل المجامع على اعتقاد راسخ في الأذهان وهو ضرورة إصابة أعضاء المجمع في اختيارهم للفظ وإقراره لأنهم من أهل الاختصاص ليس إلا. وهذا لا يكفي لأنهم قلة فلا يكون اختيارهم بالضرورة مماثلا لاختيار الجمهور من أهل الاختصاص[4].

أما ما يضعه الأساتذة والمؤلفون من المصطلحات وما يستعملونه من ذلك في كتبهم ومقالاتهم فينبغي أن يقوم كل مجمع في بلده بمسح ما يصدر من هذه النصوص (البحوث العلمية والتقنية) ويقدّر لكل مصطلح جديد مدى شيوعه وتردده في الاستعمال الكتابي والشفاهي.

---

4 - وقد أسس مكتب تنسيق التعريب لحل مشكل توحيد المصطلحات ولا يمكن أن يفرض ما يوجده بمجرد إقرار المؤتمرات للقوائم من المصطلحات. إلا أن عمله مفيد جدا ويمكن أن يساعد الاتحاد بشرط التحديث لمنهجية العمل.

ويجب أن لا تقف المجامع عند حدّ الوضع وإقرار المصطلح فلابد من نشره بكيفية ناجعة (ليصل إلى كل مؤسسة علمية). لأن ما مضى من التجربة في هذا الميدان يدل على أن ما ينشر في قوائم أو على شكل معاجم يبقى غالبا حبرًا على ورق. ولهذا سيكون **دور اتحاد المجامع في ذلك جوهريا** إذ سيكون المعجم من المصطلحات الذي يقره الاتحاد **معجما موحدا رسميا** تكون شرعيته صادرة من إسهام كل مجمع في إقراره ويجب أن لا يتم ذلك إلا بعد **استفتاء الاتحاد لأهل الاختصاص** لمجموع ما يحتوي عليه المعجم[5] بتعريفه للجمهور بوسائل الإعلام المرئية والانترنت خاصة. ثم لا بد بعد ذلك لكي يتم شيوع المصطلح من تدخل كل الحكومات وذلك:

1 - **بتبّني كل حكومة للمعجم بمرسوم** (بكيفية دورية بحسب ما يستلزم من التحديث الدائم).

2 - وبالتالي **جعله المرجع الأساسي للتعليم** ووسائل الإعلام وكل القطاعات العامة والخاصة.

ويجب أن نؤكد مرة أخرى أن ما يقره الاتحاد **لا يفرض على الأمة** بل أكثرية الأمة هي التي تفرضه على أفرادها ومؤسساتها لأنها الأكثرية وذلك بعد إعطائها الفرصة أن تختار منها ما تشاء. فالمبدأ القائل بأن اللغة لا تُفرض ولا يُقبل عليها الناس إلا برضا أكثرهم هو الذي يجب احترامه لضمان شيوع المصطلح.

---

5 - ويطالبون بالرأي في الإقرار وذكر المبررات. ولابد من دراسة النتائج وإقرار ما ثبت فيه الإجماع أو الأكثرية الغالبة.

فهذا العمل العلمي اللغوي **التشريعي** بالدرجة الأولى لا مناص منه لتنميط المصطلحات ومن ثم لتوحيدها في الوضع والاستعمال **كما يريدها أكثر الناطقين بها.**

أما إسهام الاتحاد في ميدان صناعة المعاجم العامة والخاصة فيمكن أن يشرف على تأليف معاجم الحياة العامة يقوم بصنعه بالتحريات الميدانية في كل بلد عربي كل واحد من المجامع الراغبة في ذلك. كما يمكن أن يشرف على تحديث الرصيد اللغوي بنفس الطريقة التي تم ضبطه.

4) المعجم الجامع للغة العربية والمعجم التاريخي:ضرورة الرجوع فيهما إلى الذخيرة العربية

إن هذين المعجمين لا يمكن أن يتحقق تحريرهما إلا بالاعتماد على أكبر مدونة نصية تفوق كل ما يوجد الآن من المدونات إذ ستجمع التراث العربي كله من جهة وأهم ما ينشر باستمرار من الآثار الأدبية والعلمية وما يخص الحياة اليومية من جهة أخرى. وهذا يتمثل تماما في مشروع الذخيرة العربية الذي صار تابعا الآن لمؤسسة من مؤسسات جامعة الدول العربية أنشئت خصيصا لهذا. وهذا المشروع هو الذي يمكن أن يفي بشروط المدونة المناسبة لهذين المعجمين. فضخامة مثل هذه المدونة واستحالة أن يقوم بإنجازها بلد واحد جعل المسؤولين عنها يلجأون إلى جامعة الدول العربية ليكون العمل مشتركا بين العدد الكبير من المؤسسات العلمية في الوطن العربي. وهكذا كان فقد استجابت ثماني عشرة دولة للمشاركة في الإنجاز[6]. وبدأت بعضها في العمل وقطعت أشواطا فيه أربع دول هي

6 - هذا ويحتاج المشروع بعد صدور نظامه الأساسي أن توقع عليه ما لا يقل عن سبع دول.

الأردن (على رأسها) والجزائر ولبنان والسودان. وسيلتزم الباقي من الدول بالإسهام، إذا رغبت في ذلك، بمصادقتها على النظام الأساسي رسميا ونتمنى أن يتم ذلك في القريب العاجل.

ويشرف على الذخيرة ما يسمى بالهيئة العليا ومقرها هو في الجزائر العاصمة. وقد تم تحديد الخلية الدنيا النموذجية التي ستتكوّن منها فرق العمل في كل مؤسسة. ففيها من 3 إلى 10 من التقنيين المكلفين بالتدوين الرقمي للنصوص وعلى رأس كل الخلايا في المؤسسة مشرف لغوي ومشرف حاسوبي وفريق من المصححين. وتحتاج كل خلية من المؤسسات إلى عدد من الأجهزة الحاسوبية من نوع «الميكرو».

ولا نتصور أن يتم أي عمل علمي في اللغة إلا بالاعتماد على هذه الذخيرة التي هي **مدونة أو قاعدة من المعطيات المحوسبة تستطيع بالحاسوب أن تمسح الملايين من النصوص** في زمان وجيز وإمكان الاستجابة لسؤال يلقيه عليها الباحث مثل: هل هذه الكلمة موجودة في الكتب الخاصة بالعلم الفلاني وفي هذا العصر وفيما مضى وغير هذا مما يخص أحوال ورود الكلمة في الملايين من النصوص. فيستحيل على الباحث الأعزل أن يقوم بمثل هذا المسح المهول ولا يتيّسر ذلك إلا على الحاسوب وسنعود إلى هذا فيما يلي.

وتسعى الهيئة العليا للذخيرة الآن إلى إيجاد ما يسمى «بمحركات البحث» وهي برمجيات حاسوبية تمكن من البحث عن أي شيء يريده الباحث مما تحتوي عليه النصوص وذلك على شكل أسئلة تلقى على الذخيرة، كما قلنا، منها السؤال الذي مر ذكره عن وجود كلمة في فضاء معين من الذخيرة وما يرتبط بذلك. وهذا جدّ ضروري وقد اكتسبت الهيئة

منذ زمان قليل بعضًا منها. كما تسعى على الحصول على قارئ ضوئي ناجع يتجاوز الأداء الحالي للقارئات الموجودة في السوق (وأداؤها لا يتجاوز 70 % في التعرف على الحروف العربية). وذلك بتنظيم بحوث على مستوى اللغة العربية بالتعاون مع المؤسسات المعنية بذلك. ولابد من اللجوء الآن إلى ما يسمى بال»رقمنة» اليدوية غير الآلية إلى أن يتم إعداد القارئ المنشود.

وأما دور الاتحاد في ذلك في صنع المعجميين فهو **الإشراف العلمي من الجانب اللغوي** وجانب تاريخ التراث وتاريخ اللغة العربية إذ هو الجامع لكل المجامع اللغوية العربية.

5) قصور اتحاد المجامع فيما مضى

كانت مبادرة الرؤساء للمجامع العربية الثلاثة الأولى الخاصة بإنشاء اتحاد المجامع من أروع ومن أعظم المبادرات التي صدرت من الأمة العربية ومن مسؤوليها المجمعيين جزاهم الله خيرا. فما هو أروع من جمع الشتات في العمل وجعله عملا جماعيا يقتضيه العصر الحاضر وما هو أنفع من إزالة البلبلة وتلافي التكرار في أي عمل كان ولا سيما ما ينفع الأمة كلها.

وقد تفطنوا إلى ثغرة مهولة وخطيرة ظهرت لا بتعدد المجامع فهذا لا يشكو منه الكثير من المجمعيين بل كان النقص في تجاهل كل مجمع لما يقوم به الآخر وعدم مبالاة كل مجمع بذلك وأخطر من ذلك أن يجهل المجمعيون ما هو موجود في استعمال غير استعمال بلدهم من المصطلحات متناسين بأن اللغة العربية ليست لغة بلد واحد بل هي لغة 22 دولة.

إن أهم هدف رسموه –رحمهم الله- هو التنسيق لأعمال المجامع ومن ثم نصل إلى الكثير من الفوائد مع تلافي الفوضى ونخص بالذكر توحيد

المصطلحات. ثم إن المشرّع الحقيقي للغة هم الناطقون بها والمتخصصون منهم في اللغة كالعلماء والمثقفين عامة وهم الممثلون لها. فاللغة هي من المؤسسات الاجتماعية الأساسية فلابد أن يقع فيها التشريع كما يقع ذلك في النظم العمومية كاستفتاء الشعب في ما يعرض عليه من القوانين وكإقرار البرلمان لها. وأحق المؤسسات المشرِّعة في اللغة هي المجامع اللغوية وأمثل ممثل لها هو اتحاد المجامع فإذا لم يتمتع بهذا الحق فلا فائدة في عمله.

ومع ذلك فإن هذا الإنشاء التاريخي للإتحاد لم يتلُه أي تحقيق للأهداف التي رُسمت له بعد وفاة الدكتور طه حسين ثم وفاة زميليه وقد تواصلت الاجتماعات لأعضاء الاتحاد مع ذلك في كل سنة!

نستخلص من كل هذا أن لاتحاد المجامع اللغوية دورًا مهما جدا بالنسبة لمصير اللغة العربية ومستقبلها. وأهم ما في ذلك هو كما قلت هذا التنسيق لأعمال المجامع خاصة في التهيئة اللغوية وهذا يقتضي شيئين أساسيين:

القيام بتخطيط العمل الجماعي وتخصص كل مجمع في بعض الميادين بحسب رغبة كل واحد منها واستعداداته.

وأهم هذه الأعمال (التي سيشرف عليها الاتحاد) هي كالتالي:

1 - وضع المصطلحات بمنهجية تتصف بالشمولية ولا مناص من اللجوء إلى مدونة من أكبر المدونات كالذخيرة العربية.

2 - الرصد لاستعمال اللغة في كل بلد عربي وخاصة المصطلحات بالطريقة التي عُرفت عند اللغويين المحدثين.

3 - إقرار الاتحاد وحده للمصطلحات بعد النظر فيها على مستوى كل مجمع والاستفتاء الرسمي لكل أهل الاختصاص وجمهور المثقفين الذين لهم اهتمام باللغة (بالتلفزة والانترنت) وتبني الدول ومؤسساتها لها رسميا كمرجع في التعليم وميدان الإعلام.

4 - الإشراف على وضع المعاجم العامة والخاصة ومنها المعجم الجامع للغة العربية والمعجم التاريخي والمعاجم الموحّدة للمصطلحات وألفاظ الحياة العامة وتحديث الرصيد اللغوي كل ذلك بالاعتماد على الذخيرة العربية كمصدر موثوق للمعطيات وكأعظم مدونة لاستعمال العربية قديما وحديثا ومستقبلا.

5 - العمل على تعميم الموحّد من المصطلحات التي تم إقرارها بعد توحيدها وتبنى الدول لها وتسهيل دخولها في الاستعمال بجميع الوسائل الملائمة لذلك مثل التوزيع المجاني لمعاجم المصطلحات على جميع المؤسسات وإدخالها في الانترنت وحث المؤلفين على استعمالها في تآليفهم والاستعانة على التعميم أيضا بوسائل الإعلام خاصة.

6 - الإسهام في الإشراف والمتابعة ثم الاستثمار لكل عمل له صلة باللغة العربية مثل الذخيرة العربية ومثل مناهج وطرائق تعليم العربية وتعليم الفصحى المنطوقة بالاعتماد على محصول البحث العلمي الحديث في علوم اللسان وتعليم اللغات وغير ذلك.

7 - الحث على ألا تترك السيادة التامة للغة الأجنبية في تعليم العلوم والتكنولوجية في مستوى التعليم العالي والإبعاد التام للغة العربية إذ ستتضرّر لغتنا بهذا الابتعاد من العلوم لأنها ستصير لغة لا تنقل العلوم الحديثة في طي نصوصها ولا يطلبها الناس لهذا السبب.

2 - تحديث وسائل العمل المجمعي

قبل أن ندخل في الموضوع الثاني الفرعي لهذا البحث يحسن بنا أن ندلى بملاحظة مهمة جدا :

إن الوضع للمصطلحات العلمية والتقنية عند العرب لا يشبه كثيرا ما يقوم به الآن الباحثون الغربيون لا في المنهج ولا في الوسائل التي يستعينون بها في هذا الميدان. وأول سبب لهذا هو لأننا -معشر العرب- لا نخترع ولا نكتشف ولا نقيم النظريات العلمية في الوقت الحاضر ومنذ عدّة قرون إلا بكمية صغيرة لا اعتبار لها ويتراءى ذلك في منح جائزة نوبل العلمية للعرب فهو عدد ضئيل جدا. كل هذا تفسره أسباب تاريخية اجتماعية واقتصادية وحضارية وهو موضوع آخر لن نتطرق إليه ههنا. ويترتب على ذلك أمر يخص اللغة والمصطلحات فالواضع للمصطلح هو عادةً الشخص الذي وضع أو صنع أو اخترع الشيء الذي وضع له مصطلح. وهذا أمر طبيعي وشامل – فالعرب عند ازدهار حضارتهم تركوا مصطلحات تعد بالآلاف ورثها بلفظها احيانا كثيرة الغربيون أما الآن فلابد أن يكون لنا مصطلحات بلغتنا لكسب العلوم المنتسبة إليها. فأما عملنا في ذلك فهو ترجمة للمفهوم العلمي المعبر عنه بلغة أخرى إلى العربية أو نقله إلى العربية بطريقة أخرى. وهذا انفردنا به في وقتنا الحاضر وكل الأمم النامية (وبعض الأمم لم تشع لغاتهم مثل اليونانية والبلغارية وغيرهما).

الاستعمال: منه وإليه [7]: وهو أهم جانب من اللغة ولا يهتم به لغويونا كما يجب.

إن النظرة إلى اللغة لم تكن يومًا من الأيام عند جميع اللغويين والفلاسفة وغيرهم إلا ذات جانبين: اللغة في حدّ ذاتها كنظام منسجم يتألّف أكثره من الأدلة المتواضع عليه عندهم وما تحققه كأداة للتواصل والتخاطب وهو الاستعمال لهذا الغرض. وهما جانبان جدّ مختلفين إذ إن اللغة تخضع لقوانين غير القوانين التي يخضع لها الاستعمال. فذاك نظام من الرموز الصوتية أو الخطية متواضع عليه ووضع اجتماعي بالتالي وهذا تعامل الناطقين باللغة كأداة فلقواعد اللغة كنظام جوهر غير جوهر قوانين الاستعمال لأن المستعمل يؤثر فيما يستعمله ويغيره وهو إنسان ثم إن قواه العقلية والجسدية محدودة فلا يمكن أن تتجاوز مستوى معينا. ولذلك لا يستطيع الناطق أن يلم بكل إمكانات اللغة وأن يتعامل بمئات الآلاف من الوحدات اللغوية والملايين من التراكيب الممكنة التي يحتملها النحو فإن ذاكرته لا تستطيع ذلك وقدرته على التأدية الفيزيولوجية للغة جد محدودة أيضا ثم فوق كل هذا فإن الإنسان يخطئ فيمكن أن يخطئ في كل عمل يقوم به مهما كان وفي تأديته للألفاظ في ذاتها لأنه جهاز فيزيولوجي.

فإن الاستعمال للغة يتميز عن اللغة بكونه فعلا محكما يقوم به الإنسان فالكلام الذي هو فعل المتكلم وكذلك هو الخطاب يتراءى فيهما شخصية المتكلم بإدخاله في كلامه ما يتم له من اختيار العبارات وتغييرها وليس في النظام اللغوي شيء من ذلك لأنه مجرد أداة. والخطاب هو دائما

---

7 - الاستعمال كغاية لوضع المصطلحات وللنظر في اللغة عامة والاستعمال كمنبع للمعطيات اللغوية ولا يفكر الكثير إلا في الأول.

مؤثر في المخاطب بإرادة المتكلم وكل عمل فهو مُكلِّف يحتاج إلى بَذْل جهود عضلية وعصيبة. فإذا تجاوز ذلك ما يُطِيقه الإنسان أو يقل احتماله له ولو بقدر قليل. فيميل العامل وهو المتكلم ههنا أن يُقلل من الجهود قدر الإمكان وهذه سنة الله أن يقتصد العامل بترك الجهود التي هي زائدة على اللازم. ويخطئ كذلك فيما يخص معانيها فقد يحدث كثيرًا أن يخلط بين لفظ وآخر.

وكل هذا الذي فُطر عليه الإنسان من الخطأ فيما يعمل هو السبب الرئيسي في ظاهرة لغوية وهو التحول للغة عبر الزمان إلى لغة أخرى مهما قربت إحداهما من الأخرى. فللمستعمل تأثير في اللغة والعمل بها يلزم منه أن يصيب وأن يخطئ . وحاول اللغويون الغربيون حينئذ أن يكشفوا عن الأطوار التي مرت عليها - مثلا اللاتينية- حتى صارت هي الاسبانية أو الفرنسية أو الإيطالية أو لهجاتها وغيرها وأن يكشفوا عن سبب تحوّل وأسرار التحول الصوتي الفيزيولوجي عامة. واستنبطوا من ذلك قواعد التحوّل إذا اطّرد في كل أنواع الحرف وهكذا.

فالاستعمال يفتّ في ذراع للغة (في نظامها خاصة) ولهذا السبب يتم الاقتصاد في الاستعانة بها بالحذف أو القلب لكل ما ليس ضروريا للفهم ويُختصر الكلام بذلك كما تختصر الحركات العضوية في تأدية الحروف وقد يؤدي ذلك إلى المس بنظام اللغة. فتسقط عند الفرد أولا ثم عند الأكثر حركات الإعراب أو يتم إضعافها خصوصا إذا اكتفى الكلام في التفاهم بما يدخل عليه من حروف المعاني التي قد تعين على التمييز.

ووُضِع النحو- في كل لغة- لضبط الضوابط التي تسير عليها اللغة. للمحافظة عليها وإيقاف التحول للغة وتغيير نظامها الذي يصيبها (في

المنطوق منها أكثر من المكتوب) فتصير بذلك مع طول الزمان لغة مغايرة للأولى قائمة بنفسها.

وأردنا بهذا الكلام عن الخطاب والتحول اللغوي الزماني (وليس التطور بمعنى الارتقاء ههنا) **أن نوضح الفرق الكبير العميق بين نظام اللغة وبين اللجوء إليه كأداة تواصل**. فعلى الرغم من اتفاق الناس مدة قرون على وجود فرق بينهما فقد لاحظنا ولاحظ الكثير أن ذلك قد صار أمرًا منسيا كأن اللغة عند أكثر اللغويين هي الأوضاع التي تواضع عليه الناطقون بما في ذلك المفردات والقواعد النحوية. وكل يكرّر مع ذلك أنها أداة للتواصل ولا يفكرون في أنها تخضع بهذا السبب نفسه لقوانين أخرى لا دَخْلَ للوضع والاصطلاح في ذلك لأنه ميدان آخر وهو الاستعمال. وأعتقد أن السبب الرئيسي في عدم الالتفات إلى الاستعمال هو عدم اهتمام العلماء العرب في زماننا بالنظر فيه إذ المهم عندهم هو الوضع بجميع وجوهه متناسين في ذلك أن تدوين الأحداث هو شرط أساسي للموضوعية. وبالتالي في تدوينه وجمعه أي كل المسموع. ونستغرب أن لا يحصل مثل هذا منهم وقد لجأ الغربيون منذ زمان في صناعة معاجمهم إلى التدوين الواسع جدا لاستعمال لغاتهم أي إلى الجمع لمئات الآلاف من النصوص. ولعل الذي أوقف المجمعيين أن يخوضوا هذا الميدان وما يترتب عليه من العمل التدويني هو الضخامة الهائلة التي تتصف بها النصوص الحديثة والتراثية العربية فلم يجرؤ أي مجمع على خوض هذا التدوين المرعب.

ومن أسباب ذلك أيضا هو انقراض ما كان موجودا عند علمائنا الأولين من تضافر الجهود بينهم في جمع كلام العرب ومنه الشعر- وقد يكاد كل شاعر عربي يكون له ديوان كامل ومثل هذا الجمع لا يمكن أن يقوم به

الأفراد فمثل هذا العمل لا يكون إلا جماعيا وهكذا كان الأمر في القديم فقد تكونت شبكة كبيرة من النحويين المحققين واللغويين الرواة- للسماع من الموثوق بعربية وتدوين كل ما يسمعونه.

فهذا الذي نقوله تقاس صحته بما وصل إلينا من القديم من النصوص فهو ضخم جدا ولا أعتقد أن تكون أمة بلغت مُدوّنتها هذا الحجم العجيب. أما معاصرونا في المشرق والمغرب على السواء فهالهم الأمر كأفراد واستعظموا عمل جمع النصوص اقتناعا منهم أنه مستحيل وقليل الفائدة على الرغم من وجود ما كان يمكن أن يستعينوا به من أجهزة حديثة. كالحاسوب في جميع هذه الأعمال التي يعجز عن تحقيقها الأفراد.

وكان لنا الشرف أن دعونا (المؤلف وزميلان له تونسي ومغربي[8]) المسؤولين السياسيين في المغرب العربي في ذلك الوقت إلى تدوين لغة الطفل العربي ولغة محيطه لاستخراج اللغة الحية التي يحتاج إليها الطفل في تعلمه بإثراء لغته واختيار الأكثر استعمالا. وسميناه بالرصيد اللغوي العربي (في مستوى المغرب أولا ثم قررت جامعة الدول العربية القيام بمثل ذلك)[9].

8 - هما الأستاذ أحمد العائد والأستاذ الأخضر غزال.

9 - وكان أنقص لتدخل بعض من كان له نقص في تصور الثقافة وماهية اللغة فأصر في حذف كل لفظة لا يعرفها هو فتقلص الجانب المفيد من الرصيد إذ لم يعط بهذا التدخل إلا المفاهيم القديمة وترك كل ما هو حديث ويمكن أن يعود إلى ما كان عليه في الأول.

ولولا إجماع الناس والمسؤولين على العمل الجماعي المشترك وتنظيم الفرق من المتخصصين لشتى الأغراض (كالتقنية مثلا) لما تم هذا العمل المفيد.[10]

وقد لجأنا إلى الحاسوب بالشكل الذي كان له في ذلك الوقت (ذاكرة صغيرة ولكنها كافية) ومع ذلك فلم يكن لهذا الرصيد التأثير المتوقع فيه لعدم اهتمام المسؤولين بإدخاله في التعليم (اللهم إلا في الجزائر).

فالذي كان يهمنا في هذا البحث قبل كل شيء هو أن نجعل تحت تصرّف الطفل العربي ما يجب أن يعرفه في تعلمه في هذه السن من عمره مما يحتاج إليه في جميع ظروف التواصل (وهو دائما الأكثر استعمالا) ثم الألفاظ الحديثة للمسمّى المُحْدَث علمية أو غير علمية ولذلك اتجهنا إلى الاستعمال الفعلي للطفل للغة والاطلاع، بعد ذلك على صفاتها وعلى شيوع مفرداتها حسب البيئات المختلفة التي يعرفها (كالأُسرة ويكثر التخاطب معها و المدرسة والشارع) ثم معرفة اللغة الفصحى التي بقيت على لسانه ولو محرفة وعلى ألسنة الأولياء الأساسية ودخولها في لغة الطفل. وإذا ترادفت الألفاظ اخترنا للرصيد أعربها وأكثرها شيوعا في كل بلد أو أكثرها ثم نبّهنا على اطراد بعضها في كل واحد من البلدان الثلاث. ولم تكن ثغرة في استعمال الطفل إلا سددناها بالبحث عن المقابل العربي وإذا لم يوجد لجأنا إلى التوليد بالطرق المعروفة.

وأما الإحصاء الذي بنى عليه هذا الرصيد فما كان يمكن أن يتم إلا بالحاسوب. أما في الأيام التي نحن فيها (في بداية القرن الواحد والعشرين) فحاجتنا إلى الحاسوب هي أعظم وأمسّ لأن النصوص التي جمعت

10 - ولبعض السياسيين في ذلك دور مشرف جدا أذكر منهم الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي.

وستجمع تضّخمت أكثر فأكثر وزاد على ذلك التطور التكنولوجي العجيب الشديد السرعة الذي نشاهده (الآن) فقد صارت الذاكرة قادرة أن تحتوي في الحواسيب الكبار (من نوع الخادم) على ما يفوق العدد الكبير من المجلدات. وهذه الكثرة المخيفة لا يمكن أن تعامل إلا بسرعة من الآلة المعالجة تفوق كل ما هو موجود من سرعة الآلات وتقاس بالملايير من النصوص ويمكن مسحها بأقل من ساعة.

إن الحاسوب في الواقع هو أقرب إلى الشبان منه إلى الشيوخ وأشد جاذبية لهم وعندهم ونخصّ بالذكر الشيوخ من العلماء الذين تعوّدوا على تصفح القواميس بأيديهم وقد لاحظ أكثر من أب أو جد الحماس الذي يهز ابنه أو حفيده عند استعماله للحاسوب.

فهذا شيء طبيعي إلا أن الذي ليس طبيعيا هو أن يمتنع الباحث الكهل من اللجوء إلى الحاسوب (وإلى الأجهزة التي تسهل الاطلاع والكشف من ملايين النصوص كما تسهل الفهم أو الاتصال أو التعليم عامة) لا لشيء إلا لعدم استئناسه به إذ لم نعط الفرصة لتعلم كيفية استعمالها).

اللغة مرجعها ومصدرها الاستعمال

عدم انتباههم إلى أهمية الوسائل الحديثة جعل اللغويين في الشرق والغرب في وقتنا هذا يواصلون أعمالهم فيما يخص اللغة العربية (من وضع المصطلحات إلى وضع المعاجم) دون أي تجديد. وأما العلماء العرب الأولون المبدعون فإن لم يكن لهم ما يشبه الحاسوب فإن عملهم الجماعي المستمر (لأكثر من 80 سنة) الواسع النطاق قد كفاهم لحصر كل ما كان يروى في زمانهم من الشعر وأن يحصر سيبويه كل ما كان جاريا من التراكيب

القليلة أو الكثيرة مع تسجيله لهذه الكثرة أو القلة وكل ما سمعه بالفعل مع علماء آخرين طول حياته. فكل هؤلاء كانوا مقتنعين أن الاستعمال هو ما يجب هو وحده أن يرجع إليه كمصدر موثوق خصوصا ما تلقى سماعا مباشرة بدون واسطة أو عن طريق المئات من الرواة الثقات. فقد قنّن هؤلاء في أقدم العصور ما يخضع له الصحيح من الروايات (فهو أن تصدر من عدة جهات مع التوافق التام).

فليس للغة مصدر آخر يرجع إليه وتُؤخذ منه إلا استعمال الناطقين بها وهي معطيات اللغة (وهو المسموع في القديم11)كما أن العلوم ليس لها مصدر آخر غير المعطيات التي يلتقطها صاحب كل علم بالمشاهدة المباشرة. وكل نوع من المعطيات تسجل وتدون فيصير مرجعا للعلم وخاصة مدونة اللغة فلولا تدوين العلماء الأولين لمعطيات اللغة بالسماع إلى العرب لما تم ما وضعوه من التحليل الذي انفردوا به هم وحدهم.

إن لكل ميدان علمي وتكنولوجي عادي في زماننا استعمالا لمصطلحاته بالعربية حقيقيًا وهو مجموع النصوص التي تطرقت إلى هذا الميدان أو أحد فروعه. وهذا حاصل على الرغم من غياب العربية في تعليم العلوم في مستوى الجامعة – وهو ظلم شديد لها ولأصحابها فينبغي أن تجمع هذه النصوص بالنسبة لكل ميدان على حدة. ولابد لذلك من وضع برمجيات يمكن بها استحضار ما نشاء مما جاء فيها ثم استغلال ما نطلبه مما تحتوى عليه.

---

11 - الاستعمال للعربية مسموعا كان أم مكتوبا فهو واحد مع الفوارق التي تميز المنطوق من المكتوب ما دامت الفصحى هي لغة الاستعمال.

والمعروف عن الحاسوب أنه يمكنه أن يقوم بعدة وظائف بالنسبة للغة فيمكن أن يستخرج من المدونة قوائم خاصة بكل نوع من الألفاظ كالمرادفات والمشترك أو قوائم لمثل المواد الأصلية والصيغ وغير ذلك كثير.

أما المدونة للاستعمال العربى الشاملة للعلم الواحد ولمجموع البلدان العربية فلا بدّ من استخراج تردد كل عنصر بالنسبة لمجموعها (كم مرة ورد في كل النصوص وبالنسبة لكل إقليم جغرافي). وأهم من هذا استخراج السياقات التي ظهرت فيها الوحدة. فيمكن على ذلك معرفة ترددها ويمكن تحديد المعاني للكلمة الواحدة بحسب السياقات. وهذا لا يُستغنى عنه أبدا لأنه الوسيلة الوحيدة التي نستنبط بها المعنى المقصود بالفعل بكيفية موضوعية لا ذاتية فيها إطلاقا. ونستغرب ههنا من سلوك من نفى الفوائد التي يمكن أن نستفيدها من الذخيرة العربية – وهي مدونة محوسبة تحتوي على كل التراث تقريبًا – لا يمكن أن نستغني عنها في صنع مثل المعجم التاريخي خاصة.

فيا ترى كيف سيتتبع الباحث تطور المعاني دون أن يتتبع كل سياقات المفردة من نص إلى آخر ومن عصر إلى آخر. أبمرجع واحد أو مرجعين لكل عصر أم الآلاف من الكتب كما يجب؟12 فإذا أردنا القيام بذلك حقيقة ونجدّ فلا مناص من اللجوء إلى الذخيرة العربية. فلا معجم تاريخي يمكن أن يخرج إلى الوجود بدون الاستعانة بمثل الذخيرة التي وضعت لهذا الغرض وغيره مما لا بد من الاعتداد به.

12 - يمسحها الحاسوب في أقل من يوم واحد.

ما يترتب على ما سبق من منهجية البحث عن المقابل العربي واختيار اللفظ

فالذي نحتاج إلى إيجاده في المرحلة الأولى هو المقابل العربي. ولا بد أن يسبقها ضبط لقائمة من المصطلحات الأجنبية ستكون هي المحدّد للمفاهيم العلمية لأنها ستحتوي على قائمة المصطلحات التي ليس لها مقابل وتعريف دقيق لكل واحد منها.

الذي نتصوره كأكثر الطرق موضوعية هو أن ينطلق من المفاهيم العلمية الموجودة في دفاتر المصطلحات التي تحررها المؤسسات - الدولية أكثر- المتخصصة في علم المصطلح مثل Infoterm في مركز المصطلحات بفينا المتخصصة في اللغة وقد ضبطت إحداها قاعدة معطيات اصطلاحية كبيرة جدا سمّتها Termium وهى تحتوى على أكثر من 3 ملايين من المفردات و Eurodicatum في الاتحاد الأوروبي أو المؤسسات الكندية وغيرها وتعتبر كلها كمراجع موثوقة وصفتها المميزة هي الشمولية. ويستحسن أن يبحث عن المقابل العربي في الاستعمال ولذلك يجب أن يسبق العمل بإيجاد المدوّنة. فإذا تعذر إيجاده في الاستعمال (أي المدونة) فلا مناص من اللجوء إلى الوضع بالتوليد بالطرق المعروفة. كما يجب أن يكون لكل مصطلح موجود في الاستعمال جزازة خاصة كاملة (فيها كل ما يجب أن يعرفه الباحث). فإذا تمت معرفة كل ما يحتاج إلى مقابل نحاول أن نخطط العمل لمدة معينة حسب إمكانات كل مجمع.

فكل ميدان من العلم يجب أن تُعد له هذه العدة لأنه منطلق العمل الاصطلاحي ويحسن أن يكون الواضع على علم، كما سبق أن قلناه، بكل

ما يخص المصطلح. يجب أن تحتوي الجزازة [13] الخاصة بكل مصطلح على المعلومات الخاصة به[14] وهي كالتالي:

1) ذكر المفهوم بالمصطلح الأجنبي بلغتين معروفتين على الأقل ومصدره مع ذكر المصطلح المستعمل بالفعل إن وُجد (لفظ واحد أو أكثر) في العربية و المقابل للفظ الأجنبي أو ما وضع ولم يستعمل بعد والتنبيه على ذلك مع ذكر المراجع.

2)تعريف مدلوله اللغوي و الاصطلاحي بالعربية و باللغات الأخرى مع ذكر الميدان العام والميادين الفرعية و الفروق الدلالية بينهما.

3) ذكر مرادفاته إن وُجِدَتْ في الاستعمال مع الفروق الدلالية كذلك إن وجدت.

4) ذكر تردُّده في جميع المدونة أو في أكثر النصوص استعمالا ومدى شيوعه الجغرافي (مع ذكر المراجع العربية).

5) ذكر اللفظ المختار ومبرر الاختيار أو مبرراته بالتفصيل إذا وجد أكثر من لفظ واحد في الاستعمال (ما الذي حمل الواضع أو الاختصاصي على وضعه كما ورد من الواضع أو على اختياره من الاستعمال القديم).

ويتم في كل سنة حصر المصطلحات الجديدة التي ظهرت في المصادر الأجنبية وتخطيط العمل فيما يخصها. والغاية من كل هذا هو تفادي التضارب أو الفوضى بإعادة النظر في نفس اللفظة واختيار أكثر من مصطلح.

---

13 - وقد تصل الجزازة في المعجم التاريخي إلى حجم الملف بكل مفردة.

14 - أما القوائم فهي كالفهارس لترتيبها اللألفبائي.

نستخلص من هذا الذي سبق أن:

1) ضرورة أن تتصف القائمة من المصطلحات الأجنبية بالشمولية: أولا وجود كل الألفاظ بأكثر من لغة وأحسن صورة لها هو ما نشرته المؤسسات المتخصصة (في أوروبا وكندا).

2) ضرورة اللجوء إلى مدونة كبيرة جدا تجمع مئات الآلاف من النصوص العلمية في جميع الميادين العلمية والتقنية وهي تمثل الاستعمال للمصطلح العربي. ومنها تستخرج كل المعلومات التي لا بد منها للعلم بوجود مقابل عربي أو عدم وجوده وما يخص أحوال وروده. ولهذا ينبغي أن تغطى المدونة كل ما نشر من الكتب العلمية وما ألقى من دروس أو محاضرات مسجلة أو مطبوعة في كل قطاعات التعليم ومستوياته وفي كل البلدان العربية وسوريا خاصة لحصول التعريب الشامل فيها.

3) تلحق بالمدونة المعلومات التي تخص استعمال المصطلح المعين في القديم.

4) تُحصر جميع المعلومات التي تخص كل مصطلح عربي (أيا كان مصدره) في جزازة.

وظيفة البنية الإيقاعية في العمل الأدبي
من منظور النقد العربي القديم

الأستاذ الدّكتور: عبد القادر هنّي
جامعة الجزائر 2 - قسم اللّغة العربية

يجب التذكير ابتداء أنّ الموسيقى في أي عمل أدبي ،شعراً كان أم نثراً ليست عنصراً ثانوياً يمكن التخلي عنه أو التهاون فيه ،بل هي من العناصر الأساسية فيه. فأدبيته لا تكتمل دون توافرها فيه ،فكل عمل أدبي فني كما يقول ويليك و وارين «هو قبل كل شيء سلسلة من الأصوات ينبعث عنها المعنى» [1]. وهذه السلسلة من الأصوات لها قيمة إيقاعية لا تقل أهمية عن قيمتها الدّلالية ،سوى إنّ اختلاف طبيعة الشعر عن طبيعة النثر فرض اختلاف موسيقى البنية الشعرية عن موسيقى البنية النثرية من حيث كثافتها خاصة ،فالموسيقى بالنسبة إلى الشعر كما يقول محمد مندور تعد «من مقوماته الأساسية التي إذا فقدها فقد خاصية من الخصائص الكبرى التي تميزه عن النثر الذي لابدّ هو الآخر أن تكون له موسيقاه و أن يكون له إيقاعه النفسي ،ولكنها موسيقى و إيقاع يختلفان في نسقهما أكبر اختلاف عن موسيقى الشعر الواضحة المعبرة و عن إيقاعه المنظم المحدد» [2] ،لذلك فإنّ من افتقرت روحه إلى الموسيقى لن يستطيع أن يكون شاعراً حقيقيا كما قرّر كولردج [3].

إنّ هذه القيمة التي تتبوّؤها الموسيقى في الشعر لم تكن غائبة عن أذهان النقاد العرب القدامى و هم يتحدّثون عن الأدب شعره و نثره، فإذا رجعنا إلى مصنفاتهم النقدية فإنّنا نرى بوضوح أنهم ينطلقون غالبا في تحديدهم مفهوم الشعر و في تمييزهم بينه وبين النثر من الخصائص الصوتية للكلام ،فقدامة بن جعفر يحُدُّ الشعر بأنّه «قول موزون مقفى يدل على معنى»[4]. ويرتكز تعريف الشعر عند ابن طبا طبا على الانتظام الإيقاعي للعناصر اللغوية في النص ،فهو (أي الشعر) ،»كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما يخصّ به النظم الذي إن عدل عن جهته مجته الأسماع و فسد على الذوق ،ونظمه معلوم محدود»[5].

و نسب أبو حيان التوحيدي إلى محمد بن يوسف تعريفا للشعر مؤداه أنه «كلام ركب من حروف ساكنة و متحركة بقواف متوازنة و معان معتادة و مقاطع موزونة و فنون معروفة»[6].

إنّ ما يمكن استشفافه من هذه التعريفات و غيرها[7] التي وضعت الشعر هو التركيز على انتظام العناصر اللغوية فيه انتظاماً إيقاعيا و اعتبار الوزن و القافية عنصرين رئيسين للشعر. و التوكيد على الوزن و القافية في الشعر يشير إلى تميزه إيقاعيا عن غيره من أضرب الكلام الأخرى ،سواء أكانت من المنثور المعتاد كما أومأ إلى ذلك ابن طباطبا في كلامه الذي أوردناه أم كانت نثراً فنيا. و هذا ما يلقي عليه الضوء تفريق النقاد بين المنظوم و المنثور ،إذ استند تمييزهم الشعر من النثر –غالبا- إلى الوزن و القافية بحسبهما عنصرين يضفيان على المنظوم سمات إيقاعية غير متوافرة في الكلام المنثور. قال ابن رشيق «و كلام العرب نوعان : منظوم

ومنثور، ولكل منهما ثلاث طبقات : جيدة و متوسطة و رديئة ،فإذا اتفقت الطبقتان في القدر و تساوتا في القيمة و لم يكن لأحدهما فضل على الآخر كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية ،لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة»[8].

إن أفضلية الشعر على النثر عند ابن الرشيق ،تقوم على تفرد المنظوم دون المنثور بالوزن و القافية اللذين يصاحب دخولهما على الكلام خصائص إيقاعية لم تكن له في حال كونه منثوراً و هو ما يوضحه قوله بعد ذلك «اللفظ إذا كان منثورا تبدد في الإسماع و تدحرج على الطباع ولم تستقر منه إلاَّ المفرطة في اللفظ ،و إن كانت أجمله الواحدة من الألف، و عسى أن لا تكون أفضله؛ فإن كانت هي اليتيمة المعروفة و الفريدة الموصوفة ،فكم تسقط الشعر من أمثالها و نظرائها لا يعبأُ به و لا ينظر إليه ،فإذا أخذه سلك الوزن و عقد القافية ،تألفت أشتاته و ازدوجت فرائده و بناته ،و اتخذ اللابس جمالاً و المدخر مالا...و قد اجتمع الناس على أن المنثور من كلامهم أكثر و أقل جيداً محفوظا و أن الشعر أقل و أكثر جيداً محفوظا ،لأن في أدناه زينة الوزن و القافية ما يقارب جيد المنثور»[9].

معنى كلام ابن رشيق أن الوزن و القافية يضيفان إلى الشعر قيماً إيقاعية تميزه موسيقيا عن الكلام المنثور ،أي إن الشعر يحتمل من الموسيقى أكثر مما يحتمله الكلام المنثور بسبب دخول هذين العنصرين عليه. و في هذا السياق نفسه يتحدث ابن سنان الخفاجي عما يسبغه الوزن على الشعر من قيم موسيقية تزيد من حسنه و تقدمه على منثور الكلام ،قال «فالذي يصلح أن يقوله من يفضل النظم أن الوزن يحسن الشعر و يحصل للكلام به من الرونق ما لا يكون للكلام المنثور، و يحدث عليه من الطرب في إمكان التلحين و الغناء به ما لا يكون للكلام المنثور»[10].

حسب وجهة النظر هذه ،فإنه كُلَّما كثرت المؤثرات الإيقاعية في الكلام، كلما تباين عن المنثور وكان أكثر شعرية ، وفي ذلك يقول قدامة بن جعفر «بنية الشعر إنّما هي التسجيع والتقفية ،فكلما كان الشعر أكثر اشتمالاً عليه كان أدخل له في باب الشعر وأخرج له عن مذهب النثر»[11]. من أجل ذلك حكم دعبل الخزاعي على شعر أبي تمام أنه «بالخطب وبالكلام المنثور أشبه منه بالكلام المنظوم لما كثر فيه من الزحاف و اضطراب الوزن»[12]، فكأنَّ كثرة الزحاف و اضطراب الوزن تلغي الحدود الفاصلة بين الشعر و النثر ، وهو ما يؤكده موقف الجاحظ من ترجمة الشعر التي تتسبب في بطلان وزنه و تقطع نظمه و سقوط موضع التعجب منه فيصبح كالكلام المنثور ،بل إن الكلام الذي يبتدأ نثراً يكون أحسن منه.

غير أن ما يصاحب دخول الوزن و القافية على الشعر من قيم إيقاعية تميزه عن النثر و إن كان يشيء بأن المستوى الموسيقى هو المميز النوعي للشعر ،فإنه لا يدل من ناحية أخرى على ضآلة شأن القيم الإيقاعية في الأعمال النثرية ،إنما يشير فقط إلى اختلاف المنظوم عن المنثور من حيث كثافة العنصر الموسيقي ،أما بعد ذلك فإن الإيقاع يعد عنصرا رئيسا في النثر الفني أيضا ،يتأكد لنا ذلك مما نراه من اهتمام النقاد بالقيم الصوتية للفظة مفردة و منتظمة مع أخواتها في التركيب، في الشعر و النثر جميعا ، فإذا عدنا إلى الجاحظ في البيان و التبيين ، فإننا نراه يُعنى عناية خاصة بمخارج الحروف و يدرسها بدقة بالغة للاهتداء إلى كيفية تحقق الاقتران بين أحرف الكلمة ،و تجنب الجمع بين المتنافر منها من جهة المخارج أو الصفات. و هذه العناية التي تهدف إلى تحقيق جمال الإيقاع اللفظي في العمل الأدبي، هي جزء أساسي من اهتمام الجاحظ بالجمالية الأدبية في شكلها الخطابي»[13].

و هناك فضلاً عن هذا نصوص صريحة تؤكد أهمية الإيقاع الصوتي في الأعمال النثرية، ففي أكثر من موضع من كتاب الصناعتين، يلفت أبو هلال العسكري الانتباه إلى ضرورة العناية بجمال الإيقاع في الكلام الأدبي شعراً كان أم نثراً، بتجنب التنافر و اختيار الألفاظ السهلة العذبة و الملاءمة بينهما في النص على النحو الذي يضفي عليها و على التراكيب التي تتآلف فيها رونقا و طلاوة و سلاسة ، لأن الكلام في تقديره «يحسن بسلاسته و سهولته و نصاعته و تخير لفظه و إصابة معناه و جودة مطالعه و لين مقاطعه و استواء تقاسيمه و تعادل أطرافه و تشبه أعجازه بهوادية وموافقة مآخيره لمباديه مع قلة ضروراته ،بل عدمها أصلاً ،حتّى لا يكون لها في الألفاظ أثر فتجد المنظوم مثل المنثور في سهولة مطلعه و جودة مقطعه و حسن رصفه و تأليفه و كمال صوغه و تركيبه»[14].

ثم إن مصطلحات مثل رونق ،طلاوة ،كثرة الماء ،نصاعة ،سلاسة ، وهي كثيرة الترديد في كتاب الصناعتين تعبر عن الأهمية التي يمنحها أبو هلال للعناصر الإيقاعية في المنظوم و المنثور ،هذا إلى جانب الاحتفال الشديد الذي نراه عند بعض النقاد بما يدخل على الكلام المنثور من عناصر تحسين الإيقاع و تكثيفه كالسجع و الازدواج و الموازنة بين ألفاظ الفواصل و التوازن بين الجمل و ما إلى ذلك مما يثبت حرصهم على توفير العنصر الإيقاعي في النص النثري. و قد بلغت –أحيانا- العناية بالتركيب الصوتي في المنثور حداً كاد النثر معه أن يقترب من المنظوم من هذه الناحية. وهذا ما نلمسه في قول أبي حيان التوحيدي «و في الجملة أحسن الكلام ما رق لفظه و لطف معناه و تلألأ رونقه ،و قامت صورته بين نظم كأنه نثر ، ونثر كأنّه نظم»[15]. و في هذا السياق أيضا يؤكد أبو سليمان المنطقي أن اشتمال

النثر على عناصر شعرية هو السبب فيما يحدثه لدى الملتقى من لذة وطرب ، وهو من غير شك لا يفصل عناصر الإيقاع عن العناصر الشعرية التي يشتمل عليها النثر ،لاسيما أن النغمة الموسيقية ارتفعت في نثر القرن الرابع –عصر أبي سليمان- حتى قاربت نغمة الشعر ،يقول أبو سليمان : «ففي النثر ظل من النظم و لولا ذلك ما خَفَّ ولا جلا و لا طاب و لا تجلا، و في النظم ظل من النثر و لولا ذلك ما تميزت أشكاله و لا عذبت موارده ومصادره، و لا بحوره و طرائقه و لا ائتلفت وصائله و علائقه» [16].

يتبيّن لنا مما تقدم أن النقاد و إن أكدوا على كثافة النغمة الموسيقية في البنية الإيقاعية للشعر حين ألحوا على تفرده بالوزن و القافية اللذين يجلبان إليه إيقاعا زائداً عن الإيقاع الناجم عن أساليب انتظام الألفاظ في العبارة النثرية ،الأمر الذي يجعله أكثر قدرة على إطراب المتلقي و بعث حالة من الالتذاذ لديه ،بما يوفره له الوزن خاصة من إيقاع يفرض على النفس تأثيراً خاصاً فتهتزله وتهش إليه ،لاسيما «أن الوزن يعتمد نسقا مضبوطا في توزيع أعاريضه و حركاته و سكناته...و يجعل اللغة تنتظم انتظاماً يختلف عن الصورة العادية للكلام» [17]. و هو ما يسهم في إفراز إيقاع خاص بالبيت الشعري لا تتوافر عليه الجملة النثرية العاطلة من الوزن ،لكن على الرغم من هذا فإن النقاد لم ينظروا إلى الإيقاع في النثر على أنه عنصر ثانوي أو إضافي يمكن الاستغناء عنه ،بل عملوا –أحيانا كما ذكرنا- على أن يجدوا له وسائل إيقاعية أخرى كالسجع و الازدواج و الموازنة بين كلمات الفواصل و التوازن بين الجمل من حيث الطول والقصر ، و غيرها ، عوضا عن إيقاع الوزن و القافية اللذين يعدان عندهم من مقومات الشعر الأولى.

إنّ هذا الاهتمام بالبنية الإيقاعية في العمل الأدبي شعراً كان أم نثراً، لم يكن من قبيل الترف الزائد ،إنّما هو ،في تقدير النقاد ،وسيلة فعّالة من وسائل التبليغ ،لأن المبدع بما يوفره لعمله من إيقاع يتوصل إلى كسب مودة المتلقي و يحمله على متابعته حتى نهاية العمل ،ذلك لأن الإيقاع يساعد على تحطيم الفواصل بين شعور المبدع و شعور المخاطب ،فيتيح له الدخول معه في عالم شعوري واحد. و قد عبَّر أبو هلال العسكري عن هذه الوظيفة التبليغية التي ينهض بها المستوى الإيقاع في الكلام من حيث أثره في قبول الخطاب و الإقبال عليه فقال :»فإذا كان الكلام قد جمع العذوبة و الجزالة و السهولة و الرصانة مع السلاسة و النصاعة واشتمل على الرونق و الطلاوة و سلم من حيف التأليف و بعد عن سماجة التركيب وورد على الفهم الثاقب قبله و لم يرده ،و على السمع المصيب و استوعبه ولم يمجه ، و النفس تقبل اللطيف و تنبو عن الغليظ و تقلق من الجاسي البشع»[18].

إنّ البنية الإيقاعية ،على هذا ،ليست حيادية في العمل الأدبي ،إنما لها وظيفة تبليغية بالغة الأهمية ،لما تثيره من انفعال لدى المتلقي ،فينجذب إلى العمل الفني و ينخرط في سياقه ،و تلك هي الخطوة الأولى نحو التأثير في سلوكه ،لأن «الإيقاع الموسيقي أو الصوتي ينظم قوة الانتباه و يرسم لها فترات النشاط و تتابعها ،و يوجهها توجها يساير النغم الموسيقي فننسى ما حولنا و ينحصر إحساسنا في تتابع النغم ،و بذلك يتم التجاوب و الانسجام بين حياتنا النفسية و انتباهنا و بين النغم» [19]. لذلك فإن إخفاق المبدع في إثارة الانفعال من هذا الطريق ،هو بداية القطيعة بين خطابه و مخاطبه. و قد كان ابن طبا طبا مدركا لهذه الحقيقة ،و عليه ارتبط نجاح الشعر

في أداء وظيفته عنده بالامتزاج الروحي الذي يحصل بينه و بين ملتقيه، و تسهم العناصر الإيقاعية في القصيدة إسهاماً وافراً في حصول هذا الامتزاج ،يقول ابن طبا طبا «فإذا ورد عليك الشعر اللطيف المعنى الحلو اللفظ التام البيان المعتدل الوزن ،مازج الروح ولاءم الفهم ، وكان أنفذ من نفث السحر و أخفى دبيباً من الرقى و أشد إطراباً من الغناء ،فسل السخائم وحلّل العقد و سَخَّى الشحيح و شجع الجبان ، وكان كالخمر في لطف دبيبه و إلهامه و هزّه و إيثاره»[20]. و تتضح قناعة ابن طبا طبا بجدوى عناصر الإيقاع في عملية التوصيل من خلال قوله أيضا :»وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه و ما يرد عليه من حسن تركيبه و اعتدال أجزائه ،فإذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة المعنى و عذوبة اللفظ فصفا مسموعه و معقوله من الكدرتم قبوله و اشتماله عليه»[21].

و يؤكد هذا الاهتمام بالوظيفة التبليغية للإيقاع انبناء حديث كثير من النقاد عن جمالية اللغة الأدبية ،سواء في مستوى الاختيار أم في مستوى التوزيع على مردودها في استقبال العمل الأدبي ،فالوصول إلى نفس المتلقي و إثارة الانفعال فيها كان هو الغاية المتوخاة من جمال الإيقاع اللفظي بشتى وسائله ،على أساس أن الوقع الحسن للألفاظ على السمع يؤدي إلى الطرب ،والطرب انفعال وتجاوب ،يقول جان ماري جويو يتحدث عن فعالية الإيقاع في الشعر :»كأني بإيقاع الشعر ضربات القلب تسمعها الأذن وتنظم الصوت ،فإذا سمعها الآخرون أخذت قلوبهم تخفق هي الأخرى على هذا الإيقاع عينه»[22].

و قد كانت هذه الإثارة هي إحدى غايات الوزن الأولى في الشعر عند النقاد ،لذلك تكررت إشاراتهم إلى التأثير الذي يتميز به الشعر عن النثر في

الذوات المتلقية بسبب اختصاصه – دون النثر- بالوزن. و بالنظر إلى هذه الأهمية التي للوزن من هذه الناحية عده الفلاسفة الإسلاميون و معهم حازم القرطاجني وسيلة من وسائل إحداث التخييل الشعري ، فالفارابي مع أنّه لا يمنح له القدر نفسه من الأهمية التي يمنحها للمحاكاة و التخييل ،فإنه لم يغفل وظيفته في عملية التخييل التي لا تنبع عنده «من الإثارة التخييلية التي تولدها الكلمات الشعرية في ذهن المتلقي فحسب ، بل هي عملية مرتبطة بالوزن و الإيقاع ،بمعنى إن وزن الشعر يساعد على تحقيق فعل التخييل عن طريق إيقاعاته التي تساعد بدورها في تأكيد الحالة الانفعالية التي تولدها دلالات الكلمات أو صور الشعر في ذهن المتلقي»[23]. و في هذا السياق أيضا يقول ابن سينا: «و الأمور التي تجعل القول مخيلا: منها أمور تتعلق بزمان القول و عدد زمانه و هو الوزن»[24]. و أن الشعر «لايتم شعراً إلاّ بمقدمات مخيلة و وزن ذي إيقاع متناسب ليكون أسرع تأثيراً في النفوس ، لميل النفوس إلى المتزنات و المنتظمات التركيب»[25]. وتظهر خطورة البنية الإيقاعية في العمل الأدبي من خلال إسهامها مع النسيج الدلالي للنص في عملية تبليغ المعنى. ففي حديث النقاد عن لغة الأدب محاولات غاية في الأهمية لتصور العلاقة بين إيقاع اللفظ ودلالته ،وهو ما يوضح أن وظيفة الإيقاع لا تقف عند حدود التأثير الصوتي الصرف الذي تخلفه الألفاظ في الأسماع ،مفردة و مؤتلفة ،إنما يتجاوز ذلك إلى الإسهام في توضيح المعاني و إفهامها للمتلقي. و في هذا السياق يقول ابن جني: «إن العرب خصوا المعنى القوي باللفظ القوي ،و أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها بها»[26]. و في هذا الموضوع يقول ابن الأثير أيضا «الألفاظ الرقيقة كأشخاص ذوي دماثة ولين و أخلاق ولطافة

مزاج»[27]، معنى ذلك بتعبير أرشيبالد. إنك «لا تستطيع أن تستعمل الجرس دون المعنى و لا تستطيع كذلك أن تغير الصوت تغييراً ماديا دون أن تغير المعنى أو بالأحرى تفقده»[28].

إن مؤدى هذا التصور أن اختيار المبدع عناصر الإيقاع لنصه لا يتم بمعزل عن المعنى الذي يريد التعبير عنه ،و هذا ما يزيده وضوحاً –ربما- حرصهم على التناسب بين لغة الأدب من حيث جزالتها و رقتها و بين معاني الموضوع الذي يعالجه المبدع ،مثلما أكد على ذلك القاضي الجرجاني في الوساطة و ابن الأثير في المثل السائر.

و فرضت هذه الوظيفة التبليغية التي يضطلع بها الإيقاع ألاّ يكون هَمُّ المبدع هو تكثيف العنصر الصوتي في عمله لإبهار المخاطب و الاستحواذ على انتباهه دون مراعاة المستوى الدلالي للنص ، و هذا ما يبينه موقف بعض النقاد من إسراف المبدعين في طلب البديع بصرف النظر عن علاقته بمقتضيات المعنى العام للتركيب في النص. إن رفض الإكثار من التجنيس دون حاجة المعنى إليه يوحي بقناعتهم بأن تكلُّفه يحدث اختلالاً في تلاؤم الجدول المعجمي مع الغرض المقصود ،كما يدل على شعورهم بالوظيفة المعنوية أو الدلالية التي ينبغي أن تنهض بها المحسنات البديعية في النص[29]. يقول عبد القاهر الجرجاني «و على الجملة ،فإنك لا تجد تجنيسا مقبولاً ولاسجعا حسنًا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه و استدعاه و ساق نحوه، و حتى لا تجده لا تبتغي به بدلا و لا تجد عنه حولا»[30].

إن ارتباط الإيقاع بالمعنى ،على هذا ، لا يقتصر على المستوى الإفرادي للغة ،إنما يشمل أيضا مستوى التركيب فحديث عبد القاهر لا يهتم بالألفاظ إلاّ من حيث هي عناصر في التركيب، لذلك فإن كلامه عن

اقتضاء المعنى للتجنيس أو السجع ،ذو علاقة بالوظيفة الدلالية للتشيكل الصوتي في النص ،وهو ما تحدث عنه أبو هلال العسكري قبل عبد القاهر فالعسكري يتكلم عن أثر التأليف الحسن في إيضاح المعنى ،فيقول: «أجناس الكلام المنظوم (ثلاثة) الرسائل و الخطب و الشعر و جميعها تحتاج إلى حسن التأليف و جودة التركيب. و حسن التأليف يزيد المعنى وضوحاً و شرحاً ،ومع سوء التأليف ورداءة الرصف و التركيب شعبة من التعمية ،فإذا كان المعنى سبيا ورصف الكلام رديًا ،لم يوجد له قبول ولم تظهر عليه طلاوة. و إذا كان المعنى وسطا ورصف الكلام جيداً كان أحسن موقعا و أطيب مستمعا»[31].

إن التأليف عند أبي هلال لا يتعلق بالجانب الدلالي في اللغة فحسب ،إنما يشمل أيضا الجانب الصوتي فيها ،لذلك تراه في أثناء حديثه عن التأليف ،يهتم بسلاسة الكلام و سهولته و عذوبته و نصاعته ،و هذه المصطلحات تتعلق كلها بالبنية الإيقاعية للكلام ،بل ونلاحظ في نص كلامه أن افتقار التركيب و من خلاله النص للطلاوة مرتبط بفساد الرصف و أن المعنى الوسط إذا رافقته جودة الرصف رفعت من قيمته ،فكان «أحسن موقعا و أطيب مستمعا».

و الوزن نفسه لم يكن في تقدير العسكري –على ما يبدو- بمعزل عن خدمة الدلالة في النص ،و إن كانت إشارته إلى ذلك يلفها بعض الغموض، فهو لا يتحدث بوضوح عن أثر إيقاع الوزن في الإيحاء بالمعنى الذي يسعى صاحب النص لإيصاله إلى متلقيه ،يقول بهذا الشأن «و إذا أردت أن تعمل شعراً فاحضر المعاني التي تريد نظمها فكرك و اخطرها على قلبك و اطلب لها وزناً يأتي فيه إيرادها و قافية يحتملها»[32].

يمكننا أن نفهم من إشارة أبي هلال إلى مبدإ التناسب بين الوزن والمعنى أنه لا يستبعد تأثير إيقاع الوزن في دلالة النص. سوى إن المسألة عنده لا تبلغ درجة الوضوح التي نراها عند الفلاسفة الإسلاميين في حديثهم عن أهمية الوزن في إحداث التخييل ،يقول ابن سينا : «و الشعر من جملة ما يتخيل و يحاكي بأشياء ثلاثة :باللحن الذي يتنغم به ،فإن اللحن يؤثر في النفس تأثيراً لا يرتاب به ،ولكل غرض لحن يليق به بحسب جزالته أو لينه أو توسطه ،و بذلك التأثير تصير النفس محاكية في نفسها لحزن أو غضب أو غير ذلك ،و بالكلام نفسه إذا كان مخيلا محاكيا ،و بالوزن ،فإن من الأوزان ما يطيش ومنها ما يوقر ،وربما اجتمعت هذه كلها و ربما انفرد الوزن و الكلام المخيل»[33]. و هو ما يراه ابن رشد أيضا في كلامه على وسائل المحاكاة[34].

إن اشتراك الوزن في إحداث التخييل يمنح له وظيفة دلالية على مستوى تلقي النص الشعري ،فهو يسهم مع وسائل المحاكاة الأخرى في إيصال المعنى ،لانطواء إيقاعه على بُعد دلالي ،لذلك يقول الكندي :»فإن الإيقاعات الثقيلة الممتدة الأزمان مشاكلة للشجن و الحزن ،و الخفيفة المتقاربة مشاكلة للطرب و شدة الحركة و التبسط ،و المعتدلة مشاكلة للمعتدل و كذلك أوزان الأقاويل العديدة المشابهة للنسب ،فينبغي أن توضع لنحو من هذه الثلاثة أنحاء ،فإن يكمل ذلك يكون تكميل حركة النفس في النوع الذي قد يكون تحريكها فيه من الأنحاء الثلاثة وأقسامها»[35].

إن هذا الذي قاله الكندي أكده أيضا ابن سينا و إخوان الصفاء في كلامهم عن الاستثارة التخييلية التي يحدثها الشعر في الملتقى بفضل

الخصائص الصوتية الذاتية التي يتميز بها الوزن. فالأبيات الموزونة كما يقول إخوان الصفاء «تثير الأحقاد الكامنة و تحرك النفوس الساكنة و لا تلهب نيران الغضب»[36].

تأسيسا على هذا الإقرار بالوظيفة الدلالية و التبليغية للوزن التي تنزهه عن أن يكون محض «إكمال شكلي لتعريف الشعر» ، يدعو حازم القرطاجني متأثراً بالفلاسفة إلى ضرورة الملاءمة بين المقاصد والأوزان، انطلاقا من إدراكه العلاقة بين الطبيعة الإيقاعية الخاصة بكل وزن من أوزان الشعر ،وطبيعة المحتوى الذي يعبر عنه النص الشعري ،يقول : «و لما كانت أغراض الشعر شتى و كان منها ما يقصد به الجد و الرصانة و ما يقصد به الهزل و الرشاقة ،ومنها ما يقصد به البهاء و التفخيم ، وما يقصد به الصغار و التحقير ،وجب أن تحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان و يخيلها للنفوس. فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة و إذا قصد في موضع قصداً هزليا أو استخفافيا و قصد تحقير شيء أو العبث به ،حاكى ذلك بما يقابله من الأوزان الطائشة القليلة البهاء وكذلك في كل مقصد»[37].

معنى هذا أن الجو الموسيقي الذي يشيعه الوزن في القصيدة يساعد على وضع المتلقي-حسب وجهة نظر حازم- في سياق التجربة المعبر عنها فينغمس فيها.

ننتهي إلى القول إن البنية الإيقاعية بما تتوافر عليه من عناصر سواء في المنظوم أم المنثور ليست زخرفا شكليا خالصاً يتزيَّ به الكلام و يمكن الاستغناء عنه من دون أن يلحق أية أضرار على النص الأدبي ،بل نؤكد أن البنية الإيقاعية في نظر النقاد العرب القدامى عنصر أساسي من العناصر

التي تحقق للنص أدبيته و تسهم في بلورة بنيته الدلالية و في حسن استقباله فالإخلال بها يترتب عنه حتما خلل في نجاعة الأثر المنتظر أن يتركه في متلقيه. غير أنهم (أي النقاد) إذا كانوا قد منحوا البنية الإيقاعية دوراً لافتا للنظر في بلورة المعنى وتوكيده و تقويته في ذهن المتلقي فإنهم لا يقرون لها بأية وظيفة –في تقديرنا- في خلق المعنى ،لأن المعنى في عرفهم ليس من خلق المبدع بما يتوافر عليه من قوى تميزه عن غيره و بما له من قدرة على تطويع اللغة إنما له في نظرهم وجود قبلي مستور أو متخف سابق لوجود العمل الأدبي و هذا انسجاماً مع النسق الفكري الذي آمنوا به و تحركوا في إطاره و هو استحالة إبداع شيء من لا شيء و الفلاسفة الإسلاميون أنفسهم و إن ذهبوا إلى إمكان التحرر من الواقع العيني لإبداع واقع يوازيه ،فإنهم يؤمنون أن المعطيات التي يشكل منها المبدع واقعه الجديد سواء كانت مادية أم معنوية لا يمكن أن تخرج عن «الموجودات الممكنة أن يقع بها علم إنسان»[38] ،فميزة المبدع في مثل هذه الحال تتبدى في الصورة التي يخلقها بوساطة عناصر الواقع ،فالتمايز بين المبدعين يكون في هذا المستوى ،أما بعد ذلك فإن الإبداع كما قرَّ في أذهان النقاد العرب القدامى لا يعدو رفع الحجب عن المعاني و عن العلاقات الخفية الموجودة بين الأشياء ولم يعترفوا للمبدع بخلق شيء لم يكن له وجود من قبل ، وبهذه الروح المتحسسة من فكرة خلق المعنى أضحى شأن المبدع كما يتصور عبد القاهر الجرجاني شأن الغائص على الدر الذي يجهد نفسه و يكدها لبلوغ مخابئه و الكشف عنه ،أما الدر من حيث هو در فلا دخل للغائص في وجوده بل كان موجوداً قبل أن تمتد إليه يده و هكذا حال المبدعين -في عرفه- فهم لا يخلقون علاقات جديدة بين الأشياء ،إنما كانت

تلك العلاقات موجودة و ثابتة سلفا و كل ما هنالك أنهم (المبدعون) بما يتوافرون عليه من قدرات إدراكية قوية ينفذون إلى تلك العلاقات التي لا تسمح كثافة حواس الإنسان العادي بالنفاذ إلى باطنها[39]. من هذا المنظور في تصور النقاد العرب القدامى مفهوم الإبداع قلنا إن البنية الإيقاعية للعمل الأدبي تسهم في بلورة المعنى و تبليغه و في عقد الصلة و تقويتها بين النص و متلقيه ،دون أن يعترف لها بأي دور في إيجاد المعنى أو خلقه.ووفقا لهذا التصور تكون وظيفتها في العمل الأدبي وظيفة تبليغية خالصة في تقدير هؤلاء النقاد.

الهوامش:

1 - رينيه ويليك و واستن وارين ،نظرية الأدب ،ترجمة محيي الدين الصبحي ،مراجعة د/حسام الخطيب.ط.2،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت 1982 ،ص.165

2 - د.محمد مندور ، النقد و النقاد المعاصرون ، مكتبة نهضة مصر، د.ت. ،ص.40

3 - يراجع ،مارك شورر ،جوزفين مايلز ،جوردن ماكنزي ،أسس النقد الأدبي الحديث ،ترجمة السيدة هيفاء هاشم ،مراجعة د/نجاح العطار ،دمشق 1966 /1967 ،ج. 2 ص.70

4 - قدامة بن جعفر ،نقد الشعر ،تحقيق د/محمد عبد المنعم خفاجة. ط.1 ن مكتبة الكليات الأزهرية ،القاهرة 1979 ص.64

5 - محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي عيار الشعر، تح.:د/طه الحاجري و د/محمد زغلول سلام. القاهرة 1956 ،ص.3

6 - أبو حيان التوحيدي المقابسات. تح.:حسن السندوبي ،المطبعة الرحمانية ،مصر 1929. ص.359.

7 - راجع مثلاً: ابن وهب الكاتب ،البرهان في وجوه البيان ص.164 ، و أبو هلال العسكري ،كتاب الصناعتين ص.74 ،و ابن رشيق ،العمدة 1 /119 و أبو العلاء المعري ،رسالة الغفران ص. 251

8 - ابن رشيق ،العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ،تح.:محمد محيي الدين عبد الحميد ،ط.5 ،دار الجيل، بيروت 1981 ،1 /19

9 - ابن رشيق ،العمدة ،1 /19 - 20

10 - ابن سنان الخفاجي ،سر الفصاحة ،دار الكتب العلمية ،بيروت 1982 ، ص.287

11 - قدامة بن جعفر ،نقد الشعر ص.90

12 - أبو القاسم الحسن بن بشر الآدمي ،الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ،تح.السيد أحمد صقر ،دار المعارف بمصر 1961 ،1 /287

13 - د. ميشال عاصي ،مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ،ط.1، دار العلم للملايين بيروت 1974 ،ص.59

14 - أبو هلال العسكري ،كتاب الصناعتين ،ص.69

15 - أبو حيان التوحيدي ،الإمتاع و المؤانسة ،تح. أحمد أمين و أحمد الزين ،المكتبة العصرية ،بيروت ، د.ت. ،2/145

16 - أبو حيان التوحيدي ،المقابسات ص.246 وينظر.إحسان عباس تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،ط.4، دار الثقافة ،بيروت 1983 ،ص.241

17 - ملاحظات حول مفهوم الشعر عند العرب ،ضمن قضايا الأدب

العربي نشر مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية التونسي 1978. ص.222.

18 - أبو هلال العسكري ،كتاب الصناعتين ،ص.71.

19 - عبد الحميد يونس ،الأصول الفنية للأدب ،ط.2 مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة 1964 ص.71.

20 - محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ،عيار الشعر ص.16.

21 - محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ،عيار الشعر ص.15.

22 - جان ماري جويو ،مسائل فلسفة الفن المعاصر ،تر.:د/سامي الروبي ،ط.2 ،دار اليقظة العربية ،بيروت 1962،ص.168.

23 - د/جابر أحمد عصفور ،الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف بمصر د.ت. ،ص.166-165.

24 - ابن سينا ،فن الشعر من كتاب الشفاء ضمن كتاب فن الشعر لأرسطو طاليس ترجمه عن اليونانية و شرحه و حقق نصوصه د/عبد الرحمن بدوي ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة 1953 ،ص.163.

25 - ابن سينا ،كتاب المجموع أو الحكمة العروضية في كتاب معاني الشعر ،تح: محمد سليم سالم ،مركز تحقيق التراث و نشره القاهرة 1969، ص.20.

26 - راجع ،أبو الفتح عثمان بن جني،الخصائص ،تح محمد علي النجار، ط.2 ،دار الهدى للطباعة و النشر،بيروت، د.ت. 1 / 64 ،65. 57 و2 / 146

27 - ضياء الدين بن الأثير ،المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تح د/أحمد الحوفي و د/ بدوي طبانة،ط.1،مطبعة نهضة مصر 1380هـ، 1960م 1 /252

-28 أرشيبالد ملكيش ،الشعروالتجربة ،تر:سلمى الخضراء الجيوسي، مراجعة توفيق الصايغ ،دار اليقظة العربية، بيروت 1963 ص.38.

29 - توفيق الزيدي مفهوم الأدبية في التراث النقدي ،سراس للنشر، 1985 ،ص.145-144

30 - عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ،تصحيح محمد رشيد رضا، دار المعرفة ،بيروت 1981 ص.7 وراجع ص.4 و ص.10

31 - أبو هلال العسكري ،كتاب الصناعتين ،ص.179

32 - أبو هلال العسكري ،كتاب الصناعتين ،ص. 157

33 - ابن سينا ،فن الشعر من كتاب الشفاء ضمن كتاب فن الشعر لأرسطو طاليس ،ص.214

34 - ابن رشد ،تلخيص الشعر ،ضمن كتاب فن الشعر لأرسطو طاليس ص.203 وأيضا ص.214

35 - الكندي ، مؤلفات الكندي الموسيقية ،تح ، زكريا يوسف ، بغداد 1962 ،ص.65

36 - إخوان الصفاء و خلان الوفاء ،رسائل إخوان الصفاء ،دار صادر للطباعة و النشر ،دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت 1957 ،1 /184

37 - حازم القرطاجني ،منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،تح: محمد الحبيب بن الخوجة ،ط.2 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981 ص.266

38 - أبو نصر الفرابي ،الموسيقى الكبير ،تح:غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ،القاهرة 1967 ص.1183 و راجع. حازم القرطاجني ،منهاج البلغاء ص.20

39 - عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ،ص.131-130

«البناء» و«النسج» عند ابن خلدون
نحو تأصيل لنظرية (بناء الشعر)

د/ الشيخ ولد سيدي عبد الله
أستاذ جامعي - موريتانيا

مدخل:

عندما يذكر عبد الرحمن بن خلدون فان أول ما يتبادر إلى ذهن القارئ هو عمله في مجال التاريخ وعلم الاجتماع، ذلك أن الصورة التي تم ترسيخها عن الرجل، اختزلته في تينك الدائرتين، وكان من فعلوا ذلك لم يقرؤوا (مقدمته) بتمعن.

لقد كان ابن خلدون شاعرا وناقدا، ومتذوقا، وهي ميزات لم يخفها، بل تحدث عنها في مقدمته مرارا، ففي جزء (التعريف) الملحق بالمقدمة يقول: إن « أستاذه أبا عبد الله محمد بن بحر دعاه إلى حفظ الشّعر فحفظ كتاب الأشعار الستّة، والحماسةَ للأعلام وشعر حبيب وطائفةً من شعر المتنبّي ومن أشعار كتاب الأغاني...»[1].

وواضح من شعر ابن خلدون أن ذلك المحفوظ من نتاج الشعراء، ساهم في صقل قصائده، بحيث يمكن لأي دارس أن يستخلص عدة مدارس وتيارات شعرية تجايلت في نتاجه.

وقد أثنى العديد من النقاد على شاعرية ابن خلدون، ومنهم إسماعيل بن يوسف الأحمر، ولسان الدين بن الخطيب، وغيرهما.

ومن خلال رأي ابن خلدون في الشعر، ندرك أن الرجل ينطلق من رؤية العارف والمجرب للصناعة التي ينظر لها، وقد كان وفيا لمنهجه في المقدمة والقائم على نظرية (العمران)، بحيث استخدم مصطلح المعمار في تناوله للشعر وقضاياه.

ولان النظريات النقدية المعاصرة، والمنبثقة أساسا من البنيوية، تعتبر الشعر بناء، وتحاول جاهدة أن تمنح الظاهرة الأدبية صفة البناء، وما تحتاجه من مكونات يتداخل فيها الفلسفي واللغوي والأسطوري، فإننا آثرنا في هذه العجالة أن نتعرض للسبق الذي أحرزه النقد العربي القديم، عندما نظر إلى الشعر كبناء أو كثوب يحتاج إلى ما يحتاجه المعمار واللباس من أدوات، منطلقين من اجتهادات عالم لا يختلف اثنان على انه احد أهم رواد علم الاجتماع وأول من لفت الانتباه إلى فكرة (العمران البشري).

التعريف بابن خلدون [2] :

هو عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الأشبيلي **(27 مايو 1332م - 19 مارس 1406م)** من ولد وائل بن حجر، الفيلسوف، المؤرخ، العالم الاجتماعي، البحاثة. أصله من أشبيلية ومولده ومنشأة بتونس، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس وتولى أعمالا، واعترضته دسائس ووشايات وعاد إلى تونس ، ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق، وولي فيها قضاء المالكية ولم يتزيي بزي القضاة بل بقي محتفظا بزي بلاده، وعزل، وأعيد.

توفي فجأة في القاهرة كان فصيحا، جميل الصورة، عاقلا ، صادق اللهجة، عزوفا عن الضيم، طامحا للمراتب العالية، ولما رحل إلى الأندلس اهتزله سلطانها، وأركب خاصته لتلقيه وأجلسه في مجلسه.

اشتهر بكتابه « **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**» وهو كتاب ألفه سنة 1377م في سبعة مجلدات ، أولها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء من الكتاب إلى الفرنسية وغيرها، وقد ختم بفصل عنوانه (التعريف بابن خلدون) ذكر فيه نسبه وسيرته، وما يتصل به من أحداث زمنه، ثم أفرد هذا الفصل، فتبسط فيه وجعله ذيلا للعبر، وسماه « **التعريف بابن خلدون مؤلف الكتاب ورحلته غربا وشرقا**» ومن كتبه (شرح البردة) وكتاب في (الحساب) ورسالة في (المنطق) و (شفاء السائل لتهذيب المسائل) وله شعر.

تناول كتاب من العرب وغيرهم سيرته وآراءه في مؤلفات خاصة منها «**حياة ابن خلدون**» لمحمد الخضر بن الحسين و « **فلسفة ابن خلدون**» لطه حسين و « **دراسات عن مقدمة بن خلدون**» لساطع الحصري في جزئين و « **ابن خلدون حياته وتراثه الفكري**» لمحمد عبد الله عنان، و « **ابن خلدون**» ليوحنا قمير، ومثله لعمر فروخ.

صناعة البناء:

إن المتصفح لمقدمة ابن خلدون، يصادفه معجم متكامل عن العمران وما يتصل به من أسباب الحياة، فهو يقيم عمرانا معجميا يجعل الحياة البشرية كلها قائمة على « **البناء**» و « **الهدم**» وبذلك يكون بناء العلاقات الاجتماعية بناء للمجتمع، وخلقا للتاريخ.

وهذا البناء يتطلب الصناعة، وهي صناعة متأصلة في الذات البشرية، الخاضعة في مسارها لما يخضع له « **البناء**» من عوارض وحوادث، تطوره أو تسحقه، وهنا يتضح أن ابن خلدون كان على وعي بهذه الجدلية، حين يتعمد الحديث عن العمران والبناء، والآلة، والصناعة، والهدم، والركن، السكة والسياج، والمادة... وغيرها من مستلزمات العمران المديني، وهو وعي يتأكد في مقدمته حين يتعرض للحديث عن البناء كصناعة مجردة، تماثل غيرها من الصنائع والحرف.

فالبناء عنده هو «أول صنائع العمران الحضري وأقدمها، وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للكن والمأوى للأبدان في المدن، وذلك أن الإنسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله، لا بد له أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد، كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها، ثم هي تتنوع أنواعا كثيرة، فمنها البناء بالحجارة المنجدة، أو بالأجر يقام بها الجدران، ملصقا بعضها إلى بعض بالطين والكلس الذي يعقد معها فيلتحم كأنها جسم واحد، ومنها البناء بالتراب خاصة، تقام منه حيطان بأن يتخذ لها لوحان من الخشب مقدرا طولا وعرضا، باختلاف العادات في التقدير، ثم يزاد التراب ثانيا وثالثا إلى أن يمتلئ ذلك الخلاء بين اللوحين ، وقد تداخلت أجزاء الكلس والتراب وصارت جسما واحدا، ثم يعاد نصب اللوحين على الصورة الأولى ويركز ذلك إلى أن يتم، وتنتظم الألواح كلها سطرا فوق سطر، إلى أن ينتظم الحائط كله ملتحما كأنه قطعة واحدة، وقد يعرف صاحب هذه الصناعة أشياء من الهندسة، مثل تسوية الحيطان بالوزن وإجراء المياه بأخذ الارتفاع، وأمثال ذلك ، فيحتاج إلى البصر بشيء من مسائله ثم تختلف

أحوال البناء في المدن، كل مدينة على ما يتعارفون ، ويصطلحون عليه، ويناسب مزاج أهوائهم واختلاف أحوالهم» [3].

يتضح هنا أن ابن خلدون يصف العمران من منظور حضري، فهذا الوصف الذي ينبني على رؤية واضحة، ينطبق على أهل الحضر، وحدهم، وبذلك لا يتفق ابن خلدون مع الذين يعتبرون الأخبية والخيم أبنية، ذلك أنه يرى أن (البناء) خصيصة عمرانية حضرية، بل إنها دلالة على قيام العمران، ومن ثم المدن.

ولنلاحظ هذه الخواص التي لا يستغني عنها العمران :

1 - ملتحم في ذاته : إذ لا يمكن فصل جزء منه عن جزء، لأنه « جسد واحد « ومن هذا التعبير نستشف استحضار ابن خلدون لثقافته الدينية، التي تتخذ « الجسد « كناية عن العلاقة التي ينبغي أن تكون قائمة بين المسلمين.

وهو ما نجده واضحا في الحديث النبوي: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

فالبناء في تلاحم أجزاءه مثل الجسد، مما يعني أن اهترام جزء منه يعني سقوط الجزء الآخر، وعدم جدوائيته.

2 - البناء منتظم الأجزاء عموديا: إذا كان (حائطا) وهذا الانتظام العمودي تتالى أجزاءه كتتالي الأسطر، الواحد فوق الآخر.

والأسطر هنا تعني (اللبن) فلماذا اختار ابن خلدون كلمة (الأسطر) دون (اللبن) ؟ ألا يمكن أن يكون ذلك استحضارا لا إراديا منه للعلاقة الشكلية بين الكتابة والبناء؟ ما دامت الكتابة والتأليف بناء من نوع آخر؟

أليس الشعر كتابة؟

إننا نميل إلى القول بأن ابن خلدون كان يستحضر في تلك اللحظة ما يقوم به من تأليف، لهذا الكتاب الكبير، وما تمليه تقنية التأليف ذاتها، وهو استحضار يدعمنا في تأكيده أنه يوجد عند بعض النقاد والمؤلفين القدامى [4].

3 -عامل البناء : محتاج إلى التوسل بمعارف غيره لتجويد صناعته، وهو ما يعني أنه إلى جانب حضور الذات في عملية البناء، فإنها مطالبة بثقافة أخرى خارجة عنها، فمن يضع اللبن / الأسطر، بحاجة إلى من يقيس له أحجامها، ويعرف طولها وعرضَها...

أليس النقد تقويما، وتهذيبا ؟

4 - لكل مجتمع طريقته في البناء: وهو ما يمكن أن نرى فيه أن البناء ليس قالبا جاهزا، يعمم على كل مدينة وكل بان، فهو حرفة تدخل فيها المهارة الشخصية والذوق والابتكار.

فليس هناك بناء معتمد عند كل شعوب المعمورة، بل ولا عند الشعب الواحد.

وهنا تتحدد الحرية الشخصية في البناء فلا رقيب ولا محاسب، فحق الابتكار والإبداع تكفله العادة، وفي هذه الحرية يمكن التنوع في العمران ، ويجد كل طالب ضالته.

أليس الشاعر ابن بيئته ؟

هكذا إذن يصف ابن خلدون عملية البناء، وهو وصف قائم على أن هذه الصناعة، ترمز في مضمونها إلى وجود علاقة قوية ومتلاحمة بينها وبين المجتمع، فهي لا تسمى كذلك إلا إذا كانت ماثلة للعيان كالجسد

الواحد، ثم إنها تشكل تعالقا جديدا بينها وبين صناعات أخرى، كالهندسة والصباغة وغيرهما.

لكن كلمة (البناء) التي يستخدمها ابن خلدون باطراد في حديثه عن الشعر، نجدها تزاحم كلمة أخرى هي (النسيج) ونجد (البناء) ينافس (النساج) في الاستحواذ على معنى الشعر، ثم نجدهما تارة يعقدان علاقة تناوب لديه حين يريد أن يصف عملية صناعة الشعر، فما السر في ذلك؟

قبل أن ندخل في دلالة الكلمتين (نقديا) ينبغي أن نعرف معنى (النسيج) عند ابن خلدون فلربما كان في ذلك ما يفتح الفهم عليهما أكثر.

صناعة النسيج:

يقول ابن خلدون: « اعلم أن المعتدلين من بشر في معنى الإنسانية، لا بد لهم من الفكر في الدفء، كالفكر في الكن، ويحصل الدفء باشتمال المنسوج للوقاية من الحر والبرد.

ولا بد لذلك من الحام الغزل حتى يصير ثوبا واحدا، وهو النسيج والحياكة، فإن كانوا بادية، اقتصروا عليه وإن مالوا إلى الحضارة فصلوا تلك المنسوجة قطعا، يقدون منها ثوبا على البدن ويلبسونها والصناعة المحصلة لهذه الملاءمة هي الخياطة، وهاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر من الرفه، فالأولى لنسيج الغزل من الصوف والكتان والقطن إسداء في الطول وإلحاما في العرض وإحكاما لذلك النسيج بالالتحام الشديد فيتم منها قطع مقدرة (...) والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على اختلاف الأشكال والعوائد، تفصل أولا بالمقراض قطعا مناسبة للأعضاء البدينة، ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة

وصلا أو حيكا أو تثبيتا أو تفتيحا، على حسب نوع الصناعة (...) وإنما تفصيل الثياب وتقديرها والحامها بالخياطة للباس، من مذاهب الحضارة وفنونها» [5].

إلى الآن يتبين لنا أن النسيج ضرورة بشرية للدفئ، كما البناء ضرورة للكن والمأوى، ولكنه لا يقتصر على المدينة وحدها، بل إن لأهل البادية نسيجهم الذي يختلف عن نسيج أهل العمران والذي تمليه ظروفهم وبيئتهم.

ثم إن صناعة النسيج لا تختلف كثيرا عن صناعة البناء، فكلها تقوم بإضفاء علاقة ما بين أجزاء وقطع معينة.

فالبناء يصير (جسدا واحد) والنسيج (يصبح ثوبا واحدا) بفعل الخياطة التي تعنى بالتسدية طولا واللحمة عرضا، ومن ثم يتم إحكام الطول والعرض بالحبك أو الغرس، وفي ذلك تختلف الجهات والعادات، وهنا نجد مبدأ الحرية متحققا هو الآخر في هذه الصناعة، لكن هذه الحرية لا يمكن أن تخرج على القانون القائل بملائمة القطع بالوصائل حتى تصير ثوبا واحدا، فهي في النهاية نسيج ولكنها في البداية قد تكون شيئا غيره.

وإذن فالبناء والنسيج ينبعان من منبع واحد، ويصبان في مصب واحد، ويمكن أن نؤكد ذلك انطلاقا من التوليد التالي، الذي نراعى فيه علاقة الكلمتين بالخطاب الشعري:

1 - تحيلنا كلمة (البناء) معجميا عند ابن خلدون إلى الكلمات التالية :

- البناء بالحجارة المنجدة: وهو الأقوى والقادر على الاستمرار طويلا
- البناء بالأجر: وهو الذي يراعى فيه الفخامة والجمال.

- البناء بالتراب: وهو الأضعف والمعرض للذوبان والتلاشي.

- التصاق الجدران: وهو الدال على أن العلاقة بين الجدران علاقة تضام وتلاحم، وانفصالها يشكل عيبا بنائيا، إن لم يكن داخلا في تصميم المبنى.

- الطين والكلس: وهو للزخرفة والتزيين.

- الحيطان: وتعنى وجود حد أو سياج يفصل ما تحيط به عن العالم الآخر.

- الخشب: من ضرورات البناء.

- القالب: وهو الآلة المربعة التي تستخدم في انتاج (اللبن)

-الإفراغ : ويحيل إلى السكب وملئ القالب

2 - أما كلمة (النسيج) فتحيل عنده على :

-الخياطة: وهي الصناعة المنتجة للنسيج، وفي كلمة (الخياطة) ودلالتها تناسب مع كلمة (الخط) ودلالتها أيضا.

-التطريز: ويعني التزيين والتنميق.

-الحياكة : وهي إحكام الربط بين الخيوط، بحيث تكون ملتحمة، لا انفصال بينها تماما كالعلاقة بين مربعات النسيج أو دوائره...

-النقش: وهو الرسم المحفور في الثوب أو الجدار.

-السدي: وهو تزيين الثوب بأهداب مرسلة.

-النير: وهو تلاحم الخيوط واجتماعها.

-التقعر: وهو الاهتراء الذي يحدث للثوب الذي ساءت خياطته

عندما نقوم بمقارنة (بسيطة) بين الحقلين الدلاليين للكلمتين (بناء) و (نسيج) نستطيع إدراك ما تحيلان إليه إبداعيا، فالشعر كالبناء، لأنه

يحتاج إلى كل ما يحتاجه البناء من مقومات، ومهارات، ثم إن العلاقة القائمة بين ألفاظ القصيدة ووحدتها تماثل العلاقة بين أجزاء المبنى أو المنزل.

وهنا يمكن تأويل كلمة ابن خلدون (كأنها جسم واحد) بأنها تعني وجود وحدة عضوية في القصيدة.

ونستأنس في هذا التأويل بأن النص الشعري إذا كان بناء، فإنه لا بد وأن يتسم بهذه الوحدة العضوية، التي تفرض على البناء أن لا ينزع لبنة من مكانها وإلا تهاوى البناء، وعلى النساج أن لا يترك فراغا بين النسيج وإلا لم يعد الثوب ساترا.

ثم نأخذ دلالة (النسيج) التي لا تبعد عن دلالة (البناء) فكل منهما قد تحل محل الأخرى ما دامت تعنى القيام بإبرام تلك العلاقة الملتحمة بين الأجزاء والوحدات.

وتلتقى كلمتا (البناء) و (النسيج) في المعاني التالية: (التطريز . النقش . الحياكة . السدي). وبذلك يمكن تطريز الشعر بالمحسنات اللفظية، وحياكته بالنحو (دون الإستيلاء على حرية الشاعر)، ونقشه بالصور المنتزعة من خارج الذهن، المفرغة في الخيال، وتسديته بالقوافي.

وهنا نستدرك لنقول : إن هذه الصفات (التطريز . النقش . الحياكة . السدي) كلها كماليات في البناء العادي، وكذلك في البناء الشعري، لذا فالشاعر حر في استخدامها أو العدل عنها.

يبقى هذا مجرد اجتهاد يفتقر إلى موافقة ابن خلدون ، فلننظر إلى رأيه في صناعة الشعر، كيف تتم؟ وما هي أدواتها؟

صناعة الشعر

إن الشعر عند ابن خلدون (بناء) وهو ما جعله يربط بسط نظريته حول بناء الشعر، بمعجم معماري خاص، وليس ذلك غريبا، ما دام البناء يحيل إلى السكنى.

يقول محمد بنيس: «لقد جعل النقد العربي القديم من البيت الشعري مسكنا للمعني (ولا خير في بيت غير مسكون) كما يقول ابن رشيق، وبقدر ما يطرح هذا التعريف للسكن مسألة أسبقية المعنى، فإنه يثير ضرورة السكن بتفاعله مع البناء» (6)

وهذا الرأي يقودنا إلى فهم حقيقي لذلك المعجم البنائي، الذي يستخدمه ابن خلدون في تعريفه للشعر، وفي فهمه إياه، ذلك أن ابن خلدون يتكلم من منطق مديني، حضري، أي فترة ما بعد الجاهلية وصدر الإسلام، حيث الحضارة بأسمى معانيها الفكرية والسياسية والاقتصادية، ولكنه كان واعيا بزمنية التفكير، وحركية الزمن ذاته، وهو ما نجده في الأسلوب الذي غلب عليه الفعل الناسخ (كان) والأفعال الماضية، وظروف الزمان، والظروف المشتركة بين الزمان والمكان.

أما تعريف الشعر عنده فهو بمثابة درس مقدم للمتأخرين من الذين يرومون صناعة الشعر. يقول «... والشعر من بين فنون الكلام، صعب المأخذ على من يريد اكتساب ملكته بالصناعة من المتأخرين، لاستقلال كل بيت منه بأنه كلام تام في مقصوده (...) فيحتاج من أجل ذلك إلى نوع تلطف في تلك الملكة حتى يفرغ الكلام الشعري في قوالبه، التي عرفت له في ذلك المنحي من شعر العرب (...) ثم يأتي ببيت آخر كذلك ثم بيت آخر، ويستكمل الفنون الوافية بمقصوده، ثم يناسب بين البيوت في موالاة

بعضها ببعض بحسب اختلاف الفنون التي في القصيدة(...) ولنذكر هنا مدلول لفظة الأسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها في إطلاقهم، فاعلم أنها عبارة عندهم من المنوال الذي تنسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه (...) فمؤلف الكلام هو كالبناء أو النساج، والصورة الذهنية المنطبقة كالقالب الذي يبني فيه أو المنوال الذي ينسج عليه، فإن خرج عن القالب في بناءه، أو على المنوال في نسجه كان فاسدا « [7]

هكذا يتوسل ابن خلدون بمعجم معماري صارخ في تأكيده على بناء الشعر، رغم أن الشعر عنده (ملكة) إلا أن هذه الملكة تعتبر المادة الأولية لهذا البناء، حيث القوالب جاهزة، وما على الشاعر إلا أن (يفرغ) مواده في تلك القوالب، التي تشكل البيت والذي يليه إلى أن يكتمل بناء (البيوت).

ويمكن هنا أن نلاحظ في استخدام لفظة (بيوت) عنده سيطرة لا إرادية للمعجم البنائي، فرغم أن كلمة (بيوت) تعطي معنى (أبيات) في قواميس اللغة العربية، إلا إنها مطردة في وصف المساكن. ونجدها عند القرطاجني موظفة في معناها الذي أراد ابن خلدون، حيث أن حازما كان واعيا بالمعنى الثاني لها، يقول في معرض حديثه عن مقام البيت في القصيدة: « ولما قصدوا أن يجعلوا هيئات ترتيب الأقاويل الشعرية، ونظام أوزانها، متنزلة في إدراك السمع منزلة وضع البيوت وترتيباتها، في إدراك البصر، تأملوا البيوت، فوجدوا لها كسورا واركانا وأقطارا وأعمدة وأسبابا وأوتادا، فجعلوا الأجزاء التي تقوم منها أبنية البيوت، مقام الكسور لبيوت الشعر، وجعلوا اطراد الحركات فيها، الذي يوجد للكلام به استواء واعتدال، بمنزلة أقطار البيوت التي تمتد في استواء « [8]

لقد أدرك ابن خلدون كيف أن القصيدة العربية تفتقد لوجود وحدة عضوية، ولذلك فهو يقترح وحدة عضوية أخرى تقوم على الترتيب، دون اعتبار للفرق الزمني بين ميلاد البيت والبيت...

إنه يرى أن على الشاعر أن يكتب البيت والذي يليه، ثم الذي يلي ذلك، وبعد أن يستوفي الفنون (الأغراض) التي يروم، يبدأ في عملية ترتيب بين وحدات النص، أي أبياته.

فعملية بناء القصيدة عنده تمر بمرحلتين:

1 - مرحلة بناء الوحدات دون ترتيب.

2 - مرحلة ترتيبها.

وهو رأي نلامس مثيله عند ابن طباطبا، حيث يقول:»..فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته، و أعمل فكره في شغل القوافي، بما يقتضيه من المعاني، على غير تنسيق للشعر أو ترتيب لفنون القول فيه، بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه على تفاوت ما بينه و بين ما قبله، فإذا كملت له المعاني، وكثرت الأبيات، وفق بينها بأبيات تكون نظاما لها، وسلكا جامعا لما تشتت منها « [9]

فابن طباطبا يشترط وجود (سلك جامع) بين الأبيات، وهذا السلك هو الذي يخلق الوحدة العضوية بين مكونات النص.

أما ابن خلدون فيرى أن الترتيب يتم وفق منوال معروف، عند أهل هذه الصناعة.

وهنا نتساءل أين هي حرية الشاعر، إذا كان هناك شكل مسبق؟

يجيبنا ابن خلدون، بأن حرية الشاعر تكمن فيما سماه العرب « عمود الشعر» ففي مكونات هذا العمود يستطيع الشاعر أن يتصرف، فهو

شاعر يشعر بما لا يشعر غيره، وليس نحويا ولا بلاغيا ولا عروضيا لهذا فهو غير معني بالتزام ما سنه القدماء حول هذه العلوم الثلاث، إن على الشاعر أن يرجع في صناعته إلى « صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التركيب وأشخاصها، ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب، باعتبار الإعراب والبيان، فيرصها فيه رصا، كما يفعل البناء في القالب أو النساج في المنوال، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام، ويقع على الصورة الصحيحة»[10]

وقد يسأل سائل: كيف يوجد شعر خارج عن تلك العلوم الثلاثة؟

لكن ابن خلدون يضع في الحسبان هذا السؤال: حين يوضح أنه يكفي الشاعر أن يبقى كالبناء في تعامله مع القالب، وكالنساج في تعامله مع المنوال، لذا فهو يرسم صورة ارتسمت في الذهن، وهي صورة تعكس (أعيان التراكيب وأشخاصها) أي ما مثل منها، وما شخص للعيان، وهذه الصورة تمر من مستوى البصر بالعين أو القلب إلى مستوى الخيال، حيث يولد القالب أو المنوال، الذي يبدو أن لا دخل فيه للشاعر نفسه... وبعد ذلك لا مشاحة في أن يأتي الإعراب والبيان، بحيث يكون ذلك ربطا للصلة مع القديم، فيتم (رص) تلك الصور الذهنية في تلك القوالب التي حددوها.

الشعر عند ابن خلدون ليس كلاما موزونا مقفى فحسب، ولا هو « كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم [11].

فأصحاب هذه الآراء بالنسبة له يبحثون عن الوزن فقط، بمعزل عن الدال والمدلول، ولكن إذا كان هذا حدا لشعرية الشعر فما هي الحدود الفاصلة بينه وبين النثر المسجوع في القرآن وفي الخطب القديمة؟

يبدو أن لا فارق بين الجنسين في هذه الحالة.

لكن ابن خلدون يقترح تعريفا للشعر، بعد أن يفند تلك الآراء التي تنظر إلى الإبداع الشعري من زاوية موسيقية فقط، يقول: « وقول العروضين في حده إنه الكلام الموزون، المقفى، ليس بحد لهذا الشعر الذي نحن بصدده ولا رسم له، وصناعتهم إنما تنظر في الشعر من حيث اتفاق أبياته في عدد المتحركات والسواكن على التوالي، ومماثلة عروض الشعر لضربها، وذلك نظر في وزن مجرد عن الألفاظ ودلالتها، فناسبت أن يكون حدا عندهم، ونحن هنا ننظر في الشعر باعتبار ما فيه من الإعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة، الشعر هو الكلام البليغ المبنى على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي، مستقل كل جزء منها في غرضه، ومقصده عما قبله، وبعده بيان للحقيقة. [12].

بهذا التعريف يفارق الشعر النثر، ذلك أن الخطبة أو الحكاية، أو النص النثري، أيا كان غرضه، لا يمكن أن يستقل كل سطر منه بغرض عن الآخر، وإلا فقد نثريته، ودلالته الفنية التي تفترض فيه أن يكون ذا فرضية أحادية، ثم إنه لا يملك قالبا ثابتا، يبدأ. مثلا. بالبكاء على الإطلال ثم الرحلة، ثم المدح... فهذه من سنن النص الشعري (قديما) ، وهي ما أدت به إلى فقدان وحدته العضوية (مع وجود نثر فني يملك خصائص معينة كالمقامة).

أما الوزن والبلاغة والصور، فهي بواح على النثروالشعر معا.

إن هذا التعريف يجعل غاية الشعر تعبيرية أكثر منها تهذيبية، تعليمية ، لكن الملاحظ في هذا الرأي أنه يماثل رأيه في النثر أيضا حيث يعتبره صناعة، وأن له قوالب معروفة ومناويل يتم نسجه فيها، فالنثر إذا بناء ونسيج، والشعر بناء ونسيج.

بالعودة إلى التوليد السابق لكلمتي (بناء) و (نسيج) نلاحظ أن هناك تناقضا في رأي ابن خلدون حول الشعر، فرغم أن الشاعر مؤلف كلام، وهذا الأخير « هو كالبناء والنساج، والصورة الذهنية المنطبقة، كالقالب الذي يبنى فيه، أو المنوال الذي ينسج عليه» [13] .

ورغم أن العلوم الثلاثة (البلاغة والنحو والعروض) « خارجة عن هذه الصناعة الشعرية» [14].

رغم كل هذا يبقى الشاعر أسيرا لقوالب سابقة عليه، فهو لن يكون (بناء) وإنما (مرمما) أي يقوم بإعادة بناء، لأنه لا يمكن أن يفارق ما سنة الأقدمون ، بحيث يحتاج من أجل أن يمارس (صناعة الشعر) « إلى نوع تلطف في تلك الملكة، حتى يفرغ الكلام الشعري في قوالبه التي عرفت له في ذلك المنحى من شعر العرب» [15]

فلا ينبغي عند ابن خلدون أن يتم تجاوز ما سنه العرب، ثم إن عدم التقيد بقوانين النحو والبلاغة والعروض ليس ضمانا لشعر جيد، فعلى الشاعر أن « ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها فيه رصا» [16]

والرص يعني إملاء الثغور والفراغات، وتلك ضرورة ملحة في عملية البناء؛ حتى يتم توازن وتلاحم أجزاءه، فكيف يتم الاستغناء عنها، كما

اقترح ابن خلدون بداءة، مادام الشعر بناء؟ واعتقد أن ضرورة (الرص) في البناء مثل ضرورة التسدية في النسيج، كما يؤكد ذلك ابن طباطبا قبل ابن خلدون.

يقول متحدثا عن الشاعر: «..ويكون كالنساج الحاذق الذي يفوف وشيه بأحسن التوفيف، ويسديه، وينيره، ولا يهلل شيئا منه فيشينه، وكالنقاش الرفيق الذي يضع الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشه، ويشبع كل صبغ منها، حتى يتضاعف حسنه في العيان» [17]

هكذا يعتبر ابن طباطبا العلوم الثلاثة الآنفة، أدوات تزيينية، ترصع الشعر وتزخرفه.

إننا نبني رأينا القائل بتناقض ابن خلدون، على فرضية أن على الشعر أن ينبع من حرية مطلقة وهي فرضية قد لا تكون واردة إزاء أي مقاربة نقدية قديمة، أو تستمد مرجعيتها من القديم، فهل يعني هذا «أن كل معرفة تعالج الأدب موضوعا لها هي حتما مخيبة للأمل» ؟ وهل «أنها لا يمكن أن تكون إلا معرفة تعالج الأدب انطلاقا من معرفة أخرى» ؟ [18]

إذا كان الأمر كذلك فلا يمكن أن يمارس نقد الشعر إلا الشعراء، وهم وحدهم من له الحق في أن يختار الشكل الذي يناسبه، ويقصي الأشكال الجاهزة.

الحرية الإبداعية التي ننشدها لا يمكن أن تتحقق إلا إذا أدرج «الناقد، المؤرخ، العالم، خطابه الخاص ضمن الموضوع الذي يتناوله، أي الأدب، وبكلمة موجزة أن يجعل من نفسه كاتبا» [19].

ربما ذلك ما غاب عن ابن خلدون، ولكن الذي لم يغب عنه هو أن الشاعر «نبي» حتى وإن لم يصرح بهذا الوصف، إلا أن قوله: إن «الشعر

يعتمد على الصور المنتزعة من الذهن، المرسلة إلى الخيال»، يجعلنا نعيد النظر قليلا في صورة الشاعر أيام كان نبيا، أو يقترب من مرحلة الألوهية عند الجاهليين.

لقد استطاع ابن خلدون أن يجمع أغلب الآراء النقدية التي اهتمت بالشعر كبناء، والتي فككت القصيدة إلى وحدات مختلفة، وأن يطور هذه الآراء تطويرا بين لنا مدى التفاوت بين المشارب الثقافية لنقادنا القدماء.

ويمكن أن نلاحظ أن أهم من أثر في ابن خلدون نقديا هو ابن طباطبا، فبغض النظر عن ما تعرضنا له من تشابه واختلاف بينهما في بنية القصيدة العربية، يمكن أن نرصد (تناصا) واضحا بينهما فيما يتعلق ببنية البيت الشعري عند العرب، باعتباره وحدة أساسية يقوم عليه بناء القصيدة، وهي الوحدة الشعرية التي أشبعت بالدراسة قديما، بعكس ما نجده حديثا حيث «يصعب العثور على تصور للبيت في الدراسات العربية الحديثة» [20].

إن ابن طباطبا يعتبر البيت هو (السلك الجامع) لأطراف القصيدة، وبدونه فإنها تظل مشتتة ولا تحمل التسمية ذاتها.

أما ابن خلدون فيسمى البيت (قطعة)، فحين أراد أن يعرف الشعر تعريفا تفكيكيا، قال: «...وهو في لسان العرب غريب النزعة، عزيز المنحى، إذ هو كلام مفصل قطعا، قطعا ، متساوية في الوزن، متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة، وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا» [21].

وفي مقطع آخر يتعرض لبنية البيت ذاته، فإذا كانت الأبيات هي القطع

التي يتم بواسطتها بناء القصيدة، فإن لهذه القطع مكونات ضرورية، أهمها (القافية). يقول:»...وليكن بناء البيت على القافية من أول صوغه، ونسجه بعضها، ويبني الكلام عليها إلى آخره، لأنه إن غفل عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها في محلها» [22].

إن أهم مكونات البيت إذا هي القافية، فهي الأساس الذي يتم عليه بناء البيت، ولنا أن نتصور صعوبة وضع أساس لبناء تم دون ذلك، كذلك من الصعوبة وضع قافية لبيت تشكل دونها.

خصوصا وأن القافية عند ابن خلدون، ليست الكلمة الأخيرة من البيت كما رأى ذلك بعض النقاد، وإنما هي الروي، أو الحروف الأخيرة منه.

لا فرق إذن بين (القافية) و (الروي) عند ابن خلدون، فكل منهما أساس في بناء البيت. وهورأي سبق وأن أشارإليه ابن طباطبا في كلامه عن (الشعر وأدواته)، حيث يقول: «...وتكون قوافيه كالقوالب لمعانيه، وتكون قواعد للبناء يتركب عليها، ويعلو فوقها، فيكون ما قبلها مسوقا إليها، ولا تكون مسوقة إليه، فتقلق في مواضعها، ولا توافق ما يتصل بها» [23]

هكذا يمكن الجزم بأنه ليس من الحيف في حق ابن خلدون، إن نحن قلنا بإطلاعه الواسع على كتاب ابن طباطبا (عيارالشعر)، رغم أنه لا ينكر استفادته من أغلب السابقين عليه، وقد ذكرهم صراحة في أماكن متفرقة من (المقدمة)، ومن أشهرهم ابن رشيق وكتابه (العمدة).

ختاما، يمكن أن نستخلص أن ابن خلدون كان يعيد أغلب الآراء المتعلقة ببناء الشعر، والتي سبقه إليها نقاد آخرون. ولكن هذه الإعادة كانت في لبوس أكثر حداثة، وأقرب إلى روح التجديد من الأصل.

لقد كان ابن خلدون واعيا بما يلي:

-الشعر كالبناء في أهميته للإنسان وفي نوعية العلاقة القائمة بين أجزاءه.

-الشاعر محتاج إلى ثقافة تساعده في بناء شعره على دعائم قوية، تماما كما هي الحال مع البناء أو النساج.

-الصورة الشعرية تبدأ ذهنية ثم تخيلية، ثم معنى واقعيا.

-الوزن والنحو والبلاغة ليست أصلا من أصول صناعة الشعر.

-الشعر بناء حجارته الأبيات، والأبيات بناء أساسه القافية أو الروي.

-الشعر إبداع وعلى الشاعر أن يبتعد عن تقليد الأقدمين (السرقة) وأن لا يروم الصور المطردة في أشعار غيره كما يفعل شعراء الربانيات أو النبويات.

-لا وجود لوزن مجرد عن الألفاظ ودلالتها.

- بناء القصيدة يمر بمرحلتين:

1 - مرحلة ميلاد الأبيات دون واصرة بينها

2 - مرحلة التأليف بينها

- الصورة الشعرية تبنى على (الاستعارة) والشعر هو الكلام البليغ.

هذه إذن أهم المحاور التي استطعنا أن نستشفها من رأي ابن خلدون حول (مفهومي البناء والنسج) وعلاقتهما بالظاهرة الشعرية، وهي محاور، قد لا تخلو من تناقض، إلا أنها تحمل خلفية واعية بالشعر والنقد، فهما ونتاجا.

وملاك الأمر، أن ما كتبه ابن خلدون عن الشعر، رغم اقتضابه – مقارنة بما تناوله من مظاهر العمران الأخرى - يحتاج إلى بحث وتدبر أكثر

من ما قمنا به هنا، ذلك أن الرجل يثير إشكاليات كثيرة ويفرض أسئلة ملحة ، قد تساهم في بلورة رؤية واضحة لنظرية الشعر في النقد العربي القديم.

ومن هذه القضايا :

- نشأة الشعر

- تعريف الشعر، وعلاقته بالنثر

- عزوف العرب عنه في بداية الدعوة الإسلامية (وفي ذلك نظر)

- شعر البادية (الشعر الهلالي)

- نقد الشعر

- عوامل قرض الشعر (البيئة ، الزمن)

- الشعر والبلاغة

إلى آخر ذلك من القضايا المرتبطة بالشعر، والتي أثارها الرجل في مقدمته، من موقع الشاعر والناقد والمؤرخ.

الهوامش :

1 - ابن خلدون: التّعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغَرباً. دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصريّ 1979 ص 8.

2 - نقلا عن : خير الدين الزركلي (قاموس وتراجم الأعلام) ج 3 – دار العلم للملايين – ط1 مايو 1980 – ص 330

3 - ابن خلدون ـ المقدمة ـ دار الكتاب العلمية ـ بيروت ـ ط1 ـ 2000 – ص 320-321-322

4 - يشبه الثعالبي عملية تأليف كتابه (يتيمة الدهر) بعملية بناء دار، فيقول : «.. وصار مثلي فيها، كمثل من يتأنق في بناء داره، التي هي عشه، فلا يزال ينقض أركانها، ويعيد بنيانها، ويستجدها على أنحاء عدة وهيئات مختلفة». (انظر : د/ محمد بلاجيبي – توظيف العناوين.. ندوة الأدب القديم أية قراءة؟ - ص 137

5 - المقدمة – ص 324

6 - محمد بنيس : الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها/ ج3 - دار توبقال ـ المغرب ـ ط1 -1990 ص 66

7 - المقدمة – ص 489 وما بعدها.

8 - حازم القرطاجني – منهاج البلغاء – تح : محمد الحبيب بن الخوجة - ط -1 دار الكتب الشرقية 1966 – ص 250

9 - ابن طباطبا – عيار الشعر – تح : محمد زغلول سلام – ط3 – منشأة المعارف – مصر – ص 43

10 - المقدمة – ص 489

11 - عيار الشعر – ص41

12 - المقدمة – ص 492

13 - نفسه – ص 490

14 - نفسه – ص 489

15 - نفسه والصفحة نفسها

16 - نفسه والصفحة نفسها

17 - عيار الشعر – ص 43

18 - رولان بارت ـ الأدب من المعرفة إلى المسافة ـ مجلة الثقافة الجديدة ـ العدد 28 السنة السادسة 1983.

19 - المقال نفسه

20 - محمد بنيس – الشعر العربي الحديث - ص 125

21 - المقدمة – ص 488

22 - نفسه – ص 493

23 - عيار الشعر – ص 42

نحو استثمار نظريات التّعريف في صناعة معجمات لغير الناطقين بالعربية

(قراءة في معجم فانيا عبد الرحيم الخاص بدروس اللغة العربية لغير الناطقين بها)

د. حميدي بن يوسف
أستاذ محاضر جامعة المدية (الجزائر)

1. مقدّمة:

نتعرّض في هذه الورقة البحثية إلى موضوع متصّل بالمناهج والأدوات والمقررات الخاصة بتعليم العربية لغير الناطقين بها، ونتناول بالتحديد أداة من الأدوات القاعدية في تعليم اللغة وتعلّمها بصورة عامة، وفي تعليم وتعلّم اللغة لغير الناطقين بها على وجه الخصوص؛ فالمعجم يعد من أهم المصادر التي تُستقى منها المعرفة اللغوية (الدلالية والصرفية والصوتية خاصة) وغير اللغوية على حد سواء. وعليه، فمن الطبيعي، بل من اللازم أن نبحث عن مواصفات المعجم المنشود الموجَّه إلى متعلمي اللغة العربية غير الناطقين بها، ونسعى إلى تطويرها بما يلبي حاجياتهم المعرفية والتواصلية.

وضمن دائرة الاشتغال هذه يحاول بحثنا تبيين كيفية استثمار النظريات الخاصّة بالتّعريف المعجمي (العربية القديمة والغربية الحديثة) في صناعة معجم يستجيب لمتطلبات متعلّمي اللغة العربية

الأجانب، فكثيرا من المعجمات المخصصة لهذا الغرض لا تعدو أن تكون سوى مسارد (glossaries)؛ حيث إنّها تكتفي بتقديم قوائم من المفردات باللغة الأجنبية وتذكر ما يقابلها باللغة العربية. والحق أنّ في هذه المسارد فائدة كبيرة على اعتبار أنّها تمكّن المتعلّم من تحصيل رصيد معجمي وفير باللغة العربية، وهذا ما يسمح له بالتّعرّف على عدد كبير من المسميات وما يقابلها من تسميات خاصّة بها في اللغة العربية بالاعتماد على لغته الأولى.

ولكن مثل هذه المسارد (ثنائية كانت أو متعدّدة اللغات) في رأيي وإن وافقت متطلّبات جزء من متعلّمي اللغة العربية غير الناطقين بها، (وبخاصّة المبتدئين منهم)، فإنّها تبقى قاصرة على أن تستجيب للحاجات التعليمية لأولئك الذين ارتقوا في مدارج تعلّم اللغة العربية (مستوى متوسّط مثلا). ومن النقائص التي تطرحها هذه المسارد، هو أنّ اللفظ العربي المقابل للفظ الأجنبي، يكون في حالات كثيرة من المشتركات اللفظية، أو من الألفاظ متعددة الدلالة، وهو ما يوقع المتعلّم أحيانا في لبس دلالي. ومن هنا تظهر الحاجة إلى إدراج التعريفات في المعجمات الموجّهة إلى المتعلمين غير الناطقين بالعربية.

ولما كان التّعريف بهذه الأهمية، فمن المفيد معرفة طبيعة التّعريفات المعجمية التي يمكن أن توظَّف في المعجمات الموجّهة إلى متعلّمي العربية غير الناطقين بها. وبالرّغم من الاعتراف بأنّه ليس من السهل اختيار نوع التّعريف المناسب في المعجم، على اعتبار أنّ التّعريف مرتبط بعوامل متغيرة كثيرة، مثل نوع المعجم، والهدف من تأليفه، وطبيعة الجمهور المستقبل، وحجم المعجم، فإنّه قد بدا لي بأنّ الرجوع إلى النّظريات الخاصّة بالتّعريفات بمختلف مسائلها وبخاصّةٍ أنواعها، ووظائفها في المعجم، يمكن

أن يفيد في تصوّر نماذج تعريفية في المعجمات الموجّهة إلى غير الناطقين بالعربية، وهذا من أجل إنجاز معجمات يمكن أن تُقرَّر في المدارس الخاصة بتعليم العربية لغير الناطقين بها، معجماتٍ تستجيب للمتطلبات المنهجية الخاصة بصناعة المعاجم الموجَّهة إلى طائفة مخصوصة من المتلقين، ثم استثمار ذلك في بناء معجمات محوسبة مؤسسة على هذه المعطيات المذكورة، وهذا هو الهدف الذي نتوخى تحقيقه في هذا البحث.

2 . أهمية المعجم بالنسبة لمتعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها:

يكتسي المعجم أهمية بالغة بالنسبة لمتعلمي اللغة بصورة عامة، وتنبني أهميته أساسا بالنّظر إلى أنّه يرتبط في عمومه بتعلّم المفردات، باعتبارها الوحدات القاعدية الدالة على معنى، ومن ثمّ فهي تتوفر على عنصر الإحالة إلى المراجع الخارجية، وهو ما يوفّر أداة حقيقية للتواصل بين الناس، وعلاوة على ذلك فهو يعد من أدوات التعلّم الذاتي الذي يتيح الحرية بالنسبة إلى المتعلّم، فـ«معظم الدراسات تؤكد على ضرورة التقليل من دور المعلم في العملية التعليمية والتركيز على المتعلم وما يوفره لنفسه من وسائل تعينه على اكتساب وتعلم اللغة بشكل جيد وفعال، ولعل استعمال المعجم يبرز كأحد هذه الوسائل خاصة إذا كان هذا المعجم مصممًا على أسس علمية وتربوية تلائم حاجات الدارسين».[1]

وإضافة إلى ذلك فإنّ «تشجيع المدرس للطالب وحفزه نحو استعمال المعجم يذكي في الطالب روح الإبداع وتعزيز الثقة بنفسه؛ لأنه يبحث عن المعلومة من تلقاء نفسه، وهذا ما تفرزه الدراسات الحديثة التي تنصّ على أن الدارس ينبغي أن يكون مبدعًا إيجابيًا لا مستقبِلا سلبيا».[2]

وربما تعظم هذه الأهمية بالنسبة لمتعلّمي العربية من غير الناطقين بها، فعند عدم توفر إمكانات لكل من يريد تعلّم اللغة العربية من الأجانب بصورة نظامية ومبرمجة، وفي مؤسسات تعليمية، فكثير من المتعلمين الذين لا يجدون سبيلا للتعلم النظامي يلجأون إلى المعجم وبخاصة المعجم الثنائي لمباشرة التعلم الذاتي. وإذا كان ذلك كذلك، فإنّ المعجم يظل إحدى الوسائل المتاحة لغالبية المتعلمين الأجانب الذين لا تتوفر لهم هذه الإمكانات النظامية.

ومن زاوية وظيفية، «يحتاج متعلم اللغة الأجنبية إلى «استخدام المعجم» باستمرار لفهم معنى الكلمات الجديدة أو التأكد من معنى كلمة تعلمها سابقًا وعلى الرغم مما يسببه استخدام المعجم من إرهاق وملل، يبقى مفيدًا وضروريًا في كثير من الأحيان، فالمعاجم مصادر لتعلم اللغة تزود المتعلمين بمعلومات جوهرية تتعلق بالكلمات بما في ذلك كيفية نطقها ورسمها واشتقاقاتها ومعانيها واستخداماتها. وبهذا يمكن للمعجم أن يسهم في إغناء المعرفة المعجمية لدى المتعلم، ويعزز استيعابه القرائي، ومن ثَم عملية تعلم المفردات»[3].

وإذا كانت هذه الغاية المعرفية المرتبطة بإدراك وتمثّل معاني المفردات بالنسبة للمتعلّمين الأجانب أساسية، فإنّ هناك غايات أخرى مرتبطة بها، ولا سيما من الناحية السلوكية، بحيث «يرى أكسفورد وكروكال أن «الجهد الذي يبذله المتعلم في الكشف عن معنى الكلمة في المعجم يساعد على ترسيخ معناها في الذهن»[4]. إذن فالبحث في المعجم يلعب دورا تعزيزيا كما هو الأمر بالنسبة إلى التكرار أو التغذية الراجعة أو غير ذلك من وسائل التّعزيز اللغوية وغير اللغوية.

ويؤكد أحمد نشوان أهمية المعجم بقوله:«إن من يعرف اللغة العربية وتاريخها والحاجة الماسة إلى انتشارها خاصة في هذا الوقت يقربأن ثمة ما يدعو إلى تأليف معاجم متخصصة لمتعلميها وغيرهم وتتأكد تلك الأهمية إذا أدركنا أن حقل تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها يعاني نقصًا بارزًا وضعفًا واضحًا في وجود معاجم متخصصة لهذا الغرض أحادية كان أم ثنائيَّة»[5] . والحق أنّ نشر اللغة العربية وتوسعة رقعة استعمالها هو مطلب ضروري في كل زمان، ولكن هذه الضرورة هي أشد في وقتنا الراهن الذي المتميز بالعولمة الاتصالية التي عملت على إحلال اللغة الإنكليزية محل كل لغة قومية، فوضع اللغة العربية خطير يحتاج إلى إيجاد آليات لنشرها وتمكينها في التواصل، والعمل على إيجاد السبل والطرائق الملائمة لتعليمها لغير الناطقين بها.

وإذا كان واقع تعليم اللغة العربية يشهد وجود نقص وضعف في المعاجم الموجّهة إلى غير الناطقين بها، كما نبه إلى ذلك أحمد نشوان، وفي ضوء الأهمية الكبرى للمعاجم الموجّهة إلى هذه الطائفة، تبيّن أنّ مراجعة هذا النوع من المؤلفات يعد من أولويات الاستراتيجيات الخاصة بتعليم العربية للأجانب. وهو ما تسعى هذه الورقة إلى توضيحه.

وبخصوص نوعية المادة الإفرادية المشكلة للمداخل المعجمية فإنّ هذه المعاجم تكون «مبنية على إحصائيات دقيقة للألفاظ الأساسية ملبية الحاجات المختلفة للدارسين على مختلف مستوياتهم وأهدافهم من تعلمها»[6]. والحقيقة أنّ طبيعة الجمهور المستهدف والغايات المتوخى تحقيقها من تعلّم اللغة هما المعياران الأساسيان في اختيار المداخل المعجمية، وعليه يتعيّن على مؤلّف المعجمات أن يُثبت في مقدّمة معجمه

طائفة المتلقين الذين يُتوجه إليهم بالمعجم. وبالرّغم من أنّ متعلّمي اللغة العربية من الأجانب لا يمثلون إلاّ قطاعا من دائرة المتلقين بصورة عامّة، إلاّ أنّ هذا لا يعني بأنّ معجما واحدا يفي بكل متطلباتهم التعليمية، فهذه الطائفة تضمّ أفرادا ذوي مستويات متباينة ويسعون إلى تحقيق أهداف تعليمية مختلفة.

وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ إحداث توافق بين نوعية المعجم وبين الجمهور المستهدف هو مطلب أساس يُراهن عليه في جودة المعجم من عدمها. ولكن ما ينبغي التنبيه إليه هو أنّه لا ينبغي أن يُحصر مفهوم «نوعية المعجم» في كونه ثنائيا أو أحاديا أو متعددا، أو في نوعية وحجم الألفاظ المكوّنة له، وإنّما يرتبط أيضا بعناصر أخرى يمكن أن تؤثر على هذا التوافق المنشود، ولعل من أهمها نوعية التعريف الذي تُحدَّد من خلاله المداخل المعجمية.

3. التعريف في المعجم الثنائي وأثره على متعلمي اللغة من الأجانب:

يتشكل المعجم اللغوي أساسا من مداخل لغوية مرتبة وفق طريقة معيّنة، ويظهر المعجم الثنائي في صورة مسارد تكتفي بتقديم المقابلات الإفرادية الموجودة بين لغة وأخرى، كما يظهر مكتملا من خلال إدراجه لعنصر التّعريف.

وبخصوص أهمية التّعريف، فيكفي هنا أن نورد ما ذكره إبراهيم بن مراد في سياق حديثه عن المعاجم العربية المختصة الصادرة حديثا، حيث يقول: «إنّ اكتفاء مؤلِّفيها في الغالب بإيراد قوائم من المصطلحات الأعجمية المقابلة بمصطلحات عربية قد أفقدها أهمَّ أركان المعجم وهو

التعريف، فهي إذن ليست معاجم بالمعنى التّام»[7]. إذن، فالتعريف يعدّ عصب المعجم وقوامه، وخاصة إذا كانت الغاية المتوخاة من تأليف المعجم تتمثل في تقديم معلومات ومعارف خاصّة بمعاني الكلمات إلى المتعلّمين.

ولكن إدراج التّعريف لا ينبغي أن يكون بصورة عشوائية أو نمطية، بل يخضع أيضا لبعض الضوابط، فإذا كانت أغراض المعجم مُختلفة «فينبغي للتعريفات إذن أن تكون موافقةً للغرض من المعجم»[8]، فالمعجم الذي يكون موجَّها إلى أطفال أو إلى المتعلّمين الأجانب، أي التي تكون غاياته تعليمية أساساً، ينبغي أن تتّسم تعريفاته بالوضوح، وأن تكون مُدعّمة بالأمثلة والرسوم التوضيحية، وأن تكون كلماته المُعرِّفة وظيفية؛ والمعجم الموجّه إلى المتخصّصين ينبغي أن تكون عباراته ملتزمة بالدقّة الكبيرة، بحيث تسمح للمفاهيم أن تتمايز عن بعضها البعض، وهكذا. والحقيقة أنّ هذا الشرط أساسي في التأليف المُعجمي، ومن ثمّ فمن الضروري أن يُحدّد المؤلِّف طائفة الأشخاص المُستهدفين ومستوياتهم.

وبخصوص أنواع التعريف وعلاقتها بالمعجم الموجّه إلى متعلّمي العربية غير الناطقين بها، فيظهر من خلال الطائفة المستهدفة في هذا المبحث والمتمثلة في جمهور المتعلّمين للغة العربية من غير الناطقين بها أنّ التّعريفات المثبتة في المعاجم الموجّهة إليهم ينبغي أن تكون ذات وظيفة تعليمية، وعليه فإنّه يتعيّن على مصنّف المعجم الموجَّه إلى متعلمي العربية من الأجانب أن يختار من بين أنواع التعريفات تلك التي تحقق هذا الغرض التعليمي، وأن ينأى عن بعض الأنواع التّعريفية الأخرى التي لا تفيد هذه الطائفة، مثل التّعريفات ذات الغاية التأريخية [9] التي تحاول التأصيل لمعنى كلمة والتّغيرات التي تطرأ عليه، أو التعريفات الحقيقية [10] التي تهدف

إلى الوصول إلى ماهية الشيء، أو التّعريفات الموسوعية [11] التي تتوفر على معلومات إضافية غير مباشرة عن الشيء المُعرَّف والتي لا يحتاج إليها المتعلّم، وغير ذلك من أنواع التّعريفات التي لا تفيده كثيرا.

ولقد تبيّن من خلال اطّلاعنا على أغلب أنواع التّعريف أنّ هنالك عددا من الأنواع التعريفية أكثر مناسبة وصلاحية من غيرها لمتعلمي اللغة من غير الناطقين بها أكثر من غيرهم، ويمكن حصر هذه الأنواع في: التّعريف الإحالي، والتّعريف بالكلمة المرادفة، والتّعريف الجملي، والتّعريف بالأمثلة السياقية، والتّعريف بالضد، وبالشبيه، والتعريف التقسيمي، والتّعريف باعتبار الوظيفة. وسنحاول فيما سيأتي توضيح كيفية إفادة هذه الأنواع التّعريفية لمتعلّم اللغة العربية من الأجانب.

1.3. التعريف الإحالي [12]:

التعريف الإحالي هو ترجمة للمصطلح الإنكليزيextensional definition، ويُحدَّد بصورة عامّة على أنّه التّعريف الذي «يُحصي الأشياء التي ينطبق عليها المفهوم [المُعرَّف]»[13]. وتقول «م. ت. كابري» «Maria Teresa Cabré» في سياق حديثها عن هذا النوع بأنّ «وصف مفهومٍ باستحضار الإحالة يكمن في إحصاء كلّ التّحقّقات الممكنة [له]» [14]. ويستفاد من هذا القول أنّ المُعرِّف الذي يستخدم التّعريف الإحالي ينطلق من الواقع الخارجي ويُحاول حصر ما ينطبق عليه ذلك المفهوم من مراجع، ثمّ يذكرها في التّعريف في صورة قائمةٍ من الألفاظ.

ومن الأمثلة المُوضّحة للتّعريف الإحالي ما ذكره «سيبالا» في تعريفه للكوكب: «planète» حيث يقول بأنّ «تعريف مفهوم «الكوكب» يُحصي مجموعَ الأفراد، [و] يُجرِّد القائمة الشاملة للأمثلة التي ينطبق عليها المفهوم

المعرَّف. [مثلا] كواكب النظام الشّمسي هي: عطارد، الزهرة، الأرض، المريخ، المشتري، زُحل، أورانوس، نبتون، بلوتون»[15] . وكما هو واضح من هذا المثال فإنّ مفهوم الكوكب يعرَّف من خلال إحصاء قائمة تمظهراته أو ماصدقاته، فكلّ فردٍ من الأفرادِ المذكورةِ في تعريف الكوكب يصدُق عليه تعريف الكوكب. وفضلا عن ذلك، فإنّ القائمة المذكورة هي قائمة مُغلقة، حيث إنّ التّعريف أحصى كلّ الأفراد المُجسّدة لهذا المفهوم دون استثناء. وما يجمع بين هذه الأفراد الأشياء أو المراجع المُجسّدة للمفهوم المُعرَّف هو أنّها تحمل نفس الصفات والخصائص التي تجعلها تنتمي إلى المفهوم.

وتظهر الغاية التعليمية للتعريف الإحالي، في كونه يحيل مباشرة إلى مراجع يدركها المتعلّم في الغالب، فتعريف الكوكب بأنّه «الأرض، أو المريخ، أو عطارد .... هو أقرب تمثُّلا بالنسبة للمتعلّم إذا ما تمّت مقارنته بالتّعريف المنطقي (بالجنس والفصل) الذي يحدِّد الكوكب بأنّه «جرم سماوي ضخم ...». فالتّعريف الثاني قد يدفع بالمتعلّم إلى تشكيل صورة ذهنية ضبابية أو خاطئة أحيانا عن الشيء المراد معرفته.

والتعريف الإحالي مفيد بالنسبة لمتعلّمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها، حتى ولوكانت المراجع التي يُحال إليها في هذا التّعريف خاصة فقط بالثقافة العربية الإسلامية، فتحديد مفهوم الركن الإسلامي في المعجمات الموجّهة إلى هذه الطائفة على أنّه: «الشهادتان، والصلاة، والزكاة، الصوم، والحج». يبدو أقرب إفهاما من تحديدها على أنّها أصول للدين الإسلامي من الضروري أن يقوم به المسلم.

ولكن ما ينبغي التنبيه إليه هو أنّ هذا النوع من التّعريف لا يناسب جميع المُعرَّفات، بحيث أنّه يكون مناسبا في تعريف المراجع المشكّلة لقائمة

مغلقة من المراجع تتفق في الصفات والخصائص المحققة لنفس الجنس. وإذا كان الأمر كذلك، فإنّه يتعيّن على مؤلّف المعجمات الموجّهة إلى غير الناطقين بالعربية أن يتخيّر المعرَّفات التي يناسبها هذا النوع من التعريفات.

2.3. التّعريف بالكلمة المرادفة

ويتأسس هذا النّوع من التّعريفات اللفظية على تحقيق المساواة الدلالية التامة أو التقريبية بين اللفظ المعرَّف واللفظ المُعرِّف. وهو تعريف «عادة ما يُستعمل في معاجم اللغة، ويسمح باستحضار معنى كلمة من خلال اقتراح كلمة أخرى تحمل معنى قريبا جدّا منها».[16] ويظهر من خلال هذا التّعريف، أنّ الكلمة تُقابَل عند تعريفها بكلمةٍ واحدةٍ دون اشتراط التّطابق التّام بين دلالتي الكلمتين. ويُقدّم «روبير إنيس» «Robert Ennis» مثالا على ذلك، من خلال تعريفه «القوّة: بأنّها الدفع أو الجر»[17]. وبالرّغم من أنّ معنى (القوة) لا يساوي معنى الدفع أو الجرّ مساواة تامّة، فإنّ أهمّية هذا النّوع من التّعريف بحسبه، ومن خلال ربطها بالمثال، تكمن في أنّه «على الأقل يؤدّي إلى تجنّب مشكل البحث عن الأجناس العامّة للقوى»[18]. ويبدو بأنّ «إنيس» انطلق من مقابلة هذا النّوع بالتّعريف المنطقي الذي يُبحث فيه عن جنس عامّ يندرج تحته المُعرَّف. ولكن أحيانا يصعب إيجاد هذا الجنس، كما هي الحال بالنّسبة لمثال القوّة السابق، فحينذاك تظهر الحاجة ماسة إلى التّعريف بالمرادف.

وتكمن الفائدة التّعليمية للتعريف بالكلمة المرادفة، زيادة على تقديم بدائل لفظية للمتعلم، في تحديد معنى كلمة من خلال معنى كلمة ثانية، ولكن ما ينبغي التنبيه إليه، وبخاصة بالنسبة إلى متعلمي العربية من

الأجانب، هو أنّه من اللازم أن تكون الكلمة المرادفة أكثر وضوحا وشيوعا من الكلمة المراد تعريفها، فمستعمل المعجم اللغوي من غير الناطقين بالعربية لا يهمّه إثراء رصيده الإفرادي بقدر ما يهمّه البحث عن معنى الكلمات التي صادفها، فالمطلب في الغالب يكون وظيفيا.

3.3. التّعريف الجُملي:

وفي هذا النّوع من التّعريفات «لا يكون الملفوظ [التّعريفي] المقترح حينئذٍ للقارئ مرادفاً للكلمة المدخلية؛ [ولكن] يتعلّق الأمر بجملةٍ يكون فيها معنى الكلمة موضّحاً»[19]. وتوضيحا لذلك، يمكن القول بأنّ اللفظة في هذا التّعريف توضع في سياق لغوي ما بحيث يتبيّن معناها بالنّظر إلى ما يُحيط بها من كلمات، ولكن ما يُميّز هذا السياق هو أنّه يأخذ شكل جملة تامة. وتُقدّم «راي ديبوف» الجملة التالية مثالا على ذلك:

«(Obèse: une personne obèse est une personne plus grosse que la normale)»[20].

ويُمكن ترجمة هذا المثال على النّحو التالي: «بدين: شخص بدين هو شخص أضخم من الحجم الطبيعي».

لقد تبيّن من خلال هذا المثال أنّ كلمة Obèse وُضِعت في سياقٍ لغوي أخذ شكل جُملة تامة (بكلّ مكوّناتها) تَحَدَّدَ من خلاله معنى هذه الكلمة، فهنا تكون علاقة التّساوي بين المدخل والتّعريف غير مطلوبة، بل إنّ التّعريف إذا جاء في شكل جملةٍ يؤدّي إلى تخصيص معنى الكلمة المُعرَّفة، وحصرها في ذلك المعنى المتأتي من السياق.

وتُعلِّق «ديبوف» على هذا الشّكل التّعريفي الموضَّح في المثال السابق قائلة: «ولكن لديه [أي التّعريف الجُملي] الامتياز في تقديم الجدول الدلالي

للاسم أولمتمّم المدخل ([يُقال] «شخص» بدين، ولا يُقال حيوان [بدين])، كما يسمح بتجنّب الأقواس في التّعريف»[21].

ويُفهم من قولها بأنّ التّعريف الجملي «يُقدّم الجدول الدلالي للاسم» أنّ هذا التّعريف يسمح بمعرفة قائمة الكلمات التي يُمكن للكلمة المُعرَّفة أن تتوارد معها في السياق؛ ففي المثال السابق لمّا وضعت كلمة «بدين» في الجملة المُعرِّفة تاليةً لكلمة «شخص» أدّى هذا التوارد إلى نفي إمكانية أن ترتبط هذه الكلمة بحيوانٍ مثلا، فلا يُمكن أن يُقال: «حيوان بدين» إلاّ إذا وردت جملة أخرى تجمع بين هذين اللفظين، أو ذُكر لفظ الحيوان بعد لفظ الشخص. والظاهر بأن هذا الامتياز لا يتحقّق في التّعريف الترادفي؛ فتعريفُ لفظ بدين بالمرادف سمين لا يُظهر الكلمات التي تتوارد معها هذه الكلمة، مما لا يسمح بتمييز السياقات التي يسمح التواصل بها مِن السياقات التي لا يسمح بها. وينسحب هذا الحكم على التّعريف بالإرداف، فتعريفنا لكلمة سمين بأنّها «ضخم بشكل غير طبيعي» [22] لا يُجيب عن الأشياء التي يُمكن أن نُطلق عليها صفة «ضخم».

وتُلخّص «ديبوف» أهمية التّعريف الجُملي» بقولها: «تكمن نجاعته البيداغوجية الحقيقية في تكوينه للوحدة الدّنيا للتّواصل، الجملة، وهذا ما يُسهّل عملية الفهم»[23] . ويبدو بأنّ هذا النوع من التّعريفات وظيفي في تعليم اللغة؛ لأنّه ينطلق من الوحدة الإفادية الدنيا التي هي الجملة. وإذا كانت الغاية تعليمية وإفهامية، فإنّه من الأحسن استثمار هذا النوع من التّعريفات في المعاجم الموجّهة إلى متعلمي اللغة العربية من الأجانب، فهي تُغنينا أحيانا عن كثير من التّعريفات المنطقية، وتجعلنا نتحاشى البحث

عن الجنس القريب وأنواع الوحدات المجرّدة التي يصعب على الطفل إدراكها.

وعليه فمن المفيد أن يورد المعجمي عددا من الجمل بسياقات مختلفة لكي يتمكّن من حصر أغلب أو أشهر المعاني الخاصّة بالكلمة المُعرَّفة. وتترّتب على هذا الإجراء الخاص بالتعريف الجملي فائدة تعليمية إضافية بالنسبة لمتعلّمي اللغة العربية من الأجانب، فهذه التعريفات الجملية المذكورة تزوّد المتعلّم بعدد من المفردات التي تتركّب معها الكلمة المراد تعريفها، فكثيرا ما نلاحظ عددا من الناطقين بغير العربية ينطقون بجمل تفتقد إلى الاتّساق مثل قولهم: قوي كثيرا بدل قولهم: قوي جدّا. وإذا كان الأمر كذلك فمن المفيد في مثل هذه المعجمات اختيار أكبر عدد من الجمل التّعريفية المختلفة التي توضّح الكلمات التي تتوارد معها الكلمة المراد تعريفها.

والحقيقة أنّه بالرّغم من أنّ التعريف الجملي يظل تعريفا مرشحا لأن يُستثمر في المعجمات الموجّهة لغير الناطقين بالعربية إلاّ أنّ فائدة هذا التعريف مرتبطة بنوعية الجملة المختارة، فالجملة ينبغي أن تكون كلماتها المؤلّفة منها أكثر وضوحا بالنسبة إلى المتعلّم من الكلمة المراد تعريفها، فهذه الكلمات المحيطة المشكّلة للسياق عبارة عن وسائل يتمّ بها تقريب معنى الكلمة المطلوبة. لذا فإنّه يتعيّن على مؤلّف المعجم الموجه إلى غير الناطقين بالعربية اختيار الجمل التي تحقق هذا الشرط.

4.3. التّعريف بواسطة الأمثلة السياقية:

من الضّروري هنا أن نُميّز بين التّعريف الجُملي والمثال السياقي، فالمثال السياقي يُعتبر عُنصرا مُساعدا للتّعريف، وغالبا ما يلي التّعريف، بحيث

يُوضع اللفظ في سياق يحوي الكلمة المُراد تعريفها، وبالاعتماد على هذا المثال قد يُتوصّل إلى معنى الكلمة. ومن الأمثلة السياقية التي يُقدّمها حلاّم الجيلالي المثال التالي: «تعريف (النّصف) مثلا، بالسياق: (قسمت التفاحة نصفين)»[24]. أمّا التّعريف الجُملي فيتمّ فيه وضع الكلمة المراد تعريفها مع كلمة أو تركيب مُصاحب لها، ثمّ يُعمد إلى شرح ذلك المركّب في جملة موضّحة كما في المثال السابق الخاص بتعريف لفظ: «بدين» (Obèse).

وبخصوص توظيف هذا النوّع التّعريفي في المعجمات، فيبدو بأنّ أغلب الملاحظات الخاصة بالتّعريف الجملي تصدق عليه، فبالنظر إلى طبيعته التّعليمية فهو مرشّح إلى جانب التّعريف الجملي لأن يوظَّف بكثافة في المعجمات الموجّهة إلى متعلّمي اللغة العربية من غير الناطقين بها. ولكي يؤدّي دوره الفعال فمن اللازم أن يُختار المثال السياقي بعناية، بحيث توضع الكلمة المراد تعريفها بواسطة التمثيل في سياق لغوي يضيء مفهومها بصورة جيّدة.

5.3. التّعريف بالضد:

وهو تعريف لفظي يُظهر العلاقات اللغوية في مستواها الدلالي الموجود بين الألفاظ. ويُعرَّف بصورة عامّة على أنّه التّعريف الذي «يُعرِّف كلمة بضدّها»[25]. وهذه التّعريفات «تفترض تنظيما ثُنائيا للمفردات [اللغوية]»[26]. أي أنّ كلّ كلمة تُعرَّف بالإحالة إلى الكلمة المُخالفة لها من حيث الدلالة، مثل: تعريف الذكي بعبارة «هو مَن ليس بغبي»[27].

وبخصوص العلاقة بين المُتضادين فإنّهما وإن تقابلا في الدلالة، فإنّهما يشتركان في أشياء أخرى، فاللفظ «المُضاد من وجهة نظر لسانية، ينتمي

إلى الجدول (Le paradigme) نفسه الذي ينتمي إليه [اللفظ] المُعرَّف، مثلما هي الحالُ بالنسبة للمُرادف (نفس الوظيفة، ونفس التّوزيع)»[28]. ومعنى الانتماء إلى نفس الجدول أن ينتمي اللفظ المُعرَّف إلى نفس المحور الاستبدالي (بالمفهوم السوسيري) الذي ينتمي إليه مُضادُه، ذلك المحور الذي تنتظم فيه الوحدات في الذّهن ضمن قائمة واحدة يكون الجامع بين وحداتها هو التّضاد في الدلالة، فكلمة «واسع» مثلاً تنتظم مع كلمة «ضيّق». أمّا كونهما لهما نفس الوظيفة، فيبدو بأنّ المقصود به هنا الوظيفة الصّرفية، بحيث إنّ مُضاد الفعل يكون فعلاً، ومضاد الاسم يكون اسماً، ومُضاد الصفة يكون صفة كذلك. وبخصوص قولها «نفس التوزيع» فيبدو بأنّها يُجسّدان مفهوم التكافؤ الموقعي، وهو معيار بنوي، بحيث إنّه إذا تمّ استبدال اللفظ بمضاده في نفس الموقع، فإنّه حتى ولو أثّر على الدلالة فإنّه لا يُؤثّر على بنية التركيب أو السياق الذي ورد فيه المُعرَّف.

يُستعمل التّعريف بالضّد بكثرة في المعاجم اللغوية، خاصّة في الصيغ اللغوية التي تحتوي على سابقة النفي، مثل: In- في اللغة الفرنسية والإنجليزية. وبالرّغم من اتّساع دائرة استعماله فإنّ «ديبوف» تُسجّل عليه بعض النّقائص، حيث تُصرّح قائلة بأنّ «مُضاد الطّيّبة هو الخُبث، ولكن ما هو مضاد مُربّع؟ ولهذا السبب سنعدّ التّعريف بالضدّ إجراءً ثانويا»[29]. يبدو بأنّه يتعذّر إيجاد مُضاد للمربّع، ومن ثمّ فلا يمكن تعريفه بواسطة هذه التّقنية، ويتّسع هذا الحكم ليعمّ كثيرا من الألفاظ التي لا يُمكن أن نُعرّفها بالمُضاد، وهو ما يُثبت قُصور هذا النوع من التّعريف.

ولكن بالرغم من ذلك، فإنّ هذا التّعريف مفيد وضروري أحيانا بالنسبة لمتعلّمي اللغة العربية من الأجانب، فاللفظ المجهول أحيانا قد

يكون مضاده معروفا، ومتداولا في الاستعمال بالصورة الذي يجعله الطريق الأنسب لأن يُعرف به، فتعريف لفظ: «الحرور» مثلا يكون أحسن إذا عرِّف بأنّه ضد «الظل». بل إنّ معناه قد لا يتّضح لمتعلّم اللغة العربية غير الناطق بها إذا تمّ تحديده سياقيا، أو منطقيا. وسعيا وراء تحقيق الفائدة التعليمية الأولى من المعجم، والمتمثّلة في معرفة معاني الكلمات، فإنّه يتعيّن على مؤلّف المعجم الموجَّه إلى هذه الطائفة أن يختار اللفظ المضاد الأكثروضوحا وتداولا.

6.3. التّعريف بالشبيه:

وهذا النوع من التعريف «يُحاول استحضار مفاهيم معروفة[30]، وإنشاء صور [ما]. مثلا، نمر: قطّ كبير». ويبدو في هذا المثال بأنّ المُعرِّف استحضر صورة القطّ الذي يُعدُّ شبيها معروفا للفظ المُعرَّف غير المعروف (النّمر)، وهذا لوجود تشابهٍ بينهما في الصورة.

ويبدو بأنّ استعمال هذه التّقنية في التّعريف تتطلّب أن يكون المُشبَّه به أعرَف من المُشبَّه، وأن يكون الشبه واضحا بينهما كما هي الحال في المثال المُقدَّم. ثمّ إنّ السؤال الذي يُطرح هنا هو مدى تعميم هذه الطريقة في التّعريف على كلّ الوحدات اللغوية، فكما يبدو فإنّها تصدق على الألفاظ التي تدلّ على أمور محسوسة، أمّا الأمور المُجرّدة فالظاهر بأنّه يتعذّر تعريفها وفق هذه الطريقة. وإذا كان الأمر كذلك فإنّ هذه الطريقة تظلُّ محدودة، غير أنّه لا ينبغي أبدا إنكار فائدتها التّعليمية، خاصّة لما يتعلّق الأمر بتعليم أشياء لم تُرمن قبل، فالتّعريف بالشبيه يُقدّم صورة تقريبية متخيَّلة للشيء المطلوب تصوره.

ويمكن استثمار هذا الإجراء التّعريفي في تعليم اللغة من غير الناطقين بها، فإذا كان المتعلّم يمتلك رصيدا لغويا أساسيا، فمن المفيد أن يستثمره

في معرفة مفردات جديدة بناء على العلاقة التشابهية الموجودة بين المعرّفات، وهو يسمح له من تنظيم بنيته اللغوية الذهنية، من خلال إضافة عناصر جديدة إلى الحقول الدلالية الموجودة لديه.

ويمكن أن يشفع هذا التّعريف بصور مساعدة تظهر هذا الشيء المُعرَّف، لكي يترسّخ في ذهن المتعلّم، على اعتبار أنّ العلامات البصرية هي أقرب للاستحضار من العلامات اللغوية التي تمر عبر مصفاة التجريد في الذهن.

7.3. التّعريف التّقسيمي وفق علاقة الجزء بالكل:

وهو التّعريف التقسيمي المؤلَّف «من مفهوم جزئي متبوعٍ بعلاقته بالمفهوم المتضمِّن [الكلّي]. [...] مثلا: مِقْود: guidon «رياضة»: الجزءُ الأمامي من الدرّاجة المكوَّن أساساً من منصبة، وقوس، ويسمح للدرّاج بقيادة مركبته»[31]. وبالنّظر إلى بنية التّعريف في المثال المذكور، يتّضح بأنّه يُستهَلّ بعبارةِ «بجزء من» ثمّ يرتبط بالكلّ، فالكلّ هنا هو الدرّاجة أمّا المصطلح المعرَّف فهو المِقوَد.

وفيما يتّصل بحجم استعمال هذا النّوع من التّعريفات، يُشير كلٌّ من «غودان» و«غيسبان» إلى أنّ «علاقة الجزء بالكلّ التي غالباً ما لا يُلتفت إليها تدخل بكثرة في [بناء] الملفوظات التّعريفية»[32]. والحقيقة أن كثرة التّعريفات المنبنية على أساس هذه العلاقة شيء طبيعي، وهذا ما يُمكن إرجاعه إلى طبيعة العلاقة الموجودة بين الأشياء، فهناك كثير من الأشياء المركّبة في الواقع، تستلزم بنيتها المركّبة تعريفَها على أساس هذه العلاقة.

وبالنظر إلى طبيعة هذا التعريف يتبيّن بأنّه من الأنواع المناسبة للمعاجم الموجّهة إلى متعلّمي العربية من الأجانب، فهذا النوع التعريفي

باعتباره يقوم على ذكر مكوّنات الشيء المراد تعريفه يقوم برسم صورة الشيء في ذهن المتعلّم من خلال التركيب بين عناصرها، وهذا ما يسمح للمتعلّم بتصوّر ذلك الشيء حتى ولم لم يكن على دراية به. وفضلا عن ذلك فإنّ تعداد المكوّنات يضاعف من إمكانية وجود مكوّن معروف لدى المتعلّم من قبل، وهذا ما يسمح من تقريب الصورة بالنسبة إليه.

وبناء على ما سبق يبدو من المفيد أن يُوظَّف هذا النوع من التعريفات في تحديد الأشياء المحسوسة والمركّبة، لأنّها أقرب إلى التصور وأسهل، وهذا ما يتطلّبه المعجم الموجّه إلى متعلمي اللغة العربية من غير الناطقين بها.

3 - 8 - التّعريف بإعتبار الوظيفة

ويصدق هذا النوع من التّعريفات على بعض الأشياء التي تبرز فيها خاصية الوظيفة التي تقوم بها بروزا لافتا، مثل الأجهزة، والأدوات وغيرها، فهذه الخاصية المُرتبطة بالوظيفة حتى ولو لم تكن مُجسّدةً لِكُنه الشيء وحقيقته فإنّها تظل ضروريةً في كثيرٍ من التّعريفات، فمثلا تعريف مفكِّ البراغي بأنّه: ««آلة لضغط البراغي وفكّها»»[33] هو تعريف مؤسس فقط على ذكر خاصية الوظيفة التي تؤديها هذه الأداة وهي المتمثّلة في ضغط البراغي ونزعها، فهذه الخاصية بالرغم من كونها ذُكرت بمفردها، وبالرغم من أنّها تُعدّ خاصية خارجية غير جوهرية بالنسبة للشيء المعرَّف فقد حققت تعريفا واضحا ووظيفيا، فمن خلال ذكر هذه السمة تميّزت هذه الأداة عن غيرها من الأدوات، بل إنّها تبدو أحسن، من حيث القدرة التعريفية، من بعض الخصائص الداخلية والجوهرية المكوِّنة لمفك البراغي، مثل: خاصية

الشكل أو خاصية المادة التي صنعت منها هذه الأداة، على اعتبار أنّ هناك أدوات أخرى كثيرة تشارك مفك البراغي في المادة التي صُنع منها .

ويبدو بأنّ هذا النوع التعريفي الذي ينبني على ذكر الوظيفة التي يؤدّيها الشيء المراد تعريفه مفيد بالنسبة لمتعلمي العربية من غير الناطقين بها، فقد تكون هذه السمة من أهم الوسائل التي تقرّب المفهوم وتكوين صورة عن الشيء المراد تعريفه، بل إنّها، باعتبار أهميتها بالنسبة لهذه الأنواع من المعرَّفات، تعتبر وسيلة تعزيز وترسيخ لا وسيلة تعريف وتحديد فحسب.

4 . التّعريف في المعجم العربي الموجّه إلى الأجانب (قراءة في نموذج عبد الرحيم):

لا يمكن القول بأنّ هنالك معجما يعتبر المرجع النموذجي لمتعلّمي اللغة من غير الناطقين بها، بل إنّ كثيرا من المعجمات العربية سواء كانت أحادية أو ثنائية أو متعددة اللغة يمكن أن تستفيد منها هذه الطائفة كما يستفيد منها غيرهم من الناطقين الأصيلين بالعربية[34]، ولكن تخصيص بعض المؤلّفين لمعاجم موجّهة إلى هؤلاء، كما هو الأمر بالنسبة إلى المعجم المساعد للكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم [35] أو معجم ف. عبد الرحيم للمفردات المستعملة في كتاب دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها، يدعم القول بأنّ هذه المعاجم الخاصة بهم تمتاز عن غيرها من المعاجم العامة في عدد من النقاط.

1.4 . بنية المعجم:

يُعتبر معجم ف. عبد الرحيم امتدادا لكتاب: «دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها» الذي ألفه الباحث نفسه[36]، في ثلاثة أجزاء. وصدر هذا

المعجم عن المؤسسة الإسلامية بشنهاي بالهند، سنة 2006. واعتباره امتدادا لكتابه جاء بالنظر إلى أنّ ف عبد الرحيم انطلق في بناء المداخل المعجمية لمعجمه من كتابه التعليمي السابق الموجّه لغير الناطقين بالعربية، فهذا المعجم محدود المجال، كما يصرح مؤلّفه في مقدمته، يضم «فقط معاني الكلمات المذكورة في الكتاب»[37].

وبما أنّ المادة اللغوية الخام التي انطلق منها المؤلّف قد اشتقت من كتاب مؤلّف من ثلاثة أجزاء فقط فهي تبدو بأنّها محدودة، ومن ثمّ فإنّها توسم بالفقر من حيث الكمية، ولكن باعتبار النوع، فبما أنّ الكتاب موجّه إلى متعلمي العربية من غير الناطقين بها، فإنّ مادته تكون مختارة بعناية وفق اعتبارات وظيفية، وهذا ما ينعكس بعد ذلك على مداخل المعجم، بحيث إنّ المفردات التي يضمها المعجم تكون مفيدة لهؤلاء الأجانب في تحصيل رصيد مفرداتي أساسي يتيح لهم التواصل بفعالية وفي أسرع وقت ممكن.

ولقد اتخذ المؤلّف اللغة العربية لغةً للمداخل المعجمية، وهذا شيء يبدو مناسبا ومفيدا، بل ضروريا، على اعتبار أنّ المتعلّمين من الأجانب يرومون تعلّم اللغة العربية، فيبحثون عن معاني مفرداتها، فهي التي تمثل اللغة الهدف، وهذا ما يساعدهم على فهم النصوص والعبارات التي يسمعونها ويطالعونها.

ولقد تمّ مقابلة هذه المداخل العربية بما يكافئها في اللغة الإنكليزية، بل إنّ الأمثلة والسياقات اللغوية العربية الواردة في المداخل قد تُرجمت إلى اللغة الإنكليزية، وهذا ما يعني بأنّ المعجم الثنائي لم يقتصر على ذكر المتكافئات اللفظية فقط، بل كان المعجم ثنائيا سواء تعلّق الأمر بلغة المتن

أو لغة المداخل. وهذا الإجراء مفيد، بحيث يجعل المتعلّم يستعين باللغة الإنكليزية، ليس فقط في مستواها الإفرادي، وإنّما في مستواها التركيبي كذلك، وهذا من أجل إدراك معاني المفردات العربية. إذن فالمعجم ثنائي بامتياز وهذا ما يوافق طائفة المتعلّمين الأجانب، وبخاصّة من كان مستواهم محدودا في اللغة العربية.

2.4. ترتيب المفردات في معجم ف عبد الرحيم:

يُعتبر ترتيب المفردات عنصرا أساسيا في صناعة المعجم، ذلك أنّه يعتبر مفتاح البحث عن تلك المفردات في هذا المُصنَّف، فالقارئ الذي يبحث عن مفردة معيّنة في المعجم يستند في ابتغائها على ترتيب حروفها التي تتشكّل منها ضمن النظام اللغوي، ولا يتسنى له، في الغالب، الوصول إلى المفردة المطلوبة إلاّ إذا كان على دراية بالترتيب الذي انبنى عليه المعجم. ويتحكم في هذا الترتيب عوامل معيّنة، منها الطبيعة الصرفية للغة، ونوعية القراء المستهدفين.

ووفقا لذلك، فالمعجم اللغوي الذي تكون لغة مداخله ذات طبيعة اشتقاقية، مثل اللغة العربية، قد تُرتّب مفرداته بالنظر إلى جذور الكلمات، فيعرض تحت المدخل الواحد جميع أفراد العائلة الاشتقاقية الناشئة عن المادة اللغوية الواحدة، وهذا خلافا للغة ذات الطبيعة الإلصاقية التي غالبا ما يقوم ترتيب مفرداتها في المعجم على أساس أوائل الحروف.

ويظهر تأثير نوعية القراء في ترتيب المعجم من خلال مستواهم المعرفي في تلك اللغة، فالمعاجم الموجّهة إلى الأطفال تُبنى في الغالب على أساس الترتيب الألفبائي بحسب صورة الكلمة كما هي، لا بحسب أصلها أو مادتها، لكي يتيسر لهم الوصول إليها بسرعة. وكذلك الأمر بالنسبة للمتعلمين

الأجانب الذين ليس لديهم معرفة صرفية تتيح لهم إدراك أصل الكلمات والمجرد والمزيد منها، وغير ذلك من أنواع العلاقات الاشتقاقية الموجودة بين المفردات.

ومن خلال الاطلاع على معجم ف. عبد الرحيم تبيّن بأنّه اعتمد بصورة عامة على الترتيب الألفبائي، ولكن هذا الترتيب لم ينطلق من صورة الكلمة كما هي، وإنّما بالنظر إلى جذرها، وهذا ما أقرّه في مقدّمته بقوله: «رُتبت الكلمات وفق جذورها التي وُضعت بين قوسين»[38]. ويبدو للوهلة الأولى بأن هذا الترتيب المؤسَّس على الجذور لا يناسب الأجانب على اعتبار أنّ معارفهم الصرفية لا تؤهلهم لاكتشاف هذه الجذور، خاصّة إذا كانت الكلمات المراد معرفة معانيها متحرّفة كثيرا عن أصلها. ولكن ف. عبد الرحيم قد دعّم هذا الترتيب العام بذكر كل كلمة متحرفة عن أصلها في موقعها الترتيبي الذي تضعها فيه صورتها كما هي، ثمّ الإحالة إلى موضع تعريفها في المدخل الخاص بالمادة المشتقة أو المتفرعة عنها. وهذا ما نبّه إليه في مقدّمة معجمه بقوله: «فبعض المشتقات التي لا يتيسر للقارئ تحديد جذورها قد رتبت ألفبائيا ووضعت بين حاضنتين، وأحيل إلى جذورها. مثلا: [تراث] انظر: ورث»[39].

والحق أنّ هذا الإجراء مفيد من جهتين، فهو يسمح لمتعلم اللغة العربية من الأجانب بالوصول إلى أية كلمة يطلبها بمجرد حفظه للترتيب الألفبائي العربي، وهو من جهة أخرى يوضّح الرابطة الاشتقاقية الموجودة بين مفردات العربية ذات الأصل الواحد، وذلك من خلال توظيف تقنية الإحالة، وهذا مفيد كذلك على اعتبار أنّه يقدّم لهؤلاء المتعلّمين معلومة صرفية تخص أصل الكلمة المبحوث عنها والمادة التي تولدت منها. فمفردة

«تراث» التي استشهد بها المؤلّف يعثر عليها القارئ في حرف التاء، ثم يُحال في هذا الموضع إلى موقعها مع أصلها ومع عائلتها الاشتقاقية في حرف الواو.

وبخصوص الأسماء الأعجمية فقد تمّ ترتيبها ألفبائيا بحسب الصورة التي تظهر عليها، مع اعتماد النقل الحرفي للأصوات (translittération)، فلفظ: Pakistan عُرّبت إلى «باكستان»، لتوافق النطق المتعارف عليه في اللغة العربية. وجاءت تالية للفظة «باس».

3.4. المعلومات اللغوية في معجم ف. عبد الرحيم:

اشتملت المداخل المعجمية على معلومات تخص الطبيعة الصرفية للمفردات، فأشار إلى الوظائف الصرفية للأسماء مثل اسم الآلة، واسم المكان، واسم الفاعل، واسم المفعول، كما نبه إلى الاسم الممنوع من الصرف، وأشار إلى الجمع. أما بالنسبة للأفعال فقد نبه إلى مصدرها وإلى حركة عين الفعل في المضارع، وغير ذلك من المعلومات الصرفية.

والحقيقة أنّه بالرغم من أنّ المعلومات التي تخص بنية اللغة أضحت ضرورية في المعاجم اللغوية، إلا أنّ جمهور المتلقين يمكن أن يشكّل معيارا أساسيا في تخيّر هذه المعلومة اللغوية أو تلك. وعلى اعتبار أن معجم عبد الرحيم موجّه إلى متعلمي العربية من غير الناطقين بها، فيبدو بأنّ المعلومات ذات الطابع الوظيفي الإجرائي التي تنعكس مباشرة في السلوك اللغوي لهؤلاء المتعلّمين هي التي تكون لها الأولوية، فمثلا تحديد حركة العين التي يأخذها الفعل في المضارع في المعجم مفيد بالنسبة إلى هؤلاء، لأنّ معرفة هذه المعلومة تمكّنهم من النطق الصحيح لهذه الأفعال، وكذلك الأمر بالنسبة لتحديد الجمع أو المصدر أو غير ذلك من المعلومات التي تجد

لها أثرا أثناء الاستعمال، وذلك بالقياس إلى المعلومات الخاصة بالطبيعة الصرفية للكلمة للمفردة.

ولكن على العموم، يبدو بأنّ معجم عبد الرحيم قد أورد معلومات لغوية تفيد في التّعريف ببنية اللغة، وبخاصّة في مستواها الصرفي، وهذا مناسب لطائفة المتعلّمين من غير العرب الذين يحتاجون إلى تكوين قاعدي خاص بالقوانين الأساسية التي تضبط بنية اللغة العربية.

4.4 التّعريف السياقي في معجم ف. عبد الرحيم:

خلافا لكثير من الأعمال المعجمية الموجهة إلى متعلمي اللغة العربية من الأجانب، استثمر ف. عبد الرحيم تقنية التّعريف في معجمه، ولكن هذه التقنية لم تعمّ المعجم كلّه، فمداخل المعجم التي بلغ عددها حوالي ألفا ومائتي (1200) مدخل لم يُعرَّف منها إلا ثلثها تقريبا، أي ما يوافق حوالي أربعمائة 400 مدخل، ولقد اقتصرت أغلب المداخل على ذكر المعلومات الصرفية والنحوية الخاصة بالمفردة المعرَّفة.

وبخصوص المداخل غير المعرَّفة فقد اكتفى صاحب المعجم بذكر معنى واحد من معاني اللفظة العربية، وقد قابل كلّ مفردة عربية في الغالب بمفردة إنكليزية واحدة، أو بمفردتين مترادفتين، فلفظ: «ضرب» تمّ مقابلته بلفظتي: to beat, to hit اللتين تدلان على معنى الضرب باعتباره فعلا جسمانيا يقوم به الشخص تجاه شخص أو حيوان.

وبالنّظر إلى تعدّد معاني مثل هذه الأفعال، يتبيّن بأنّ المعجم قد أغفل كثيرا من المعاني المشهورة التي تفيد طائفة متعلّمي العربية من غير الناطقين بها. فمعنى «ضرْبُ المثل» هو معنى مشهور أيضا، ومفيد كذلك

لهؤلاء. ويمكن تفسير هذا بالرّجوع إلى طبيعة المتن المفرداتي الذي ضمّه المعجم، فهذا المعجم اقتصر على شرح معاني الكلمات الواردة في كتاب: «دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها»، ومن ثمّ فإنّه اقتصر على ذكر هذه المعاني فقط.

ولكن بالنظر إلى أهمية المعاني غير المذكورة في المعجم، يتبيّن بأنّ جمهور متعلمي العربية من غير الناطقين بها هم في حاجة إلى معجم مستقل، لا يكون تابعا لكتاب تعليمي، وإنما ينطلق في بناء رصيده المفرداتي مما يحتاج إليه هؤلاء من مفردات بغرض تحقيق التواصل الفعال.

وبخصوص أنواع التّعريف الموظّفة في هذا المعجم، فباستثناء ذكر اللفظ أو المفردة الإنكليزية المكافئة للفظ العربي، وهو ما يعتبره البعض نوعا من أنواع التّعريف يُسمّى عندهم بالتّعريف التكافؤي[40]، فإنّ النوع التّعريفي الذي طغى على المداخل المعرَّفة تمثّل في التعريف السياقي[41]، أو المثال السياقي كما يسميه بعضهم، والمتمثّل في وضع المفردة العربية المراد تعريفها ضمن سياق معيّن، بحيث تقترن مع مفردات أخرى لتوضيح معنى من معانيها الاستعمالية.

وبتتبّع السياقات التّعريفية التي وردت فيها الكلمات المُعرَّفة تبيّن بأنّ أغلب المداخل يعرض سياقا استعماليا واحدا، ففي تعريف الفعل «حمل» اقتصر المؤلّف على ذكر السياق التعريفي التالي: «حمَلَ السلاح على فلان». وبالنظر إلى المعنى المستفاد من هذا السياق يتبيّن بأنّ معنى الفعل حمل هنا هو أساسي وأصلي غير هامشي، ولكن الاكتفاء بذكر هذا المعنى وإغفال المعاني السياقية الأخرى الحقيقية والمجازية للفعل «حمل»، مثل: «حمل الأمانة» و «حملت المرأة» وغير هذا، يجعل من هذا المعجم غير قادر على

تقديم مادة إفرادية تفي بالحاجات التواصلية لمتعلمي اللغة العربية من غير الناطقين بها، وكل هذا راجع، كما سلف الذكر، لارتباط المعجم بالمعاني الواردة في «دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها».

ولقد أخذت الأمثلة السياقية صورا مختلفة، منها ما أخذ صورة مركب إضافي، أو مركّب وصفي، ومنها ما جاء في صورة جملة مكتملة، والحقيقة أنّ اختلاف البنية التركيبية لهذه الأمثلة يؤثّر على وضوح معنى المفردة المراد تعريفها كما سنرى ذلك.

1.4.4. المركَّب الإضافي:

أحصينا، من بين صور الأمثلة السياقية الواردة في المعجم، واحدا وستين (61) سياقا جاء في صورة تركيب إضافي، بحيث تمّ إرفاق اللفظة المراد تعريفها بلفظة أخرى، قد تكون هي المضافة أو هي المضاف إليها. ويتبيّن من هذا العدد أنّ ما يقرب من سدس (1/6) الأمثلة السياقية المذكورة جاء على هذه البنية، وهذا العدد الكبير نسبيا لا يتوافق مع أهم وظائف التّعريف وهي المتمثلة في شرح معنى اللفظ وإجلاء غموضه، وتقديمه في صورة بسيطة للمتلقي، فهذه الصيغة التركيبية المختصرة قد لا تساعد القارئ على إدراك معنى اللفظ بمفردها، ومن ثمّ فإنّ وجودها بوفرة في معجم موجَّه إلى متعلّمين أجانب قد يفقد المعجم خصائصه الوظيفية المتمثلة في تقديم رصيد مفرداتي لهذه الطائفة يسمح لهم بالتواصل الفعال.

ومن الأمثلة المذكورة في معجم عبد الرحيم التي أخذت صورة مركَّبٍ إضافي: عبارة: «رقم الهاتف» المذكور ضمن المدخل الخاص بمفردة: «رقم»، أين ورد لفظ «رقم» المحدود مُضافا إلى الهاتف. وإذا كان هذا

السياق مفيدا نسبيا باعتباره يقرن لفظ «رقم» بلفظ معروف ومحسوس هو «الهاتف»، وهو ما قد يمكّن المتعلّم الأجنبي من تحصيل معنى «رقم» في هذا السياق، ثم اكتساب تعبير يمكن استعماله في كثير من المقامات التواصلية، فإنّ هذه الإضاءة على المعنى لا تتوفر في كثير من السياقات التعريفية المذكورة في المعجم والتي أخذت صورة مركّب إضافي: فلفظ «الأمس» الذي تمّ تعريفه سياقيا من خلال إلحاقه على سبيل الإضافة بلفظ «درس» لم يساهم في رأيي في إنارة معنى «الأمس»، على اعتبار أنّ هذه الثنائية اللفظية غير متلازمة في الاستعمال، بخلاف ما إذا ألحقنا لفظ «الأمس» بلفظ «يوم» أو «تاريخ»، فيكون الناتج: «يوم الأمس» أو «تاريخ الأمس».

ومهما يكن من أمر، فإنّ السياقات التّعريفية التي تأتي في صورة مركّب إضافي هي غير ذات فائدة كبيرة إذا كان المراد هو شرح معنى إحدى الكلمتين، أما إذا كان الغرض من ذكر هذا النوع من السياقات هو إظهار بعض التراكيب المستعملة في صورة متلازمات لفظية فهذا أمر مقبول، ولكنه يعد حينئذ بمثابة شاهد تعريفي على ثبوت استعمال هذا التركيب في واقع التواصل، وهذا ما لا يناسب في اعتقادي معجما يروم تعليم معاني الكلمات بالنسبة إلى متعلمي العربية من غير الناطقين بها.

2.4.4. المركَّب الوصفي:

اتّخذت بعض الأمثلة السياقية التي أوردها ف. عبد الرحيم في معجمه بنية تركيبية تمثلت فيما يُعرف بالمركّب الوصفي، وفيه يتم ذكر زوج من المفردات يشكّل أحدهما المفردة المراد تعريفها في المدخل أو أحد مشتقاتها، وقد تكون هذه المفردة صفة أو موصوفة.

ولقد تمّ إحصاء تسعة وعشرين (29) مثالا تعريفيا سياقيا ورد في المعجم وأخذ صورة المركَّب الوصفي، وهو كما يظهر عدد تمثيلي، وهذا إذا قيس بعدد المداخل المعرَّفة في المعجم.

ومن خلال الاطلاع على هذه المركّبات تبيّن بأنّ أغلبها مناسب ومفيد، كما هو الأمر بالنسبة للأمثلة التالية: قلم جاف، طالب جامعي، حرب أهلية، المسجد الحرام، بنيان مرصوص، الشيطان الرجيم، ضمير متّصل، التي ذُكرت في المعجم باعتبارها سياقات تعريفية للمفردات التالية: (جامعي، حرب، الحرام، مرصوص، الرجيم، ضمير). ويبدو أنّ المؤلّف أحسن اختيار هذه المركَّبات لما بينها من اتّساق وانسجام إلى الحد الذي اعتبرت فيه متلازمات لفظية يُستحضر اللفظ الثاني بمجرّد ذكر الأول.

والحقيقة أنّ هذا الاقتران بين الصفة والموصوف وإن كان يعكس تعبيرا لغويا مستعملا بصورة فعلية وحقيقية في الواقع التواصلي، كما قد يؤدي إلى إضاءة معنى أحد اللفظين، فإنّه غير مضمون النتائج إذا كان المطلب هو تعريف اللفظ وإجلاء معناه.

3.4.4. الأمثلة السياقية الجملية:

اتخذت الصورة التركيبية الثالثة التي انبنت عليها الأمثلة السياقية الواردة في معجم ف. عبد الرحيم شكل جمل مفيدة مؤلَّفة من مسند ومسند إليه، كما في مثال: "جزاك الله خيرا"، بحيث تمّ وضع الفعل: "جزى" ضمن هذا السياق. أو في "رافقك الله في الحِلّ والترحال" حيث تمّ تسييق لفظة "الحلّ" بوضعها في سياقها التّعريفي المذكور.

ولقد تبيّن من خلال الإحصاء أنّ ما يقرب من ثلثي (2/3) الأمثلة السياقية أخذت صورة جملة مكتملة، توزّعت بين جمل فعلية وأخرى

اسمية. وهذه النسبة الكبيرة تعدّ مؤشّرا إيجابيا، فمن الواضح أنّ هذه الصورة التركيبية أقرب إلى تجسيد مفهوم السياق اللغوي، ويتحدد ذلك من خلال عدد الألفاظ المشكّلة للجملة الذي يتجاوز في الغالب عدد ألفاظ المركّب الوصفي أو الإضافي، ومن خلال علاقة الإسناد التي تتحقق معها الإفادة، وهو ما ينتج معنى مكتملا، وهذا ما يسمح بإضاءة دلالة اللفظة المسيَّقة المطلوب تعريفها، ومن ثمّ يضاعف من احتمال إدراك معناها.

ولكن مع ذلك، فإنّه من الضروري على مستخدم هذه الأمثلة السياقية اختيار الكلمات المصاحبة للكلمة المراد تعريفها، بحيث تكون أكثر وضوحا من الكلمة المعرَّفة سياقيا، قابلة لأن تُدرك بسهولة من قِبَل غير الناطقين باللغة العربية.

بقي أن نشير إلى أنّه من ضمن هذا النوع الأخير من الصور التركيبية التي أخذتها الأمثلة السياقية عثرنا في المعجم على ستة عشر (16) مثالا جاء مقتبسا من القرآن الكريم، كما هو الأمر بالنسبة إلى قوله تعالى: ﴿وأَدْخِلْ يَدَكَ في جَيْبِكِ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سوءٍ﴾[42]. الواردة في تعريف المدخل الخاص بمادة: "جيب". وقوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [43] المذكورة في تعريف المدخل الخاص بمادة: "خير". وغير ذلك.

والحقيقة أنّ ذكر الآيات القرآنية في معجم تعليمي موجَّه إلى غير الناطقين بالعربية مفيد باعتبار المقصد البعيد المتمثّل في تزويد هؤلاء بثقافة إسلامية، وفضلا على ذلك فإنّ هذا الإجراء يثبت حجّية استعمال هذه اللفظة أو تلك بهذا المعنى أو ذاك على اعتبار أنّ القرآن الكريم يمثل النموذج الأمثل والأكمل للعربية. ولكن مع ذلك فإنّه من المناسب اختيار النماذج القرآنية الموافقة لمستوى المتعلمين الناطقين بغير العربية.

5. خاتمة:

- نخلص من خلال هذه القراءة إلى القول بأنّ اختيار نوعَ التّعريفات مرتبط بالغايات التي يتوخّاها صانع المعاجم، ومن ثمّ فإنّه من غير الممكن فيما يبدو العثورَ على تعريف واحدٍ يفي بكلّ المُتطلّبات. وقد يكون هذا السبب من بين الأسباب التي تدفع المُعجمي إلى اعتماد أكثر من نوع تعريفي للمدخل المعجمي الواحد، أو تدفعه على الأقل إلى إنشاء تعريف مركّبٍ أو متعدّد ضمن المدخل المعجمي الواحد.

وبالنّظر إلى أنّ المعجم الموجّه إلى متعلّمي اللغة العربية من غير الناطقين بها يستهدف طائفة محدّدة لها خصوصيات معينة، فإنّه من الطبيعي أن يتميّز هذا المعجم بالطابع التّعليمي الذي يظهر في بنيته وعناصره ولا سيما التّعريف المعجمي؛ فالمعجم الذي يقوم بوظيفة تعليمية من المستحسن أن يستثمر عددا من التّعريفات، مثل التّعريف الإحالي، والتّعريف الجملي، والتعريف بالكلمة المرادفة، وبالشبيه، وبالضد والأمثلة السياقية وغير ذلك، وأن يوظّفها تبعا لطبيعة الشيء المعرَّف.

ومن خلال الاطّلاع على معجم ف. عبد الرحيم الذي استمد مادته المعجمية من كتابه: "دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها" تبيّن بأنّه لم يوظّف من هذه الأنواع التعريفية بصورة واضحة سوى الأمثلة السياقية التي جاءت في صورة مركّبات إضافية ومركّبات وصفية وسياقات جملية، وقد اقتصر كل مدخل واحد على سياق واحد تقريبا، وهذا ما جعل الكلمات متعددة المعاني لا تحظى إلا بذكر معنى واحد. وإذا كانت هذه السياقات قد أنارت أحيانا معاني الكلمات المراد تعريفها في المدخل، فإنّها في رأيي لم تقدّم شرحا لها، بل اقتصر دورها في كثير من الأحيان على إثبات

صحة هذا الاستعمال أو ذاك، فكانت بمثابة الشاهد اللغوي. وعليه فإنّ التّعرّف على معنى اللفظ العربي يرتد في الأخير إلى مقابله الإنكليزي. ولما كان ذلك كذلك، فإنّ هذا المعجم لم يتميّز كثيرا عن المسارد الثنائية (العربية / الإنكليزية أو الإنكليزية / العربية) التي تأتي في صورة قوائم من المفردات المتقابلة في كلتا اللغتين.

وبخصوص الاقتراحات التي استنتجناها من هذه الدراسة فيمكن تلخيصها في النقاط التالية:

. من الضروري تحديد الحاجيات التبليغية الخاصة بمتعلّمي اللغة العربية من غير الناطقين بها، ثمّ حصر الرصيد الإفرادي الوظيفي الخاص بهم على هدي هذه الحاجيات.

. من المفيد تجاوز فكرة المسارد في صناعة المعجمات الثنائية الموجَّهة إلى هؤلاء المتعلّمين، وتكثيف صناعة المعجمات التّعريفية.

. يُستحسن أن يكون هناك توافق بين أنواع التّعريفات المستخدمة في المُعجم الموجّه إلى غير الناطقين بالعربية مع الغاية التعليمية المتوخّاة.

. من المفيد أن نوظِّف في المعجمات الموجّهة إلى غير الناطقين بالعربية أكثر من نوع تعريفي داخل المدخل المعجمي الواحد، وذلك من خلال التركيب بين التّعريف بالمرادف مثلا، وبين التعريف بواسطة الأمثلة السياقية، أو بين التّعريف الإحالي والتعريف الجملي، وذلك بغية توفير أكثر من احتمال لكي يصل هؤلاء المتعلّمون إلى التحديد الدقيق لمعنى المفردات التي يطلبون معناها.

مراجع البحث:

أ. باللغة العربية:

1 . حلاّم الجيلالي، تقنيات التّعريف في المعاجم العربية المُعاصرة، (منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1999.

2.ف. عبد الرحيم، معجم للمفردات المستعملة في دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها، المؤسسة الإسلامية بشنهاي الهند، 2006.

3 . ابن سينا، «رسالة الحدود»، ضمن رسائل منطقية في الحدود والرسوم للفلاسفة العرب، عبد الأمير الأعسم، (دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993)، ط1.

4 . روبير مارتان، في سبيل منطقٍ للمعنى، تر. الطيّب البكّوش وصالح الماجري، (المنظّمة العربية للترجمة، بيروت، 2006).

5 . إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993.

6 . المعجم المساعد للكتاب العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (مجموعة من المؤلّفين)، تنسيق وتدقيق، عبد اللطيف عبيد، مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة، 2009.

7 . أحمد نشوان، اتجاهات متعلمي اللغة العربية غير الناطقين بها نحو استعمال المعجم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج18، ع38، رمضان 1427 هـ.

8 . عبد الله الهاشمي ومحمود علي، استراتيجيات تعلم المفردات لدى دارسي اللغة العربية في جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا واعتقاداتهم المتعلقة بها، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، مجلد 8، عدد 2، 2012.

باللغة الأجنبية:

1 - Aristote, Seconds Analytiques, Publication: Livres & Ebooks.

2 - Maria Teresa Cabré, La Terminologie: Théorie, Méthode et Application, tra. Monique C. Cormier et John Humbley, Préface. de Jean-Claude Corbeil, (PU Ottawa, Canada, 1998)

3 - Clas André, «Les problèmes de définition en lexicographie et en terminologie», Guide de recherche en lexicographie et en terminologie, (Agence de Coopération Culturelle et Technique, Paris, 1985)

4 - Debove Josette Rey-, Étude linguistique et sémiotique des dictionnaires Français contemporains, (Mouton, The Hague, Netherlands, 1971).

5 - Josette Rey-Debove, «La lexicographie moderne», dans : Études lexicographiques, (Revue publiée par l'association marocaine des études lexicographiques, N° 05, Janvier, 2006)

6 - Loïc Depecker, Entre signe et concept (éléments de terminologie générale), (presse Sorbonne Nouvelle, Démandstream, 2002).

7 - Jean Dubois et Claude Dubois, Introduction à la lexicographie, (Librairie Larousse, Paris, 1971)

8 - Robert Ennis, «Definition in science teaching, Instructional science" 3, (Elsevier Company, 1974).

9 - Gaudin François, Guespin Louis, Initiation à la lexicologie française, de la néologie aux dictionnaires, (éditions Duculot, Bruxelles, 2002), 1éd.

10 - Le Robert, Dictionnaire de Français, Martyn Back et Silke Zim-

mermann, (Paris, 2005).

11 - Svensén Bo, Practical Lexicography, Principle & methods of dictionary making, tr. John Sykes & Kerstin Schofield, (Oxford University Press, 1993).

12 - Sepälä Selja, "Composition et Formalisation Conceptuelles de la Définition Terminographique", Mémoire présenté à l'école de traduction et d'interprétation pour l'obtention du DEA en traitement informatique multilingue, sous la direction du Pr: Bruno de Bessé, (Université de Genève, 2004).

13 - Robert Vézina [et al.], La rédaction de définitions terminologiques, (Office québécois de la langue française, Montréal, 2009).

هوامش البحث:

1 - أحمد نشوان، اتجاهات متعلمي اللغة العربية غير الناطقين بها نحو استعمال المعجم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج18، ع38، رمضان 1427، ص. 516.

2 - نفسه، ص. 520.

3 - عبد الله الهاشمي ومحمود علي، استراتيجيات تعلم المفردات لدى دارسي اللغة العربية في جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا واعتقاداتهم المتعلقة بها، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، مجلد 8، عدد 2، 2012، ص ص. 107. 108.

4 - المرجع نفسه، ص. 108.

5 - أحمد نشوان، اتجاهات متعلمي اللغة العربية غير الناطقين بها نحو استعمال المعجم، ص. 517.

6 - أحمد نشوان، اتجاهات متعلمي اللغة العربية غير الناطقين بها نحو استعمال المعجم، ص. 518.

7 - إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993، ص. 07.

8- Bo Svensén, Practical Lexicography, Principle & methods of dictionary making, John Sykes & Kerstin Schofield, (Oxford University Press, 1993).p. 134.

9 - يقول «سيبالا» بهذا الخصوص: «لا يُخبِر التّعريف فقط عن المعنى أو المفهوم المُعرَّف، بل كذلك عن الحقبة [التي استعمل فيها]، وفي أكثر الأحيان عن مؤلّفه». (يُنظر: Selja Sepälä, «Composition et Formalisation Conceptuelles de la Définition Terminographique», Mémoire présenté à l'école de traduction et d'interprétation pour l'obtention du DEA en traitement informatique multilingue, sous la direction du Pr: Bruno de Bessé, (Université de Genève, 2004) p. 21.)، مما يعني أنّ التّعريف يُعدّ شاهداً على استعمال لفظ ما بمعنى ما في فترة ما، وعلى مُستعمل ذلك اللفظ بمعنى جديد مثلا. فالتّعريفات التأصيلية التي تهتمّ بتتبّع أصلِ معنى اللفظ وتغيّراته وكيفية انتقاله إلى لغة أخرى، وتشهد أيضا عن ميلادِ لفظ جديدٍ بالمعنى الجديد الذي أُسند إليه لأوّل وهلة هي التي تتجسّد فيها هذه الوظيفة التأريخية، لا تفيد كثيرا متعلّم اللغة الأجنبية بالنسبة إليه، بل إنّ هذه التّعريفات تفيد دارسي اللغة من الباحثين.

10 - الشيء»، (يُنظر: Aristote, Seconds Analytiques, Publica-tion: Livres & Ebooks, p. 63.)، ويضيف ابن سينا قائلا بخصوص هذا النوع من التعريف: « فأما الحدود الحقيقية، فإن الواجب فيها بحسب ما عرفناه من صناعة المنطق أن تكون دالة على ماهية الشيء، وهو كمال وجوده الذاتي، حتى لا يشذ من المحمولات الذاتية شيء إلا وهو مضمَّن فيه إما بالفعل، وإما بالقوة» (يُنظر: ابن سينا، «رسالة الحدود»، ضمن رسائل منطقية في الحدود والرسوم للفلاسفة العرب، عبد الأمير الأعسم، (دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993)، ط1. ص. 115). وهذا النوع لا يفيد كثيرا متعلّمي اللغة العربية من الأجانب، لأنّ غاية تعلّم المفردات بالنسبة إلى هؤلاء تتحصل في معرفة المعاني المستعملة في الغالب، ولا يهدف إلى معرفة جميع خصائص الشيء المُعرَّف الذي يُعبّر عنه باللفظ المراد معرفة معناه.

11 - تُحدّد «ديبوف» التّعريف الموسوعي من خلال تعريفها التالي: ننُسمّي [التعريف] بالموسوعي كلّ تعريف يُقدّم معلومات إضافية super-fétatoires» (يُنظر: J. Rey-Debove, Étude linguistique et sémio-tique des dictionnaires Français contemporains, (Mouton, The Hague, Netherlands, 1971) p. 228.). وقولها «إضافية» يعني بأنّ هذا التّعريف لا يكتفي بإيراد المعلومات الضرورية فقط، بل يُضيف أوصافا متعلّقة بالشيء. وعلى الرّغم من أنّ هذه الأوصاف اختيارية يتمكّن القارئ بدونها من التّعرّف على الشيء في عمومه، وغيابُها لا ينفي عن التّعريف صفة التّعريف، فإنّ حضورها يسمح لمتلقي التّعريف الموسوعي أن يُعمّق معارفه بخصوص الشيء المراد تعريفه. ويبدو بأنّ هذه المعلومات

الإضافية التي يشتمل عليها هذا النوع من التعريف لا تفيد كثيرا متعلّمي اللغة العربية غير الناطقين بها، فمطلبهم الأقصى في غالب الأحيان هو تحصيل معرفة بالخصائص الضرورية للشيء المعرَّف.

12 - من ضمن المقابلات العربية لهذا المصطلح عثرنا على مصطلح التّعريف الامتدادي، الذي ذُكر في كتاب علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبيّة، المؤلّف من قِبل أعضاء شبكة تعريب العلوم الصّحية، والصادر عن المكتب الإقليمي لشرق المتوسّط ومعهد الدّراسات المصطلحية، فاس، المغرب، 2005. ويبدو بأنّ أصحابه استندوا في ترجمتهم إلى المعنى اللغوي، وهو معنى التوسّع والامتداد. أمّا مُصطلح التّعريف الإحالي الذي اخترناه، فقد نقلناه عن الطيّب البكوش، وصالح الماجري في ترجمتهما لكتاب «روبير مارتن» R. Martin «في سبيل منطق للمعنى». ويبدو بأنّ دلالة هذا المقابل العربي أقرب إلى مفهوم المُصطلح الأجنبي من مُصطلح التّعريف الامتدادي، ذلك أنّ التّعريف الإحالي ينبني على الإحالة إلى الأشياء المُجسِّدة للمفهوم في الواقع.

13- Loïc Depecker, Entre signe et concept (éléments de terminologie générale), (presse Sorbonne Nouvelle, Démandstream, 2002), p. 144.

14- Maria Teresa Cabré, La Terminologie: Théorie, Méthode et Application, tra. Monique C. Cormier et John Humbley, Préface. de Jean-Claude Corbeil, (PU Ottawa, Canada, 1998), p. 174.

15- Selja Sepälä, «Composition et Formalisation Conceptuelles de la Définition Terminographique», p. 66.

16- Selja Sepälä, «Composition et Formalisation Conceptuelles de la Définition Terminographique», p .67.

17 - Robert Ennis, «Definition in science teaching, Instructional science» 3, (Elsevier Company, 1974), p. 293.

18 - Ibid. p. 293.

19 - Gaudin François, Guespin Louis, Initiation à la lexicologie française, de la néologie aux dictionnaires, (éditions Duculot, Bruxelles, 2002), 1éd, p. 150.

20- Josette Rey-Debove, «La lexicographie moderne», dans : Études lexicographiques, (Revue publiée par l'association marocaine des études lexicographiques, N° 05, Janvier, 2006), p. 27.

21 - J. Rey-Debove, «La lexicographie moderne», p. 27.

22 - أُخذ هذا التّعريف الإردافي من معجم:

Le Robert, Dictionnaire de Français, Martyn Back et Silke Zimmermann, (Paris, 2005), p. 292.

23- J. Rey-Debove, «La lexicographie moderne», pp. 27 - 28.

24 - حلاّم الجيلالي، تقنيات التّعريف في المعاجم العربية المُعاصرة، (منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1999)، ص. 55.

25 - Clas André, «Les problèmes de définition en lexicographie et en terminologie», Guide de recherche en lexicographie et en terminologie, (Agence de Coopération Culturelle et Technique, Paris, 1985), p. 78.

26 - Jean Dubois et Claude Dubois, Introduction à la lexicographie, (Librairie Larousse, Paris, 1971), p. 88.

27 - ويظهر التّعريف بالضّد في مظهر آخر يُعرَفُ بالتّعريف السلبي La définition négative، الذي يأخذ بدوره صورتين: الأولى يتم فيها اعتماد الأدوات اللغوية المُعبّرة عن النّفي، مثل: n'est pas في اللغة الفرنسية. ومن أمثلته: «Injuste: qui n'est pas juste» (يُنظر: André Clas, «Les problèmes de définition en lexicographie et en terminologie» p. 78.)، أمّا الصورة الثانية فتُستعمل فيها الوحدات اللغوية السالبة les privatifs، حيث إنّه «فقط الكلمات التي هي من نمط: غياب، [absence]، نقص [manque]، عجز [عيب] [défaut]، وهي عبارة عن سوالب (priva-tifs) تستطيع أن تدخل في [علاقة] إسناد تعريفي تضادّي خاصّ بالأسماء: ممثل]: «l'impatience est un manque de patience» (يُنظر: J. Rey-Debove, Étude linguistique et sémiotique des dictionnaires Français contemporains, p. 245.).

28 - J. Rey-Debove, Étude linguistique et sémiotique des dictionnaires Français contemporains, p. 243.

29 - Ibid. p. 244.

30- André Clas, «Les problèmes de définition en lexicographie et en terminologie», p. 78.

31 - Robert Vézina [et al.], La rédaction de définitions terminologiques, (Office québécois de la langue française, Montréal, 2009), p. 38.

32- Gaudin François, Guespin Louis, Initiation à la lexicologie française, p. 149.

33 - روبير مارتان، في سبيل منطقٍ للمعنى، تر. الطيّب البكّوش وصالح الماجري، (المنظّمة العربية للترجمة، بيروت، 2006)، ص. 80. (لقد أورد روبير مارتان هذا المثال لتوضيح مفهوم التعريف الأدنى، وقد حاولنا توظيفه في تحديد مفهوم التّعريف باعتبار الوظيفة).

34 - ومن أمثلة المعاجم التي ألّفت لخدمة الناطقين بالعربية وبغيرها نجد «المعجم العربي الأساسي» الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. جاء في تقديم المعجم المساعد للكتاب الأساسي ما يلي: «اهتمت المنظمة منذ الثمانينيات بأن ترفد عملها هذا بعتاد معرفي مُعِين على بلوغ الهدف المنشود من تيسير العربية لغير أبنائها (أو لأبنائها الجدد)، فعمدتْ إلى وضع «المعجم العربي الأساسي»» (يُنظر: المعجم المساعد للكتاب العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (مجموعة من المؤلّفين)، تنسيق وتدقيق، عبد اللطيف عبيد، مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة، 2009، التقديم، ص. 05.)

35 - جاء في مقدمة المعجم المساعد للكتاب الأساسي بأنّ «الهدف الرئيسي لهذا المعجم هو مساعدة دارسي «الكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها» . سواء أكانت العربية بالنسبة إليهم لغة ثانية أم أجنبية . على استعماله، وذلك بأن يكون أداة للتعليم الذاتي تدقق مكتسباتهم من ألفاظ اللغة العربية الفصحى المعاصرة وتعابيرها وتغني تلك المكتسبات وتعززها سواء ثناء مرحلة التعلم أو بعدها. وتتأكد أهمية هذا الهدف إذا علمنا أن «الكتاب الأساسي» يهدف «إلى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من الكبار المثقفين، أي الذين لهم قدر معقول من الثقافة»، وبالتالي فهم قادرون على استخدام هذا المعجم بالطريقة

المناسبة والإفادة منه في حدود الهدف الموضوع له. ومن البديهي، إذن، أنّ هذا المعجم لا يعوّض المعلّم، أو يغني عن اتباع طريقة أو أكثر من طرائق تعليم اللغات عامة وتعليم اللغة الثانية أو الأجنبية خاصة، كما أنه لا يغني عن استعمال المعاجم الأخرى الأحادية اللغة (العربية) أو الثنائية أو المتعددة اللغات (العربية . الأجنبية)، وإنمّا يعاضدها ويتكامل معها» (يُنظر: المعجم المساعد للكتاب العربي الأساسي، المقدمة، ص ص، 11 . 12).

ولقد استبعدنا هذا المعجم من دراستنا، لأنّه لا يورد التعريفات، وإنّما يعرض المفردات بالعربية وما يقابلها في الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية.

36 - هوفانيا مبادي عبد الرحيم مدير مركز الترجمة بمركب الملك فهد لطباعة القرآن الكريم بالمدينة المنورة.

37 - ف. عبد الرحيم، معجم للكلمات المستعملة في دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها، المقدمة، ص. V.

38 - ف. عبد الرحيم، معجم للكلمات المستعملة في دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها، المقدمة، ص. VI.

39 - نفسه، المقدمة، ص. VI.

وهو عندهم نوع آخر من التّعريفات اللفظية بحيث «تقترح بعض المعاجم الخاصة، ثنائية أو متعدّدة اللغات، بمثابة تعريفٍ، [لفظا] مكافئا وو أكثر ينتمي إلى نظام آخر من الأدلة اللسانية» (Selja Sepälä, «Composition et Formalisation Conceptuelles de la Définition Terminographique», p. 69.). وعلى اعتبار حدوثِ نقل دلالي من لغة إلى أخرى فيمكن اعتبار هذه الآلية تعريفا بالترجمة.

40 - وهناك من يصف التّعريف التكافؤي بأنّه «يتأسس على ربط كلمة بمُرادفها» (F. Gaudin, L. Guespin, Initiation à la lexicologie française, p. 144.). ويبدو بأنّ إطلاق لفظ المرادف يعود إلى أنّ المبدأ في التعريف التكافؤي «هو نفسه الخاص بالتعريف بالترادف، مع الأخذ في للحسبان الفارق الموجود بين اللغات المُختلفة». (Selja Sepälä, «Composition et Formalisation Conceptuelles de la Définition Terminographique», p. 69.) ووفقا لذلك فإنّ الطريقتين تتّفقان في أنّهما تُقابلان اللفظ بلفظ آخر. ومع ذلك فيبدو من الأحوطِ تجنّب الحكم على اللفظين المتكافئين بأنّهما مترادفان؛ فاللغات بالرّغم من أنّها تلتقي أحيانا في التّعبير عن المعاني، فإنّ لكلّ لغة كما يقول أصحاب النسبية اللغوية من البنويين تقسيمًا خاصّا بها للواقع.

41 - عثرنا في المعجم كلّه على تعريف إحالي واحد، وذلك في المدخل الخاص بلفظ «يوم» الذي قابله ف. عبد الرحيم بـ day، ثم أورد بعد ذلك قائمة التسميات التي يتحقق فيها مفهوم اليوم، وهي السبت والأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة. وبالرغم من الفائدة التعليمية التي يقدّمها هذا النوع التّعريفي إلاّ أنّ المؤلِف لم يوظِّفه إلاّ في هذا المدخل.

42 - سورة النمل، الآية، 12.

43 - سورة القدر، الآية، 3.

رحلة ابن حمادوش الجزائري
تحقيق ونقد

د.محمد بن حجر
جامعة الدكتور يحي فارس – المدية

إن تحقيق أي كتاب تراثي معناه إعادة كتابته على الصورة التي أنشأها صاحبه،والتعليق إنما يكون على مواطن اللبس أو الغموض في الكتاب للتوضيح،وعلى بعض الأعلام أو الأحداث للتعريف،وبهذه الكيفية يمكن لمن يقرأ الكتاب التراثي من عامة القراء بله الخاصة أن يفهمه وأن يستفيد منه.

وإعادة كتابة النص التراثي هي إحدى عناصر التحقيق العلمي،إذ:»الكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه،واسم مؤلفه،ونسبة الكتاب إليه،وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه.وعلى ذلك فإن الجهود التي تبذل في كل مخطوط يجب أن تتناول البحث في الزوايا التالية:

1 - تحقيق عنوان الكتاب.

2 - تحقيق اسم المؤلف.

3 - تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

4 - تحقيق متن الكتاب حتى يظهر بقدر الإمكان مقاربا لنص مؤلفه».[1]

وسهولة التحقيق وصعوبته تتوقف على أمور عديدة:منها وجود نسخة أو أكثر للكتاب، ووضوح الخط الذي كتبت به،وتوفر الكتب التي نقلت عنه أو الكتب التي نقل عنها،ومدى علم المحقق بموضوع الكتاب،والموضوعية في تقييم مضامينه.

والكتاب التراثي المحقق الذي هو موضوع ملاحظاتي هو رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة (لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال) تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية . وحدة الطبع المتعددة . ورشة أحمد زبانا . الجزائر. 1983م.

وقد اعتمد المحقق على النسخة الوحيدة التي وجدها في مكتبة (الخزانة العامة) بالرباط تحت رقم: ك 463 ،وبعد أن اعترف المحقق في مقدمته بصعوبة تحقيقه لأمرين: أولهما تعدد موضوعات الرحلة، وثانيهما توفر نسخة واحدة من المخطوطة،فقد حاول التغلب على ذلك بأمرين اثنين:أحدهما الرجوع إلى الكتب التي نقل منها ابن حمادوش، وثانيهما الاستعانة برأي بعض كبار العلماء كالشيخ محمد الطاهر التليلي.

ولكنني كقارئ مشغوف بكتب التراث،والتراث الجزائري على الخصوص،تبين لي أن الدكتور سعد الله لم يف بشروط التحقيق،ولم يكن موضوعيا في بعض التعاليق،وعوض أن يعيد كتابة النص بما يكفل له الصحة،ويقربه من الصورة التي أنشأها ابن حمادوش،أضرب عن تصحيح كثير من الأخطاء وبخاصة في النصوص المنقولة من كتب أغلبها موجود ومعروف،ولم يوضح لقارئه ما كان يحتاج إلى إيضاح.

وهذه الملاحظات التي أنا بصدد ذكرها نتيجة قراءتي المتكررة لرحلة ابن حمادوش لا أريد من ورائها الغض من عمل المحقق،ولا التقليل من مجهوده الذي بذله في تصحيحه،وإنما الغرض منها تقويم عمل تراثي كان يجب أن يكون إخراجه في أحسن صورة،لما فيه من فوائد متنوعة جمة،ولأنه يعكس ثقافة المجتمع الجزائري في فترة من حياته.

الملاحظات:

(1)- قال ابن حمادوش: « وفي يوم الأربعاء أذن لي الشيخان البناني والورززي أن أدرس المقنع (43) فابتدأت ختمة للطلبة».[2]

قال المحقق:»(43) الظاهر أنه شرح محمد بن سعيد السوسي على نظم محمد بن علي المعروف بأبي مقرع،وشرح السوسي يسمى (المقنع في علم أبي مقرع)».

- والحق أن (المقنع في علم أبي مقرع) هو منظومة شعرية للسوسي اختصر فيها منظومة أبي مقرع في علم الفلك،وليس شرحا كما زعم المحقق هنا وفي (تاريخ الجزائر الثقافي).[3] والدليل على ذلك قول السوسي في بداية هذا الرجز:

يا سائلي مختصرا يكون فِي * علم أبي مقرع المؤلفِ

خذه بعون القادر المهيمنِ * كما أردت وبه فاستعنِ

وقوله في نهايته:

قد انتهى المختصر المقصود * وربنا لا غيره المحمود

سميته المقنع في علم أبِي * مقرع أبغ نفع أمة النبي

فمنظومة أبي مقرع فيها 154 بيتا،ومطلعها:

يا سائلا جملة ما في العام * مما به يهتم في الأيام

ومنظومة السوسي فيها 99 بيتا،وفي ذلك قال:

أبياتها (ضُحَا) وعامها (شِمِ) * مصليا على النبي الهاشمي

وللسوسي على نظمه شرحان:أحدهما: كبير،واسمه (الممتع في شرح المقنع)،وهو مطبوع طبعات قديمة منها طبعة أحمد بن مراد التركي بالجزائر،قال السوسي في مقدمته:"هذا شرح لطيف قصدت به تبيين رجزنا المسمى بـ(المقنع في علم أبي مقرع) قاصدا فيه الاختصار،والوقوف عند الحاجة والاقتصار".[4]

وثانيهما: صغير،واسمه (المطلع على مسائل المقنع) وفيه قال السوسي: «وبعد فهذا تقييد مختصر على نظمنا المسمى (المقنع في اختصار نظم أبي مقرع)...وسميت هذا التقييد بـ(المطلع على مسائل المقنع)».وقد طبع في فاس في هامش الممتع.[5] وأما أبو مقرع فاسمه كما قال السوسي: هو «أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن علي البطيوي».[6]

وأما المحقق فقال في تعليقه على الرحلة هنا: «محمد بن علي المعروف بأبي مقرع.وقال في تاريخ الجزائر الثقافي:» أحمد بن علي (البطيوي؟) المعروف بأبي مقرع...».[7]

(2) . جاء فيما نقله ابن حمادوش عن البناني في فهرسه أثناء حديثه عن أحد أسانيده في رواية الصحيحين أنه قال: « عن الشيخ أبي عبد الله بن عبد الملك المنتوري المتولد سنة 761 ثم توفي سنة (74)».[8]

فعلق المحقق بقوله:74. « التاريخ غير مذكور في الأصل،ولم نعثر عليه في غيره».

- مع أن صاحب (فهرس الفهارس) قد ذكره وأنه سنة 834 هـ قال: «على ما في (ذيل الديباج) للسوداني،ونحوه في (الدرة)».وخطأ من قال إنه

توفي سنة 761هـ،[9]والمحقق رجع مرات إلى فهرس الفهارس آخرها في هامش صفحة 270.

(2)- جاء في إجازة البناني لابن حمادوش:»وشرحنا على الصلاة لمولانا القطب الأشهر مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به».[10]

فعلق المحقق بقوله:»79. من تلاميذ أبي الحسن الشاذلي وشراحه أيضا،وله دعاء في التصوف يعرف بالصلاة المشيشية».

- والمعروف عند الخاص والعام أن سيدي ابن مشيش هو شيخ سيدي أبي الحسن،ولو تذكر سعد الله سنة وفاة أبي الحسن. وكان قد ذكره قبل هذا الكلام بسطر. وتذكر سنة وفاة ابن مشيش لتبين له من منهما تلميذ الآخر،فإن ابن مشيش توفي سنة 622 هـ وأبا الحسن توفي سنة 656 هـ

وما لسيدي ابن مشيش هو صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم،وتعرف بـ(الصلاة المشيشية)،وليس دعاء،وإن لم تخل صلاته من الدعاء،يبدؤها بقوله: « اللهم صل على مَن مِنه انشقت الأسرار،وانفلقت الأنوار،وفيه ارتقت الحقائق،وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق...الخ».

(3) جاء في آخر إجازة البناني لابن حمادوش:»قاله وكتبه محمد بن عبد السلام البناني غفر الله له، أواخر المحرم الحرام،فاتح و.ن.ق.ش، يعني 1156».[11]

وعلق المحقق بقوله:80. كذا بحروف الغبار التي تعني 1156».

- والمعروف أن الرمز للأعداد بحروف أبجد هوز حطي كلمن...الخ يسمى حساب الجُمَّل،وأما الحروف الغبارية فهي الأرقام العربية التي بهذا الشكل:1،2،3،4،5،6،7،8،9،،وتقابلها الأرقام الهندية والتي هي بهذا الشكل:١،٢،٣،٤،٥،٦،٧،٨،٩.

وفي كتاب (العلوم الرياضية في الحضارة الإسلامية): « لقد استخدم العرب سلستين من الرموز الهندية،سلسلة فضلها أهل المشرق العربي... وسلسلة وجدت طريقها إلى أهل المغرب العربي... وعرفت السلسة المستخدمة في المشرق بـ(الأرقام الهندية)،بينما عرفت السلسلة الثانية المستخدمة في المغرب العربي بـ(الأرقام الغبارية)،وهي السلسلة التي انتقلت إلى أوروبا وأطلق عليها تسمية (الأرقام العربية) حيث إنها وصلتهم عن طريق الحضارة العربية».[12]

ويجب التنبيه إلى أن هناك طريقتين في ترتيب الحروف في حساب الجمل،طريقة المشارقة وهي:أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ،وطريقة المغاربة وهي:أبجد هوز حطي كلمن صعفض قرست ثخذ ظغش،وهي التي استعملها ابن حمادوش في قوله (و . ن . ق . ش) أي: 1000+100+50+6= 1156.

(5) . تحت عنوان: «اليهود يزورون وثيقة عام 1015 هـ» فقرة لابن حمادوش لم يستطع المحقق أن يحررها كما ينبغي،فوقع فيها خلط من حيث المبنى ومن حيث المعنى،وزاد هذا الخلط أن المحقق اعتاد الإحالة على تعاليقه وتحقيقاته بأرقام متسلسلة أثناء كلام ابن حمادوش،وفي هذه الفقرة أحال بأرقام تبدأ من 81 وتنتهي بـ88،لكنَّ الرقمين 83و84 موجودان في الهامش دون الفقرة،مما يصعب على القارئ معرفة مرجعهما.[13]

وحتى يتضح غموض الفقرة والخلط الذي لم يستطع المحقق أن يفسره أو يزيله أكتبها كلها حرفيا كما جاءت في تحقيق سعد الله ثم أبين وجه الخلط والغموض فيها،وهي كالتالي:

« وفي يوم الأحد الثامن والعشرين من محرم قرأ الشيخ البناني أول تقريره وينقض بقتال إلى آخر باب الجزية من سيدي خليل،وقال في قوله:ومنع جزية أي إن منعوها فرد بتعصب ظالم،وأما إن تحيلوا عنا بحجة شرعية،كما وقع ذلك عام خمسة عشرومائة وألف (81) بمكناسة. فأتوا (82) بالحجة التي نقلها (ابن الحاج أو غيره من يهود الشام مأثورة عن النبي،صلى الله عليه وسلم،أنه رفع عنهم الجزية وفيها كذا وكذا كتابه،أظنه قال في الديباج في خاتمة أو تنبيه في فضل التاريخ،قال:من فضائله ما وقع بالشام في زمن فلان نسبه،قال:فأدلى اليهود بحجة تتضمن (85) هذه / المسألة، وهي حجة مأثورة عن النبي، صلى الله عليه وسلم،أنه رفع عنهم الجزية وفيها كذا وكذا من الصحابة فشهدوا بذلك،ومن جملتهم معاوية،رضي الله عنهم،قال فوجهوها إلى فاس إلى يد شيخه سيدي محمد الفاسي فلم يتأمل أن كتب جوابها (86)،ثم دخل عليه سيدي الطيب الفاسي فناوله،فكتب تحته موافقا له على تزويرها،وذلك لما نظروا في التأليف المذكور.قال فأفسدها بهم (87) من جهة التاريخ وأن حجتهم مؤرخة عام خيبر وإسلام معاوية بعد فتح مكة.هذا زور محض. وأفسدوها من وجوه أخرى.قال الشيخ:وهي موجودة (88) بفاس،السؤال والجواب،وإن وقعت عليها ألحقها إن شاء الله فيما يأتي».انتهت الفقرة

هذه هي الفقرة التي عنيت أن فيها غموضا وخلطا مبنى ومعنى،ولم يعمل المحقق سعد الله على توضيحها ورفع اللبس عنها،وسأقتصر في تعليقي على تحقيقاته التي رقمها في الذيل وليس لها مرجع في النص لأنها محل الخطأ والخلط.

(أ)- قال المحقق في تعليقه:(81) كذا،ولكن الحادثة وقعت سنة 1015، وليس 1115.

- ولم يحلنا المحقق على مصدره في أن الحادثة وقعت سنة 1015،وليس 1115 كما قال ابن حمادوش، مع أن الحق يكاد يكون مع ابن حمادوش،وإلا فكيف يمكن أن يحضر الوثيقة ويكشف تزويرها الشيخان محمد الفاسي وابنه الطيب الفاسي،كما قال ابن حمادوش وأقره المحقق،ويشارك في ذلك الشيخ:محمد بن أحمد القسنطيني كما قال المحقق في تعليقه،وزاد فذكر:محمد بن عبد القادر الفاسي وهو نفسه محمد الفاسي كما جاء في كلام ابن حمادوش.

وهذا إذا عرفنا ميلاد ووفاة هؤلاء العلماء:فالشيخ محمد الفاسي ولد سنة 1042هـ وتوفي سنة 1116 هـ.[14] والشيخ الطيب ابنه ولد سنة 1064 أو 1068 هـ وتوفي سنة 1113 هـ[15] والشيخ القسنطيني ولد سنة ؟ ،وتوفي سنة 1116 هـ[16] كما قال ابن حمادوش.فتواريخ الولادة والوفاة تدل على أنهم لم يحضروا الحادثة لو كانت وقعت سنة 1015 كما زعم المحقق.

هذا من جهة ومن جهة ثانية فقد قال المحقق في تعليقه رقم (82):»انظر عن هذه القضية (إتحاف أعلام الناس:1/339)»ولما رجعنا إلى الإتحاف في طبعته الجديدة وجدناه يتحدث عن هذه الحادثة في ترجمة القاضي أبي العباس أحمد بن ناجي السجلماسي لأنها وقعت في عهده،وهذا القاضي توفي سنة 1122 .[17]

فكيف يصح بعد هذا أن يقول المحقق: « ولكن الحادثة وقعت سنة 1015،وليس 1115» ؟ ويؤكد ذلك بعقد عنوان لنص القضية بلفظ: « اليهود يزورون وثيقة عام 1015 هـ».

والحق أن الواقعة حدثت في حدود سنة 1110 هـ ففي (الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصى) «وانظر ما وقع في هذا الوقت في حدود عشر ومائة وألف من أن نفرا من يهود فاس الجديد امتنعوا من أداء الجزية،وأخرجوا ظهيرا قديما،مضمنه أن النبي صلى الله عليه وسلم عقد لموسى بن حيي بن أخطب أخي صفية رضي الله عنها،ولأهل بيت صفية الأمان...الخ».[18]

(ب) . قال المحقق: - 83 . ما بين قوسين مشطوب في الأصل،والمعنى يستقيم بدونه،ومع ذلك أبقيناه، وقد انجر القلم حتى على كلمة»نقلها»التي من المفروض ألا تشطب».

- ما دام المحقق فتح القوس ولم يغلقه فقد صعَّب على القارئ معرفة المشطوب،خصوصا ورقم 83 في الهامش لا مرجع له في النص،وأظن القوس يغلق بعد عبارة (تتضمن هذه المسألة).

(ج) - لم يوضح المحقق المقصود بابن الحاج في النص،فإن كان صاحب (المدخل) فصاحب (المدخل) لم يذكر هذه المسألة،وإن كان غيره فكان يجب تبيينه.

(د) - جاء في النص: «أظنه قال في الديباج في(خاتمة) أو (تنبيه:في فضل التاريخ)،قال: ومن فضائله ما وقع بالشام في زمن فلان نسبه...».

والمحقق لم يعرج على تعريفنا بـ «فلان» هذا الذي وقعت المسألة في زمنه، مع أنه مؤرخ، فكان ينبغي أن يعلم أن المسألة وقعت في زمن الخطيب البغدادي المتوفى سنة 436 هـ كما في (طبقات الشافعية الكبرى)[19] وكما في (نيل الابتهاج في هامش الديباج)[20] وأن البغدادي هو الذي بين التزوير في وثيقة اليهود التي زعموا أنها عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(هـ)- قال المحقق: « 84. كذا،وهو أحمد بابا التمبكتي السوداني صاحب (نيل الابتهاج)و(كفاية المحتاج)،وهو من شيوخ أحمد المقري،وقد توفي سنة 1036،ترجمته في (نشر المثاني)1/332».

- رقم (84) هذا لا مرجع له في النص،ولكن يمكن أن يفهم أن المقصود تصحيح خطأ ابن حمادوش

على أن الذي ذكر الواقعة هو التمبكتي في (نيل الابتهاج) وليس ابن فرحون في (الديباج)،ولكن المحقق لم يشر إلى هذا بصريح العبارة.

(و) - قال المحقق: « 86. أي وافق على ما جاء فيها دون نظر».

- هكذا قال المحقق،وعبارته تفيد أن الشيخ سيدي محمد الفاسي انطلت عليه حيلة اليهود ووافق على ما جاء فيها دون نظر،أي دون تأمل،بينما العبارة حسب السياق والسباق تفيد أنه علم تزويرها ورفضها بدليل ما جاء بعدها: « ثم دخل عليه سيدي الطيب الفاسي فناوله،فكتب تحته موافقا له على تزويرها».

(ز) - قال المحقق: «87 . كذا في الأصل (فأفسدها بهم) والمعنى غير واضح،ولعلها فأفسدوها».

- والأصح أن العبارة (فأفسدها لهم) بتغيير حرف الجر من باء إلى لام،وهذا من أغلاط النساخ بلا شك،ومرجع الضمير هو الشيخ سيدي محمد الفاسي،لأنه أول المجيبين.

ثم إن هذه المسألة . وهي وثيقة اليهود المزورة . ذكرها كثير من المؤرخين.

منهم ابن كثير في (البداية والنهاية) وصرح أن له فيها كتابا مفردا،فقال: «وأما ما يدعيه طائفة من يهود خيبر أن بأيديهم كتابا من النبي صلى الله عليه وسلم بوضع الجزية عنهم،وفي آخره:وكتب علي بن أبي طالب،وفيه

شهادة جماعة من الصحابة،منهم سعد بن معاذ، ومعاوية بن أبي سفيان،فهو كذب وبهتان،مختلق موضوع مصنوع،وقد بين جماعة من العلماء بطلانه، واغتر بعض الفقهاء المتقدمين فقالوا بوضع الجزية عنهم وهذا ضعيف جدا.وقد جمعت في ذلك جزءاً مفرداً بينت فيه بطلانه وأنه موضوع،اختلقوه وصنعوه،وهم أهل لذلك، وبينته وجمعت مفرق كلام الائمة فيه،ولله الحمد والمنة».[21]

وقال أيضا: « وقد وقفت أنا على هذا الكتاب فرأيت فيه شهادة سعد بن معاذ عام خيبر،وقد توفي سعد قبل ذلك بنحو من سنتين،وفيه:وكتب علي بن أبي طالب وهذا لحن لا يصدر عن أمير المؤمنين علي،لأن علم النحو إنما أسند إليه من طريق أبي الاسود الدؤلي عنه،وقد جمعت فيه جزءا مفردا،وذكرت ما جرى فيه أيام القاضي الماوردي،وكتاب أصحابنا في ذلك العصر،وقد ذكره في الحاوي وصاحب الشامل في كتابه وغيرواحد،(وبينوا) خطأه،ولله الحمد والمنة».[22]

ويبدو أن هذه الوثيقة المزعومة استعملها اليهود أكثر من مرة.

الأولى: - في عصر الخطيب البغدادي،حيث قال ابن السبكي في (طبقات الشافعية الكبرى):

«وحكي أن بعض اليهود أظهر كتابا وادعى أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (بوضع) الجزية عن أهل خيبر،وفيه شهادات الصحابة رضي الله عنهم،وذكروا أن خَطَّ عليٍّ فيه،فعرض على الخطيب فتأمله وقال:هذا مزور،لأن فيه شهادة معاوية،وهو أسلم عام الفتح،وخيبر فتحت قبل ذلك،ولم يكن مسلما في ذلك الوقت،ولا حضر ما جرى،وفيه شهادة سعد بن معاذ،ومات في بني قريظة بسهم أصابه في أكحله يوم الخندق،وذلك قبل فتح خيبر بسنتين».[23]

وهي الرواية التي ذكرها أحمد بابا التمبكتي في (نيل الابتهاج) حين قال: «وقال: من فوائد التاريخ واقعة رئيس الرؤساء مع اليهودي الذي أظهر كتابا فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بإسقاط الجزية عن أهل خيبر،وفيه شهادة الصحابة،منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه،فحمل الكتاب إلى رئيس الرؤساء،ووقع الناس في حيرة عظيمة من شأنه،فعرض على الحافظ أبي بكر الخطيب فتأمله وقال:هذا مزور،فقيل:من أين ذلك،فقال:شهادة معاوية،وهو أسلم عام الفتح وفتح خيبر سنة سبع،وشهادة سعد بن معاذ،وسعد مات يومة بني قريظة قبل فتح خيبر،ففرج بذلك عن الناس غما».[24]

الثانية: - في عصر ابن تيمية،على حد قول ابن كثير فإنه قال في (البداية والنهاية): « وفي هذا الشهر عقد مجلس لليهود الخيابرة،بأداء الجزية أسوة أمثالهم من اليهود،فأحضروا كتابا معهم يزعمون أنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضع الجزية عنهم،فلما وقف عليه الفقهاء تبينوا أنه مكذوب مفتعل لما فيه من الألفاظ الركيكة،والتواريخ المحبطة،واللحن الفاحش،وحاققهم عليه شيخ الاسلام ابن تيمية،وبين لهم خطأهم وكذبهم،وأنه مزور مكذوب،فأنابوا إلى أداء الجزية،وخافوا من أن تستعاد منهم الشؤون الماضية».[25]

الثالثة: - في عصر الشيخ محمد الفاسي والطيب الفاسي،وهي التي ذكرها الشيخ البناني في شرح باب الجزية من مختصر خليل ونقلها عنه ابن حمادوش في رحلته.فكان يجب على المحقق الذي هو في نفس الوقت مؤرخ أن يبين ويوضح قصة هذه الوثيقة وهل استعملها اليهود أكثر من مرة،وهل هي وثيقة واحدة يظهرونها كلما واتتهم الفرصة أم أكثر من وثيقة،وهكذا.

(6)- قال ابن حمادوش: « وقال الشيخ البناني في قول سيدي خليل (وصريح خطبة معتدة):ومما يحرم مراجعة الحامل المطلقة طلاقا بائنا بعد ستة أشهر من حملها،سواء طلقها قبلها وأراد مراجعتها بعدها،أو طلقها بعدها وأراد مراجعتها،لأنها (89) كالمرايض،وقد نهي عن إدخال وارث وإخراج وارث،ونسبه للمعيار (90)».[26]

فقال المحقق: (89) « ... ولعل كلمة (كالمرايض) هي (كالحائض)».

- و الصحيح (كالمريض) بحذف الألف التي بين الراء والياء،والدليل على أن المرايض هنا المريض وليس الحائض كما زعم المحقق هو ما جاء في (المعيار) الذي ذكره ابن حمادوش من قوله: « والحامل تجوز مراجعتها ما لم تكن قد أكملت ستة أشهر،فإذا بلغت هذه المدة فلا ترد لأنها مريضة».[27] ومما يؤكد ذلك أيضا قوله: « وقد نهي عن إدخال وارث وإخراج وارث»،[28]وذلك لأن الزوج يتهم في ذلك بإدخال الضرر على الورثة.

(7) . قال الشيخ ابن حمادوش: « وقرأت عليه في هذه المرة الخبيصي (92) إلى القضايا بالشرح قرأته بلساني وهو يقابل».[29]

فقال المحقق: « (92) لعله يقصد محمد بن أبي بكربن محرز بن محمد المتوفى سنة 731.معجم المؤلفين: 9/116».

- وهذا خطأ،لأن الذي ذكره المحقق قال فيه صاحب المعجم الذي نقل منه: « نحوي،من آثاره الموشح في شرح الكافية لابن الحاجب في النحو» ،بينما الذي عناه ابن حمادوش منطقي هو (عبيد الله بن فضل الله) كما سمى نفسه في شرحه (التذهيب في شرح التهذيب) في علم المنطق للتفتازاني،وهو مطبوع بتحقيق وتعليق عبد المتعال الصعيدي[30]، وهكذا سماه حاجي خليفة في (كشف الظنون)[31] ، وكذلك الباباني في (هدية

العارفين) وقال: «فخر الدين عبيد الله بن فضل الله المتوفى في حدود 1050 خمسين وألف،صنف (التذهيب في شرح التهذيب) للتفتازاني في المنطق والكلام».[32]

ثم إن في كلام ابن حمادوش ما يوضح أن الكتاب في المنطق وليس في النحو وهو قوله: « إلى القضايا» ولا شك أن المقصود بها القضايا التي هي من مبادئ التصديقات التي يتناولها علم المنطق،وقد صرح بذلك فقال في ص86: «ومن الغد صبيحة الاثنين ابتدأنا الخبيصي في المنطق...».

(8)- جاء في الرحلة آيات من سورة البقرة 31 .33 منها:[قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت السميع العليم] والصواب[إنك أنت العليم الحكيم].[33]

ولكن المحقق لم يصحح الخطأ وهو في القرآن،ومن الغريب أنه لم يضع للآيات القرآنية ولا الأحاديث النبوية فهرسا كما فعل للأعلام والأماكن والكتب والجداول والرسوم ؟ بل إنه لم يضع الآيات حيثما وردت في متن الكتاب بين قوسين لتمييزها،ولم يعمل على تخريج حديث نبوي واحد ؟ !

(9) .قال ابن حمادوش عقب قوله تعالى: (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم): «فيه دليل على أنه علم الملائكة أجمعين،والإجماع منعقد على أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل منه (99)، فهو أفضل من الملائكة».[34]

فقال المحقق:(99) .كذا في الأصل ولعل صوابها «منهم».

- والصواب «منه» أي آدم عليه السلام،لأنه وجه الاحتجاج بالآية ردا على الورزازي حين فضل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمادا على قوله تعالى (علمه شديد القوى) قال: ولا شك أن المعلم أفضل من المتعلم،فرد عليه البناني كما نقل ابن حمادوش بأن آدم علم

الملائكة بنص القرآن،فآدم أفضل منهم لأنه المعلم وهم المتعلمون،ورسول الله صلى الله عليه وسلم انعقد الإجماع على أنه أفضل من آدم،فوجب ضرورة أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة.

ويمكن أن يصاغ قول الورزازي في شكل قياس فيقال: المعلم أفضل من المتعلم بلا شك،وجبريل معلم ورسول الله متعلم بنص الآية،إذن جبريل أفضل من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.ويصاغ قول البناني كذلك فيقال:آدم أفضل من الملائكة لأنه معلم وهم متعلمون بنص الآية،ورسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل (منه) أي: من آدم بالإجماع،إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة.

(10) - قال الشيخ ابن حمادوش عن الشيخ أحمد السرائري:»فوجدته يدرس ألفية العراقي في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم».[35]

قال المحقق: «107. كان العراقي شيخا لعدد من علماء المغرب كالبناني،وله تأليف سماه (الدرر الحسان)،وقد توفي سنة 1120،انظر عنه محمد داود (تاريخ تطوان) 1/350».

- والعراقي المذكور في كلام ابن حمادوش هو الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين المتوفى سنة 806 هـ لأنه هو صاحب الألفية في السيرة،وسوف يأتي ذكره وذكرها في تعليق المحقق برقم (113) فكيف يقول المحقق: « كان العراقي شيخا لعدد من علماء المغرب كالبناني»،فهو هنا لم يفرق بين العراقي الحافظ الذي هو شيخ ابن حجر العسقلاني والعراقي المتأخر المتوفى كما قال سنة 1120 والذي لا علاقة له بألفية السيرة.

(11) - قال ابن حمادوش: « أخذت المنوي على ألفية العراقي».[36]

فقال المحقق: « 113 ....والعراقي هو عبد الرحيم بن الحسين المعروف بالحافظ العراقي،أصله من الأكراد،وعاش في مصر وتوفي بها سنة 806،وألفيته في مصطلح الحديث،وتسمى (نظم الدرر في علم الأثر)».

- فانظر كيف أن المحقق قبل قليل جهل الحافظ العراقي والآن عرفه ؟ ثم إن قوله عن ألفية العراقي هنا:»وألفيته في مصطلح الحديث...»،ليس كذلك،لأن الحافظ العراقي له ألفية في المصطلح باسم (نظم الدرر في علم الأثر) وليست مقصودة هنا،وله ألفية في السيرة بعنوان (نظم الدرر السنية في السيرة الزكية) وهي المقصودة هنا،وهي التي شرحها المناوي.رغم أن المحقق أحال على (خلاصة الأثر: 2/412) وفيه يقول المحبي عن عبد الرؤوف المناوي:»وشرح (ألفية السيرة) لجده العراقي شرحين،أحدهما قولات،والآخر مزج،سماه (الفتوحات السبحانية في شرح نظم الدرر السنية في السيرة الزكية)».[37]

قلت:لكن المطبوع هو بعنوان (العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية) منسوبا لعبد الرزاق المناوي، ورجح مصححه والمعلق عليه إسماعيل الأنصاري أنه لعبد الرؤوف المناوي.ورغم أن ابن حمادوش قال:ص69»وفي يوم الخميس ابتدأت نسخ نسخة من ألفية العراقي على السيرة المحمدية،وفي خامسه يوم الأحد ابتدأت ختمة في ألفية العراقي بشرحها على يد سيدي أحمد السرائري في جامعه القريب من سيدي الجعيدي».

وراح بعد ذلك يذكر ما درسه كل يوم من هذه السيرة طيلة أيام (اثني عشر يوما أو أكثر) منها: باب أسمائه صلى الله عليه وسلم،وباب نسبه،وباب مولده...الخ، وكلها في السيرة وليس في مصطلح الحديث.

(12)- قال ابن حمادوش وهو يسرد ما قرأ كل يوم على السرائري من شرح ألفية السيرة:

«فأول يوم وقفنا على قوله:وقد وعى ابن العربي سبعة...الخ،من باب أسمائه».[38]

فقال المحقق: « 115 . الظاهر أنه يعني محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأندلسي المتوفى سنة 543،ومؤلف (شرح الجامع الصحيح) للترمذي.انظر معجم المؤلفين:10/242».

. إنه يعنيه حقا،ولورجع المحقق إلى شرح المناوي لوجده يقول على قول الحافظ العراقي:

وقد وعى ابن العربي سبعة * من بعد ستين وقيل تسعة

من بعد تسعين..... *

«أفاد الناظم أن القاضي أبا بكر بن العربي المالكي قد وعى أي جمع في كتابه المسمى بالعارضة وهو الأحوذي في شرح الترمذي للمصطفى (صلى الله عليه وسلم) سبعة وستين اسما...الخ».[39]

(13)- قال ابن حمادوش: « وتممت قبلها يوم الإثنين ابن فارس (118) على أحوال المصطفى،ومعها السوسي (119) على الدجاج والرؤوس والبيض».[40]

قال المحقق: (119) الغالب أنه يعني عبد الله بن محمد الثقفي الطبيب الذي قتل في قرطبة سنة 430،وهو صاحب المجربات في الطب.معجم المؤلفين: 6 /114.

- بل إنه يعني محمد بن سعيد بن محمد بن يحي المرغثي السوسي أبا عبد الله المتوفى سنة 1089 هـ، وهو صاحب (المقنع)،والمقصود هنا

منظومته المسماة (تحفة المحتاج في حكم أكل الناس للدجاج) ومطلعها:

الحمد لله الذي لا تحصى * نعمه بالعدد المستقصى

وفيها:

سميته بتحفة المحتاجِ * في حكم أكل الناس للدجاجِ

وبعد أبيات:

وفاسد البيض حرامٌ لا كلامْ * كذاك ما يطبخ معْه يا غلامْ

ثم بعد أبيات أيضا:

فصل وأما الرأس إن شويتهُ * من قبل غسله رميتهُ

فمن هذه الأبيات نتحقق أن المقصود بقول ابن حمادوش:"ومعها السوسي على الدجاج والرؤوس والبيض) هو هذه المنظومة المسماة (تحفة المحتاج) والمطبوعة ضمن مجموع المتون بعنوان (منظومة الدجاجية) وتقع في 84 بيتا.[41]

(14) - قال ابن حمادوش بعد الذي سبق: « ويوم الأربعاء تممت نص إيساغوجي . منطق . والسيوطي في أجداد النبي صلى الله عليه وسلم، وفي يوم الخميس تممت منظومة السيوطي في أجداد المصطفى (120) صلى الله عليه وسلم أيضا».[42]

قال المحقق: « (120) هذه العبارة مكررة مع ما قبلها في الأصل».

- قلت: للحافظ السيوطي رسائل عديدة في إيمان والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجداده،ذكر أكثرها العلامة ابن أبي شنب في إحدى مقالاته[43]،منها (السبل الجلية في الآباء العلية) و (الدرج المنيفة في الآباء الشريفة)،وله مع ذلك قصيدة في نفس الموضوع،تقع في 26 بيتا، ذكرها في (مسالك الحنفا في والدي المصطفى) مطلعها:

إنَّ الذي بعث النبي محمداً * أنجى به الثقلين مما يجحفُ

والرسالة مطبوعة ضمن كتابه (الحاوي للفتاوي)44 ،فهناك إذن رسالة،وهناك قصيدة،فكيف فهم المحقق أن في كلام ابن حمادوش تكرارا؟

ثم إن في كلام ابن حمادوش ذكر رسالة في المنطق بعنوان (إيساغوجي) لم يعرج المحقق على التعريف بها ولا بصاحبها،بل لم يذكرها في فهرس الكتب،مع أنها من متون المنطق المشهورة،وهي لأثير الدين المفضل بن عمر الأبهري المتوفى سنة 660 هـ مطبوعة ضمن (المجموع الكامل للمتون).[45]

(15) - وقال ابن حمادوش أيضا بعد الذي سبق: « ويوم السبت تممت شيخ الإسلام شرح إيساغوجي في المنطق،ويوم الإثنين تممت نسخ مختصر السنوسي في المنطق بلا شرح،وشيخ الإسلام على المنفرجة (121)».[46]

فقال المحقق:عن المنفرجة (120):»وقد شرحها بعض الجزائريين،انظر الفصل الأول من الجزء الأول من كتابنا (تاريخ الجزائر الثقافي)».

- ولم يعرج المحقق على قول ابن حمادوش: « شيخ الإسلام شرح إيساغوجي في المنطق» ولا على قوله: «وشيخ الإسلام على المنفرجة»،مع أن المقصود بشيخ الإسلام في الموضعين واحد،وهو شيخ الإسلام زكريا بن محمد بن زكريا قاضي القضاة زين الدين أبو يحي السنيكي المصري الشافعي المتوفى سنة 926.وشرحه على (إيساغوجي) للأبهري اسمه (المطلع) وقد طبع سنة 1283 هـ

وله شرحان على المنفرجة لابن النحوي،مطول هو: (الأضواء البهجة في شرح المنفرجة)،ومختصر هو: (فتح مفرج الكرب) وكلاهما حققه الدكتور جميل عويضة.[47]و(إيساغوجي) لفظ يوناني معناه الكليات الخمس،وقيل

معناه المدخل،أي إلى علم المنطق،كما في (المطلع) لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري.[48]

(16) - قال ابن حمادوش: « فلما تمت الحسوم (150) خرج مولاي المستضيء بنور الله ...الخ».[49]

فقال المحقق: « (150) يعني موسم الشتاء،وهي شهور معروفة عند الفلاحين».

- بينما الحسوم هي أيام برد تمتد من 25 فبراير إلى 4 مارس، وهي التي جاءت في قوله تعالى: « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما».(الحاقة:6.7).وفيها قال السوسي في المقنع:

وكَهٍّ فَبْرِيرٍ لِدَالِ مَارِسِ * أيامُ نَحْسٍ لِذَوِي المناحِسِ

و(كَهٍّ) بحساب الجمل 25،لأن الكاف:20،والهاء:5،وحرف (الدَال):4.

وقال في (الممتع) بعد أن بين أصلها:"وتسمى الحسوم،والصنابر،وليالي الراعي...وليالي العجوز... وتعرف هذه الأيام عند العامة بأيام حيان...".[50]

وقال أبو مقرع وقد سماها ليالي السودان:

وسبعةٌ هنّ ليالي السودانْ * أولهنَّ عند أهل الحسبانْ

ليلةَ خمسٍ قد مضتْ وعشرينْ * من شهرِ فَبْرِيرٍ لأهل التبيينْ[51]

(17) .قال ابن حمادوش يصف أحمد بن المبارك صاحب الإبريز: « كان به قبل أوحول».[52]

فقال المحقق: « 193 .كذا،والعبارة غير واضحة».

- أقول: « القَبَلُ أن يكون كأنه ينظر من أنفه،وهو أهون من الحَوَل»،هكذا في فقه اللغة للثعالبي،وفيه قال الشاعر:

أَشْتَهِي فِي الطَّفْلَةِ القَبَلاَ * لاَ كَثِيرًا يُشْبِهُ الحَوَلاَ.[53]

وعطف الحول على القبل في عبارة ابن حمادوش منبهة على ذلك.

(18) - قال ابن حمادوش متحدثا عن مرض الشيخ أحمد بن المبارك: «فبقي كذلك، والمرض يزداد...إلى يوم الجمعة،موافق يوم العنصرة (210) قبل طلوع الفجر بنحو ساعة أو أكثر،فيما قيل:مات،رحمة الله عليه».54

فقال المحقق: « (210) وينطقها العامة (العنصلة) وتعني فورة الحرارة صيفا».

- والحق أن العنصرة اسم اليوم الموافق 24 من يونيه،وفيه قال السوسي في (المقنع) :

(فِي كَدِّ يُنْيُهِ تَكُونُ العَنْصُرَةْ)

وقال في (الممتع) شارحا: «المعنى أن يوم أربعة وعشرين من يونيه . بالنون . هو يوم العنصرة، وهو عيد النصارى أخزاهم الله تعالى،ويسمى يوم المهرجان...وقيل: في هذا اليوم وقفت الشمس ليوشع بن نون،وفيه ولد يحي بن زكرياء بن آدان عليهم السلام...».[55]

وفيه قال أبو مقرع:

ويومُ (كَدِّ) هو يومُ العنصرةْ * من يونيهِ فاحفظه يا ذا التبصرةْ[56]

(19) - قال ابن حمادوش: « وفي يوم السبت الثالث من الشهر ألفت فيه شرح قصيدة المربع على كردفر (313)».[57]

فقال المحقق:(313) لعله أحد أعمال أبي معشر الفلكي الذي سبق ذكره،وسيذكر المؤلف أنه انتهى منه بعد عودته إلى الجزائر».

(20) - وقال ابن حمادوش: « وفي اليوم الذي بعده تممت كتاب أبي معشر في كردفر (382)».فقال المحقق:»382. الغالب أنه الشرح الذي بدأه على قصيدة كردفر والذي سبقت الإشارة إليه».[58]

- والحق أن كلمة (كردفر) مركبة من مقطعين هما (كر) و(دفر) وهما بحساب الجمل العددان:220 و284،وهما عددان متحابان مشهوران،ألفت فيهما رسائل.وقد تكلم العلامة ابن خلدون في (المقدمة) على هذين العددين في (الفصل الثامن والعشرون:علوم السحر والطلسمات) فقال: «وكذلك رأينا من عمل الطلسمات وعجائب في الأعداد المتحابة،وهي (رك رف د) أحد العددين مائتان وعشرون،والآخر مائتان وأربعة وثمانون،ومعنى المتحابة:أن أجزاء كل واحد التي فيه من نصف وثلث وربع وسدس وخمس وأمثالها،إذا جمع كان مساويا للعدد الآخر صاحبه،فتسمى لأجل ذلك المتحابة».[59]،والفرق بين (كر،دفر) و(رك،رفد) هو أن ترتيب الحروف في الأولى ترتيب تصاعدي، وفي الثانية ترتيب تنازلي.

(21) - قال ابن حمادوش: «كانت أصابتني حمى شديدة فلم أستطع القراءة،حتى ألهمني الله أن أشتري ثلاثة أثمان من الكين كينه فاشتريتها بثلاثة موزونات».[60]

- لم يقف المحقق عند هذه الكلمة (الكين كينه) ولم يشرحها،ولا أظن أكثر القراء إلا في حاجة ماسة إلى معرفة معناها.وهي اسم نبتة تعرف في كتب الأعشاب بالكينا،وفي (معجم المصطلحات العلمية والفنية) ليوسف خياط:» كينا: (Quinquina)(F)(Cinchona) (L)

شم (زر):معربة بتصرف،جنس شجر الكينا،يستعمل لحاؤه دواء للحمى،ليس له اسم عربي،لأنه من أصل أمريكي،واللفظة الفرنسية من الإسبانية،وهذه اقتبستها من لغة سكان البيرو الأصليين".[61]

بل إن ابن حمادوش نفسه شرح ذلك بقوله في (كشف الرموز): «(دار صيني الصين): هي الكنكينة، نافعة للحمى النافض،وقد ذكر كيفية استعماله في الحميات،وهو نوع من السليخة،بدله السليخة».[62]

وبقوله أيضا في (كشف الرموز): « (سليخة) : هي قريبة من الدار صيني،وهي قشر شجرة كنكينة،وهي الكنكينة،حار يابس في الثانية،وهي أصناف، تحد البصر اكتحالا بها،وتدر البول، وتقوي الأعضاء والكبد،وتدر الطمث، وإذا شربها صاحب الحمى النافض وهي باردة مع السخونة في حال أخذها بردتها في الحين، وكيفية ذلك أن يدق درهم،فإذا ابتدأته الحمى شربه بالقهوة،ثم بعد ساعة يشرب درهما كذلك،وبعد ساعة أخرى يشرب الثالث،فإنها تنقطع من وقتها بإذن الله،وقد جربتها مرارا،ولا تعرف عندنا بالسليخة،بل كنكينة،بدلها دار صيني،وشربتها درهم».[63]

(22) - ذكر ابن حمادوش رؤيا رآها عم الشيخ ابن المبارك فقال: « وقال لي عمه:بتنا على قبره ليلة الإثنين الموالي ليوم موته،والطلبة كثير،فقرأنا عليه ختمتين من القرآن العظيم،وقلت في نفسي لعلي أراه،قال:فنمت فإذا برجل معي وقال لي:لن ترى الشيخ الليلة، فإن أرواح الناس يذهبون إلى النبي «صلى الله عليه وسلم»(ويرجعون من حينهم)،وروحه باقية عنده الآن،وإن الصالحين مشتبكون في أمره متحيرون،لأن عادتهم إذا مات ولي أخذوا من سائر الناس وجعلوه موضعه،وأما إذا مات ولي عالم تحيروا فيمن يأتون به موضعه.نسأل الله أن يوفقنا لصالح الأعمال والأقوال (217)».[64]

قال المحقق: « 217 .رواية هذه القصة تدل على إيمان المؤلف بها،وهي لا تتفق مع ما عرف عنه من استقلال وعلمية،وهي تشبه عقيدته في الشيخ علي الريفي الذي سبقت إليه الإشارة».

- ولا أدري كيف لا يتفق تصديق رؤيا هي مبشرة في حق أحد العلماء الأولياء الكبار كالشيخ أحمد بن المبارك صاحب (الإبريز) مع العلم

والاستقلال ؟ والرؤيا كما في الحديث جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة [65]،وجاءت بحقيتها وأنها من الله عزوجل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية،وهي قابلة للتأويل والحمل على المعنى المقبول.

ثم ما معنى قول المحقق : « وهي تشبه عقيدته في الشيخ علي الريفي»؟ فهل يريد المحقق أن يقول إن محبة الصالحين وزيارتهم والتبرك بهم ليست من الدين كما أن الرؤيا أضغاث أحلام وبالتالي فلا جدوى منها ولا يتعلق بها إلا الخرافيون.إن كان هذا ما يعتقده هو ويؤمن به فينبغي . احتراما للمنهج العلمي . أن يكون تحقيقه منصفا لا إيديولوجيا،فالتحقيق إذا كان من منظور اتجاه فكري معين يعرض صاحبه لسوء الفهم والتغبير في وجه محاسن التراث،ولست هنا لمناقشة المحقق في عقيدته وتوجهه الفكري،ولكني في مقام النضح عن تراثنا ممن يريد تقييمه برؤيته الخاصة.

(23) - ذكر ابن حمادوش قصيدة في رثاء الشيخ أحمد بن المبارك تقع في تسعة وعشرين بيتا من بحر الطويل قال في البيت ما قبل الأخير:

وعامه شنقوا (باشة الريفي)(221) أرخوا * وإن شئت نوقش الحساب مع الغرم[66]

فقال المحقق: «221 . يعني توفي الشيخ عام مقتل أحمد الريفي باشا تطوان،أي سنة 1156».

. ولم يشر المحقق إلى أن في البيت تأريخا لموت ابن المبارك بطريقة حساب الجمل الذي تعارف عليه الشعراء منذ زمان،وأن ابن حمادوش أرخ لموت الشيخ ثلاث مرات،بالهجري والمسيحي والإسكندري في بيت واحد،فالهجري رمز له بقوله (شنقوا) لأنه بحساب الجمل مع إسقاط الألف الفارقة يساوي: 1156.والمسيحي رمزله بقوله (باشة الريفي) باعتبار

التاء المربوطة مفتوحة والياء الأخيرة ياء النسبة بياءين،وهذا بحساب الجمل يساوي:1744،وبإسقاط ألف باشة يساوي:1743.

والإسكندري رمزله بقوله (نوقش الحساب) بإسقاط همزة الوصل،مرة بحساب الجمل ويساوي 558،ومرة بحساب أيقش ويساوي:1498،أي مرة بطريقة المشارقة ومرة بطريقة المغاربة،فيكون مجموعهما:2054. ولعل هذا ما أشار إليه بقوله (مع الغرم).[67]

وقد ظهر بعد هذا الإيضاح أن المحقق لم يشر إلى حساب الجمل ولا غيره،وأنه أخطأ عندما فهم أن قول ابن حمادوش (باشة الريفي) يعني 1156،وهي السنة الهجرية،لأنه يعني 1743 المسيحية.وبالتالي كان يجب أن يكتب البيت بهذا الشكل:

وعامه (شنقوا) (باشة الريفيَّ) أرخوا * وإن شئت (نوقش الحساب) مع الغرم

(24)- قال ابن حمادوش: « في هذه الأيام كتبت السطي (295) على ذوات الأسماء والمنفصلات،فتممته يوم الإثنين السابع من الشهر المذكور».[68]

فقال المحقق:»(295) لم نقف على ترجمة للسطي».

- أقول : هو البسطي وليس السطي،والمقصود به القلصادي،وهو علي بن محمد بن علي القرشي البسطي،نسبة إلى بسطة:المدينة الأندلسية التي ولد بها سنة 815 هـ/1462م،وبدأ تعليمه فيها،وقد توفي سنة 891 هـ/1486م في باجة من أعمال تونس.[69]

والدليل على أن المقصود القلصادي هو أن له شرحا على تلخيص ابن البناء في أعمال الحساب،وفي (التلخيص) [70] موضوع تجذير ذوات الأسماء والمنفصلات، ولابن البناء جزء في ذوات الأسماء والمنفصلات.[71]

بل وللقلصادي نفسه (رسالة ذوات الأسماء) كما في مقدمة محمد أبو الأجفان لـ(رحلة القلصادي)[72] والغالب أنها التي عناها ابن حمادوش، وهي كما في المقدمة:»صغيرة الحجم،كبيرة المحتوى».

- هذا وقد قال ابن حمادوش: « قال البسطي في شرح هذا الموضع...»،أي:من مختصر خليل في باب الفرائض.[73]وعلق المحقق قائلا:» لعله هو علي بن موسى البسطي المتوفى سنة 844.معجم المؤلفين:7/249».

- وهذا خطأ،وكان عليه أن يقول:هو علي بن محمد بن محمد بن علي البسطي الأندلسي المالكي الشهير بالقلصادي،[74] لأنه الفرضي الذي له شرح على فرائض خليل كما ذكر محقق رحلته.ص43. والدليل القاطع على أن البسطي هنا هو القلصادي هو أني وجدت كلامه الذي نقله عنه ابن حمادوش في ص154 بلفظه في (شرح فرائض خليل) للقلصادي.[75]

(25) - قال ابن حمادوش: «وفي يوم الأربعاء ابتدأت نسخ المحادي لها للمؤلف الجادري (310) نفسه».[76]

- وسبق للمحقق أن نبه على أن ابن حمادوش يكتب (المحادي) بالدال،وهو يقصد أن الصواب أن تكتب بالذال،وهذا حق،ولكنه لم يشرح للقارئ المقصود بالمحاذي،ذهابا منه إلى أنه شرح على الروضة وكفى،بينما المقصود بمحاذي الجادري كتاب بعنوان (اقتطاف الأنوار من روضة الأزهار)[77] ذكر فيه مسائل الروضة نثرا،وهو كالشرح لها.

(26) - قال ابن حمادوش: « وفي هذا اليوم اشتريت الشفا للقاضي عياض».[78]

فقال المحقق: «314.تناول الشفا بالشرح ونحوه عدد من المؤلفين،منهم محمد قويسم التونسي الذي سمى عمله (سمط الآل في تعريف ما بالشفا

من الرجال) وهو في عشرة أجزاء،تناول فيه تاريخ السيرة النبوية والصحابة والتابعين،كما ترجم للقاضي عياض عدد من المؤلفين منهم أحمد المقري التلمساني في كتابه (أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض) الذي طبع منه بعض الأجزاء».

- أقول: في معجم المؤلفين (سمط اللآل) وليس (سمط الآل)،وقال: في أحد عشر مجلداً،هذا أولا.وأما ثانيا فقد كان يجب على المحقق المعلق أن يعرف بالشفا نفسه،لا بشرح قويسم.وأما ثالثا فكيف يترك ذكر شرح الخفاجي المسمى (نسيم الرياض) و(شرح الملا علي القاري) في هامشه ؟ وهما أشهر شروح الشفا،وأما شرح قويسم فهو في تعريف ما بالشفا من الرجال فقط.

(27)- قال ابن حمادوش: « وفي يوم السبت السادس عشر اشتريت شمائل الترمذي وشرحها لابن مخلص (331)».[79]

قال المحقق: «(331) ...أما ابن مخلص فلم نهتد إلى حياته الآن».

- وأقول: هو أبو القاسم بن محمد بن أبي البركات بن أحمد بن عبد الملك بن مَخْلَصٍ،وشرحه اسمه (أنجح الوسائل).[80]

(28) - قال ابن حمادوش: « وفي يوم الأحد اشتريت مختصر القزويني والدواني ومضحكات ابن عاصم (335)».[81]

فقال المحقق: « 335 . يقصد به محمد بن محمد ابن عاصم الغرناطي المتوفى سنة 829،وهو صاحب رجز تحفة الحكام المعروف بالعاصمية في الفقه المالكي، الأعلام:7/274».

- عرَّف المحقق بابن عاصم ولم يتعرض لقول ابن حمادوش»ومضحكات ابن عاصم» الذي يشعر بأن لابن عاصم كتابا بهذا العنوان،وعنوان الكتاب

هو (حدائق الأزهار في مستحسن الأجوبة المضحكة والأمثال والحكايات والنوادر)82 ، وهو ما ذكره ابن حمادوش بعدما سبق بقوله:»وفي يوم الأربعاء ختمت حدائق الأزهار لابن عاصم».

وأما عنوان رجز ابن عاصم فهو على التمام (تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام) وذلك لقوله في رجزه:

سميته بتحفة الحكام * في نكت العقود والأحكام

ولذلك فهو ليس في الفقه المالكي،ولكن في قسم منه،وهو القضاء وما يتعلق به من الأحكام والنظر في الخصومات.[83]

(29) . قال ابن حمادوش:»وفي يوم الخميس اشتريت ميارة (337) على لامية الزقاق».[84]

قال المحقق: « 337. هو محمد بن أحمد الفاسي المعروف بميارة المتوفى سنة 1072، ومن تآليفه تحفة الأحكام على العاصمية، وغير ذلك من كتب الفقه.معجم المؤلفين:9/14».

- والصحيح (تحفة الحكام) وليس (تحفة الأحكام) وهي (العاصمية)،وقد سبق للمحقق أن قال هو نفسه ذلك،وأما شرح ميارة فاسمه كما قال عمر كحالة في (معجم المؤلفين) هو (الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام).85 وقد قال ميارة في مقدمة شرحه: « وسميته:الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام)».[86]

هذا ولم يتعرض المحقق لشرح ميارة على لامية الزقاق،ولم يسمه،وهو (بستان فكر المهج في تكميل المنهج)[87] أكمل به كتاب (المنهج المنتخب في قواعد المذهب) لأحمد بن علي بن قاسم الذي شرح فيه منظومة أبيه علي بن قاسم التجيبي المعروف بالزقاق.[88]

(30) - قال ابن حمادوش:»وفي ثاني عشرة خرجت مع بعض الإخوان،أحدهم يعرف الأعشاب لنتعلم منه،فتعلمت الافثمون (380)،قطعنا منه ما شئنا،في جبل بو معزة تحت بوزريعة».[89]

فقال المحقق: « (380) كذا،ويمكن أن تقرأ أيضا (الافيون)».

- عودنا المحقق أنه إذا قال في تعليقه:كذا،فمعناه أن ثمت خطأ،ولست أدري لماذا (الافثمون) هنا خطأ حتى يقول: « ويمكن أن تقرأ (الافيون) ؟ لو رجع المحقق إلى كتاب (كشف الرموز) لابن حمادوش لوجده يقول:» أفثيمون:يوناني،معناه دواء الجنون،هو الزعتر،لا يعرف عندنا إلا بهذا الاسم...».[90] ولوجد في (فهرست الكتاب):أفثيمون = epithym.وهذا في طبعة أحمد بن مراد التركي وأخيه.[91]

(31) - قال ابن حمادوش في نفس الصفحة: « وفي سادس عشرة موافق يوم فصل الصيف ابتدأت نسخ كتاب الجدل، وفي عشرين منه تممت شرح الجدل،وفي حادي وعشرين منه ابتدأت كتاب النجاح لابن سينا في المنطق،وفي ثالث وعشرين تممت كتاب الجدل للسمرقندي،وفي سادس وعشرين منه تممت كتاب الأحكام والطلاسم لابن البنا،وفي اليوم الذي بعده تممت كتاب أبي معشر في كردفر (382)».[92]

- ولم يعلق المحقق على هذه الفقرة إلا على ما رقَّمه بـ(382) فقال: « الغالب أنه الشرح الذي بدأه على قصيدة ربع كردفر والذي سبقت الإشارة إليه».وقد سبق استدراكي على المحقق في معنى كردفر. مع أنه كان يجب أن يعرف القارئ بكتاب (الجدل) للسمرقندي وبـ(شرحه)،وبكتاب (الأحكام والطلاسم) لابن البناء،وينبه على أن كتاب ابن سينا في المنطق اسمه (النجاة) وليس (النجاح).

وكتاب (الجدل) هو إما (المنية والأمل في علم الجدل) وإما (قسطاس الميزان) في المنطق والمناظرة، كلاهما لمحمد بن شرف السمرقندي شمس الدين الحكيم الحسني المتوفى سنة 600 هـ ،كما له شرح على (مقدمة النسفي) في علم الجدل.[93]

وكتاب (الأحكام والطلاسم) مؤلفه هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن البناء المراكشي المتوفى سنة 724.94 وأما (كتاب النجاة) لابن سينا فهو كتاب مشهور في ثلاثة مجلدات.

(32) - جاء في رحلة ابن حمادوش وهو يتحدث عن سرد البخاري في الجزائر:»ومن الغد قرأ سيدي عبد الرحمن منه . أي كتاب الأضاحي . إلى باب استعواذ الماء».[95]

- لم يصحح المحقق كلمة (استعواذ) وهي في صحيح البخاري (باب استعذاب الماء) من كتاب الأشربة.[96]

(33) - جاء في الرحلة:ولبعضهم في عد أحاديث البخاري:

جميع أحاديث الصحيح الذي روى * البخاري خمسة وسبعون في العد

وسبعة آلاف تضاف وما مضى * إلى مائتين عد ذاك أولوا (كذا) الجد[97]

- ولم يعن المحقق بإصلاح هذين البيتين مع أنهما مما ذكره كثير من علماء الحديث منهم الحافظ ابن حجر في (مقدمة فتح الباري) فقد ذكرهما على أنهما من إنشاء الحافظ عبد الحق فقال:

جميع أحاديث الصحيح الذي روى الـ * ـبخاري خمس ثم سبعون في العد

وسبعة آلاف تضاف وما مضى * إلى مائتين عدَّ ذاك أولو الجد

ولكن الحافظ ابن حجر خطَّأ هذا العدد وبين خَطَأَ من قلَّد عبد الحق فيه.[98]

وإذا كان المحقق يعتذر عن عدم تصحيحه للأخطاء التي ترد في شعر ابن حمادوش بحجة أنه يريد إعطاء صورة عن لغة ابن حمادوش العامية المتفصحة فإنني لا أرى له عذرا في عدم تصحيح ما يرويه ابن حمادوش من شعر العلماء،لأن ما يرد فيها من أخطاء نحوية أو إملائية هي من فعل النساخ لا غير.

وإلا فهل يعقل أن يخطئ ابن حمادوش في النقل وهو العالم الذي ملأ رحلته بذكر العلوم التي درسها والعلماء الذين قرأ عليهم واستجازهم فأجازوه وخاطبوه بالعالم والعلامة وغير ذلك من الألقاب،بل وله مؤلفات منها شرح على الألفية.

(34) - قال ابن حمادوش: «وعلى أنها جرادة كتب عليه بعضهم يصفها:

لها فخذا بكر ورجلا نعامة * ...الخ (ثلاثة أبيات)» .[99]

قال المحقق: « 424 . الأبيات لمحيي الدين السهروردي كما سيأتي».

- والصحيح (الشهرزوري) وليس (السهروردي)،وسبب خطأ المحقق في ذلك أنه تبع ابن حمادوش، لأن هذا الأخير قال بعد أسطر نقلا عن الدميري في (حياة الحيوان الكبرى): « وما أحسن قول القاضي محيي الدين السهروردي في وصف الجراد بذلك،فقال:وذكر الشعر المتقدم».

والواقع أن الدميري قال: « وقد أحسن القاضي محيي الدين الشهرزوري في وصف الجراد بذلك في قوله ...(فذكر الأبيات)».ثم قال الدميري: «توفي الشهرزوري سنة ست وثمانين وخمسمائة».[100]

ويؤكد ذلك قول الذهبي في (سير أعلام النبلاء) بعد أن ذكر الإمام قاضي القضاة،كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم بن مظفر بن علي،ابن الشهرزوري الموصلي الشافعي المتوفى سنة 572 هـ :

«ومات ابنه:قاضي القضاة أبو حامد محمد سنة ست وثمانين...ولي قضاء حلب،ثم الموصل، ودرس بنظاميتها،وتمكن من صاحبها مسعود جدا،وكان سريا عالما أديبا جوادا...وله في جرادة:

لها فخذا بكر وساقا نعامة...الخ»،(فذكر البيتين الأولين فقط).[101]

(35). قال ابن حمادوش: « فقلت له بيت ابن التلمساني رحمه الله:

وَكُلُّ مُجْرٍ فِي الخلا يَسُرُّ * حتى إذا يظهر ما يُسِرُّ

فقال:صدقت».[102]

فقال المحقق: « 466. الظاهر أنه هو عبد الله بن محمد بن علي الفهري شرف الدين أبو محمد التلمساني المعروف بابن التلمساني،وقد توفي سنة 644،انظر هدية العارفين:1/460.وقد جاء في رحلة ابن زاكور المغربي أنه قرأ في الجزائر عدة مسائل،منها أرجوزة ابن التلمساني في الفرائض».

- وأخطأ المحقق في معرفة ابن التلمساني المقصود هنا،لأن صاحب المنظومة في علم الفرائض المسماة بالتلمسانية التي ذكر منها ابن حمادوش بيتا هو إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري ولد سنة 609 هـ وتوفي سنة 697 هـ

قال في (الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب): «إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري: تلمساني،وقشي الأصل،نزيل سبتة،يكنى أبا إسحاق،ويعرف بالتلمساني.كان فقيهاً عارفاً بعقد الشروط مبرزاً في العدد والفرائض أديباً شاعراً محسناً ماهراً في كل ما يحاول ونظم في الفرائض وهو ابن عشرين سنة أرجوزة محكمة بعملها ضابطة عجيبة الوضع».[103]

ثم قال: « وله تآليف منها:الأرجوزة الشهيرة في الفرائض:لم يصنف في فنها مثلها،ومنظوماته في السيروأمداح النبي صلى الله عليه وسلم،من ذلك المعشرات:على أوزان المغرب،وقصيدته في المولد الكريم، وله مقالة في علم العروض الدوبيتي،وله كتاب اللمع في الفقه شرح ابن الجلاب شرحاً جليلاً واسعاً وله شعر منه...».(فذكر بعض شعره).[104]

ومنظومة ابن التلمساني هذه تقع في 832 بيتا كما في (المجموع الكامل للمتون)[105]، والبيت الذي ذكره ابن حمادوش هو البيت الـ29 فيها،وقوله: « كل مجر في الخلا يسر» هو مثل من الأمثال.[106]

وأما ابن التلمساني الذي ذكره المحقق والمتوفى سنة 644 هـ فهو المشهور بشرح كتاب (المعالم) للإمام فخر الدين الرازي،ومع أن المحقق أحالنا على هدية العارفين فإن صاحب الهدية لم يذكر في مؤلفات ابن التلمساني هذا منظومة في الفرائض،بل قال: « له (شرح التنبيه) لأبي إسحاق الشيرازي في الفروع.(شرح خطب ابن نباتة).(شرح المعالم لفخر الدين الرازي). (المجموع) في الفقه».

فمن أين استنتج المحقق المختص أنه صاحب المنظومة في الفرائض ؟

وأما قوله: « وقد جاء في رحلة ابن زاكور...الخ»،فرغم أن المحقق لم يذكر اسم الرحلة فالمقصود كتابه (أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان) قال عنه الكتاني في (فهرس الفهارس) «وهي فهرسة نفيسة طبعت في الجزائر في صحائف».[107]

(36) - قال ابن حمادوش فيما نقله عن غيره:»واستدلوا بقول أنس رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وعليه عمامة قطنية،فأدخل يده من تحت العمامة فمسح مقدم رأسه) رواه أبو داود وسكت عليه».[108]

- والصحيح (عمامةٌ قِطْرِيَّةٌ) وليس (قطنية) «بكسر القاف وسكون الطاء المهملة،هو ضرب من البرود فيه حمرة،ولها أعلام فيها بعض الخشونة،وقيل:حلل جياد،تحمل من قرية تسمى قِطْراً،وأحسب أن الثياب القطرية منسوب إليها،فكسر القاف للنسبة».وتكملة الحديث:»ولم ينقض العمامة».[109]

وهذا الخطأ ما كان للمحقق أن يغفل عنه لو أنه عمل على تخريج الحديث،بل لو راجع سنن أبي داود فقط لاكتشفه،ولأكمل نص الحديث بقول أنس: «ولم ينقض العمامة».

وبعد حديث أنس هذا حديث آخر عن عطاء نصه كما في رحلة ابن حمادوش: « أنه صلى الله عليه وسلم توضأ فحسر العمامة ومسح مقدم رأسه،وقال ناصيته».[110]

ولم يتفطن المحقق لما في لفظ الحديث من نقصان،لأنه لم يعمل على تخريجه،ولو عاد إلى سنن البيهقي مثلا لوجد الحديث فيه: « ومسح مقدم رأسه . أو قال:ناصيته . بالماء».[111]

فهل يصح تحقيق نص تراثي فيه ذكر حديث أو أكثر دون تخريج ولا رجوع إلى ما أحال عليه المؤلف نفسه من مخرجيه لتصحيح اللفظ ومعرفة المعنى ؟

(37) - قال ابن حمادوش: « لا تطلب إلا العنقا،ولا ترغب إلا في الروخ (513) ولا تتغذى إلا بيض الأنوق،ولا تجني إلا ثمرة الخلاف...».[112]

فقال المحقق: « 513. كذا في الأصل».

- والصحيح (الرُّخُّ) وليس (الروخ) وهو كما في القاموس: «طائر كبير يحمل الكركدن»[113]،بل هو على ما يبدو طائر خرافي.[114]وكذلك (العنقاء) فهي أيضا طائر خرافي لا وجود له إلا في الأساطير.[115]

وأما بيض الأنوق فقال في حياة الحيوان الكبرى: «الأنوق: على فعول الرخمة، أوطائر أسود له شيء كالعرف، أو أصلع الرأس أصفر المنقار، قيل: إن في أخلاقها أربع خصال: تحضن بيضها، وتحمي فرخها، وتألف ولدها، ولا تمكن من نفسها غير زوجها.

وفي المثل: «أعز من بيض الأنوق «و» أبعد من بيض الأنوق»، فلا يكاد يظفر به، لأن أوكارها في رؤوس الجبال والأماكن الصعبة».[116] والخلاف شجر، وهو: « أصناف كثيرة منها الصفصاف»، و«ثمرة الخلاف ذكية الرائحة، ناعمة المَشم والملمس، في لين الخزّ الفاختيّ اللون، وعلى السنابل مثل الزغب».[117]

(38) - قال ابن حمادوش: «فابتدأت سرد الكردبوس (520)، تاريخ في خلافة العبابسة».[118]

فقال المحقق: « 550 . هو أبو مروان بن عبد الملك بن أبي القاسم التوزري...الخ».

- والصحيح أنه عبد الملك وليس ابن عبد الملك، هكذا في (التكملة لكتاب الصلة)، وفيه: «المعروف بابن الكردبوس»[119]، وهكذا هو أيضا في (الأعلام للزركلي).[120]

(39) . جاء في رحلة ابن حمادوش نقلا من كتاب ابن الكردبوس في بيان أن الخليفة السادس دائما يخلع: «ثم معاوية ابن أبي سفيان الأموي، ثم ابنه يزيد، ثم معاوية بن يزيد، ثم معاوية بن مروان بن الحكم، ثم عبد الملك بن مروان، ثم عبد الله بن الزبير، فخلع، لأنه السادس، وقتل. ثم الوليد بن عبد الملك، ثم سليمان بن عبد الملك، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد بن هشام بن عبد الملك، ثم الوليد بن يزيد، فخلع لأنه السادس وقتل».[121]

- وقع في هذه الفقرة زيادة ونقص ولم يشر إليهما المحقق: أما الزيادة ففي قوله: « ... ثم معاوية بن مروان بن الحكم...».والصحيح: « ...ثم مروان بن الحكم....». وأما النقص ففي قوله:»ثم يزيد بن هشام بن عبد الملك».والصحيح: «... ثم يزيد بن عبد الملك،ثم هشام بن عبد الملك...».لأن المذكورين بغير هذا التصحيح خمسة فقط،وبالتالي تفسد قاعدة (السادس مخلوع).[122]

(40) - نقل ابن حمادوش (لطيفة) عنونها المحقق بـ(قصة حب) ذكر في أثنائها أربعة أبيات شعر،

مطلعها:

«إن يمس حبلك بعد طول وصاله * خلقا ويصبح بيتكم مهجورا»

وفيها بعض الأخطاء.123

فعلق المحقق عليها بقوله: « 527 . تركنا هذه الأبيات على حالها رغم ما فيها».!!!!

- فما هذا التحقيق ؟ أليس القصد من التحقيق إعادة كتابة النص التراثي كتابة صحيحة ؟ لأن النص التراثي كثيرا ما تقع فيه الأخطاء بمختلف أنواعها بمرور الزمان وتكاثر الناسخين.وعليه فلست أدري ما الذي منع المحقق من تصحيح هذه الأبيات وهي ليست من إنشاء ابن حمادوش ولكن مما نقله من كتاب ابن الكردبوس،فكان يجب على المحقق تصحيح الأبيات وإلا فماذا يفعل قارئها وهي بتلك الصورة المشوهة.

ولا يمكن بتاتا هنا الاعتذار عن ذلك بدعوى إعطاء القارئ صورة عن المستوى العلمي لابن حمادوش فهو بلا شك أعلى بكثير مما يريد المحقق أن يوهمنا به.والأبيات مذكورة في الأغاني[124]، وفي الفرج بعد

الشدة125،والمحاسن والأضداد126،وتزيين الأسواق127،والزهرة لابن أبي داود.128

(41) - جاء في (قصة الحب) التي سبق ذكرها:"ثم مات أبي فلم أحسن أن أرب (528) نعمته وأسأت تدبيرها".

فقال المحقق:"528. كذا في الأصل،ولعلها (أربي).

- بل هي كما في الرحلة وفاقا لما في الفرج بعد الشدة (أرُبَّ) من الفعل رَبَّ،قال في المصباح: "وَرَبَّ زَيْدٌ الْأَمْرَ رَبًّا مِنْ بَابِ قَتَلَ إذَا سَاسَهُ وَقَامَ بِتَدْبِيرِهِ".129

(42) - جاء في الرحلة فيما نقله ابن حمادوش من أخبار الحلاج عن الصولي أنه قال:"وإذا رأى قوما يميلون إلى الإمامة صار إماميا،وإذا هم أن عنده علما من القائم الذي ينتظرون (543)".[130]

فقال المحقق: "543. معنى هذه الجملة غير واضح من النص،وبدايتها غير مقروءة جيدا".

-والعبارة كما في المنتظم لابن الجوزي[131] وصلة تاريخ الطبري للقرطبي[132] هي:"وأراهم أن عنده علما من القائم الذي ينتظرون".والمعنى بالتالي واضح غير غامض، والمقصود أن الحلاج إذا لقي من هم من الإمامية أي الشيعة الرافضة جاراهم في عقيدتهم وأراهم أن عنده علما بالمهدي المنتظر.[133]

(43) -(قصة الحلاج) مما نقل ابن حمادوش من كتاب ابن الكردبوس أخبار الحلاج،وفيها بعض أشعار الحلاج،وفيها بعض الأخطاء التي تفسد المعنى وتخل بالوزن،فعلق المحقق على إحدى القطع الشعرية بقوله:" 544. كل القطعة في الأصل تنتهي بالياء،فتركناها على ما هي عليه،كما أن الأخطاء العروضية في النقل وغيره في القطع السابقة واللاحقة من قصة الحلاج لم نصلحها".[134]

- فما جدوى ألا يصلح المحقق الفاسد مما ينقله ابن حمادوش من كتاب معروف ؟،فهل يعتقد المحقق أن مستوى ابن حمادوش العلمي متدن لا يسمح له بالنقل الصحيح ؟ ولذا آثر أن يبقي النقول على علاتها ليرينا هذا المستوى المتدني،فعلى رأي المحقق طريقة التحقيق هذه يتم بها تمثيل لغة ابن حمادوش وربما أهل زمانه !

ثم ما الذي يستفيده القارئ العادي من كتاب تراثي مليء بأخطاء النساخ التي لم تصحح ؟ فأنا شخصيا عندما قرأت النص الذي نقله ابن حمادوش في أخبار الحلاج ووجدت تلك الأخطاء منعتني من فهم تلك الأشعار، واضطررت إلى مراجعتها في ديوان الحلاج للمستشرق ماسنيون135، وديوانه لسامي علي136، وديوانه للدكتور سعدي ضناوي.137

(44) - جاء فيما نقله ابن حمادوش ثلاثة أبيات للراضي في رثاء أبيه المقتدر منها البيت الأول غير مفهوم لما فيه من أخطاء،وهو قوله:

بنفسي تراصا جفن في ساحل البلا * لقد قمرا منك الليث والغيث والبدرا (545) [138]

فعلق المحقق بقوله: « 545. نقلنا البيت كما هو في الصورة،ولكن يبدو أن فيه بعض الخطأ».

- والبيت كما في مراجع كثيرة،منها (زهر الآداب وثمر الألباب)[139]:

بنفسي ثرىً ضُمِّنْتَ في ساحة البلى * لقد ضَمَّ منك الغيثَ والليثَ والبدرا

فكان يجب على المحقق أن يصلح الخطأ ويصحح البيت،وهو الذي يفعل ذلك من حين لآخر كما في البيت الشعري الذي نقله ابن حمادوش في الصفحة المقابلة وهو:

خلت (547) من آل فاطمة الديار * فمنزل أهلها (منها) قفارا

فقال المحقق:»547.في الأصل (تخلى)».فهوقد نقل البيت على الصواب (عدا الألف في قفارا) ونبه على صورة الخطأ التي جاء عليها،لأنه راجع في ذلك (مروج الذهب للمسعودي)،وهكذا كان ينبغي على المحقق أن يفعل مع كل خطأ وبخاصة إذا كان مما نقله ابن حمادوش،لأننا والحالة هذه نجزم بأن مثل تلك الأخطاء هي من الناسخ لرحلة ابن حمادوش أو ناسخ الكتاب الذي نقل عنه ابن حمادوش.

(45) - نقل ابن حمادوش عن تاريخ ابن الكردبوس أن الخليفة المسترشد «خنقوه (أي الديلم) عام 536 وولوا ابنه الراشد»،وأن الراشد قتل عام 535 (550)».140

فعلق المحقق بقوله: « 550 - في كتاب (لب التاريخ) لمحمد الحبيب (تونس 1344)،أن المسترشد توفي سنة 529،وأن ابنه الراشد تولى في هاته السنة وقتل عام 530.

وواضح من نقول ابن حمادوش من ابن الكردبوس مدى تدخل يد النساخ في النص،وقد أشرنا إلى البعض من ذلك،ولكننا لم نحاول التنبيه على جميع الأخطاء،وكان من الممكن التصحيح بالرجوع إلى أصل النقول لولم يكن ابن حمادوش يلخص نقوله تلخيصا».

- وليس كل ما نقله ابن حمادوش تلخيصا،بل الكثيرمنه منقول حرفيا، وبالتالي فما هذا العذر ؟ وقد قال ابن حمادوش مثلا بعدما نقل قصة العنقاء مع سيدنا سليمان عليه السلام من كتابٍ لمؤلف مجهول: «انتهى منه بلفظه».[141]

ثم إنه وإن أخطأ النساخ في سنة وفاة المسترشد،لأنها سنة 330 وليس 335،فقد أصابوا في سنة وفاة الراشد،لأنها سنة 335،لا سنة 330 كما قال المحقق، هكذا في الاكتفاء في أخبار الخلفاء لابن الكردبوس.[142]

(46) - قال ابن حمادوش عن قصيدة مالك بن المرحل نظم فصيح ثعلب في اللغة،وهي من بحر الرجز، وعدد أبياتها ألف وثلاثمائة ونيف،أظنه تسعة وثلاثون (كذا) بيتا، أو قريبا منه (572)».[143]

فقال المحقق: « 572.حسب محمد شقرون،ص145،إن هذه الأرجوزة تبلغ 1340 بيتا،وتسمى (الموطأة)».

- والحق أن القصيدة تقع في 1345 بيتا،كما في المجموع الكامل للمتون،ابتداء من ص435 إلى ص 484.[144]

(47) - قال ابن حمادوش:»وابتدأت مع شيخنا فتح جعفر أبي زيد البسطامي،وفي يده نسخة فيها الصور،كأنها أحياء متقنة غاية الإتقان،فاستمرينا معه،فلم نفتح منه إلا القليل».[145]

- ولم يتعرض المحقق لكلمة (جعفر) في قول ابن حمادوش «فتح جعفر أبي زيد البسطامي»،وأرى أنها (جفر) وليس (جعفر).والجفر: «علم يبحث فيه عن الحروف من حيث هي بناء مستقل بالدلالة، ويسمّى بعلم الحروف وبعلم التكسير أيضا، وفائدته الإطلاع على فهم الخطاب المحمّدي الذي لا يكون إلا بمعرفة علم اللسان العربي... ويعرف من هذا العلم حوادث العالم إلى انقراضه».[146]

وأرى أن هذا الجفر لعبد الرحمن البسطامي كما في (كشف الظنون) ويسمى (الدرة الناصعة في علم الجفر والجامعة)[147]، وليس لأبي يزيد البسطامي كما قال ابن حمادوش وعلق المحقق مقررا.

(48) - (حكاية العنقاء مع سيدنا سليمان) نقل ابن حمادوش قصة خيالية عنونها المحقق بـ(حكاية العنقاء مع سيدنا سليمان)،فقال: « وفيه ابتدأت مطالعة سرد سيرة ولم تسمى (592)، وفيها حكاية العنقاء مع سيدنا سليمان (593)،قال (594) وفي كتاب القصص في ذكر الأنبياء صلى الله عليهم،عن جعفر الصادق أنه قال:عاتب سليمان عليه السلام العنقاء في بعض عقابه فقال لها...الخ». [148]

فعلق المحقق: « 592 . كذا في الأصل،وقد تعني أنها مجهولة المؤلف أو أنه لا يذكر اسمها.593 . كذا في الأصل.594 . أي صاحب السيرة التي لم يسمها».

- أقول: ذكر القصة النويري في (نهاية الأرب في فنون الأدب) فقال:

«قال أبو إسحق الثعلبي رحمه الله تعالى بسند رفعه إلى جعفر بن محمد الصادق قال:عاتب سليمان الطير في بعض عتابه فقال لها...الخ».[149] وأبو إسحق الثعلبي هو أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المفسر المتوفى سنة 437 هـ ،له كتاب اسمه (عرائس المجالس في قصص الأنبياء) وفيه قصة العنقاء.[150]

(49) - قال ابن حمادوش تحت عنوان وضعه المحقق (عودة إلى قراءة البخاري): « وفي يوم الأربعاء وقفنا (على) كتاب استتابة المرشدين».[151]

- ولو عاد المحقق إلى صحيح البخاري لوجد أن الصحيح هو (كتاب استتابة المرتدين).[152]

(50) - قال ابن حمادوش: « وكان في هذه المدة الماضية الناس يعتقدون أن هذا الخزناجي الذي تولى الإمارة مع أهله على سفاح، فلامه بعض أصحابه في أنه على توليته يشهر الفسوق،فاستظهر بوثيقة فيها أنهما على نكاح السر على مذهبهم (662)».[153]

قال المحقق: « 662. كان العثمانيون في الجزائر على المذهب الحنفي، ولا ندري أي مذهب يشير إليه المؤلف».

- أقول: وأيُّ مذهب يشير إليه المؤلف غير المذهب الحنفي ! لأن الحنفية يخالفون المالكية في هذه المسألة، لأن المالكية يذهبون إلى أن النكاح إذا لم يعلن عنه نكاح سر ولو حضره شاهدان، والحنفية يذهبون إلى أن النكاح إذا لم يعلن عنه وحضره شاهدان ليس بنكاح سر.[154]

وسر الخلاف بين المذهبين هل الإشهاد إعلان أم لا، فعند الحنفية الإشهاد إعلان، ولو أوصي الشهود بالكتمان، وعند المالكية الإشهاد ليس إعلانا، وإنما الإعلان تشهير النكاح حتى يتسامع به. وابن حمادوش قد أشار إلى هذا من طرف خفي عندما قال: « فأمر بإفشائه، فبعث به (أي العقد) إلى قاضي القضاة»، وعلق المحقق بقوله: «ويشير بقاضي القضاة إلى قاضي الحنفية وشيخ الإسلام إلى المفتي الحنفي». وبعد اعتراف المحقق بمذهب العثمانيين وأنه المذهب الحنفي والإيضاح الذي قدمته لم يبق لقول المحقق: «ولا ندري أي مذهب يشير إليه المؤلف» ؟ أي معنى.

ومع هذا الذي قدمته قال المحقق في كتابه (تاريخ الجزائر الثقافي) في معرض الحديث عن تفشي الفجور في عهد العثمانيين: « بل إن ابن حمادوش يحدثنا أن أحد الباشوات كان مع أهله على سفاح سري، إلى أن نصحه العلماء المقربون منه بإفشاء زواجه».[155] فزاد ضغثا على إبالة كما يقولون.

(51) - ذكر ابن حمادوش قصيدة يفخر فيها بنسبه الشريف ويهجو المفتي ابن علي لأنه رآه لا يحترم الأشراف ولا يبالهم.[156]

فعلق المحقق بقوله: « 731. شعر المؤلف مليء بالأخطاء،وقد جهدنا في نقله كما هو دون إصلاحه،وهو يدعي الشرف وأنه حسني ... كما ادعى أنه عربي من بني هاشم ...الخ».

- وتشكيك المحقق في نسب ابن حمادوش لا معنى له،لأن عائلة ابن حمادوش في الجزائر مشهورة بالشرف،ولهم فيه أسانيد إلى الإمام والسيدة فاطمة عليهما السلام،ولأن المؤلف ذكر هذا عن نفسه أكثر من مرة في رحلته،ولأن أكثر الذين أجازوه من العلماء الكبار حلوه بالشرف ولم يشكوا أو يطعنوا فيه،بل جاء في إجازة الورزازي للمؤلف:»وأطلب من الشريف المجاز أن يجعل لي شفاعة يوم القيامة حسبما ذكر بعض العلماء وأن لكل واحد من الأشراف شفاعة خاصة،فأطلب منه فضلا منه لا عوضا على ما كتبت أن يجعلها إذا حققها الله له لي ولأهلي حتى نجوز الصراط بفضل الله».[157]

وفي رسالته إلى المكاس لإعفاء ابن حمادوش من المكس قال الورزازي:»إن هذا الرجل اجتمعت فيه ثلاث خلال كل واحدة لو انفردت لأوجبت عليك أن لا تتعرض له في شيء:

الأولى: - النسب،رجل شريف من آل البيت النبوي.الثانية: . أنه رجل عالم.الثالثة: - قلة ذات اليد».[158]

(52) - قال ابن حمادوش:»وبعده في هذه المدة نسخت رضوان أفندي على صورة الكورة، فلما تممته بدا لي أن أحرك كواكبه».[159]

قال المحقق: « 759. ... أما رضوان أفندي فهو رمضان بن محمد المعروف بابن الساعاتي الذي أكمل كتاب (القولنج) لابن سينا،وكان عالما بالموسيقى، وقد توفي سنة 618.الأعلام:3/53».

- ولم يبين المحقق كيف عرف أن المقصود هنا هو ابن الساعاتي، والراجح أن المقصود هنا هو الفلكي المصري المتوفى سنة 1122 هـ ، له عدة مؤلفات منها وهو اللائق بموضوع ابن حمادوش (أسنى المواهب في تقويم الكواكب)،وقد سماه في (إيضاح المكنون) رضوان أفندي [160]، وكذلك الجبرتي في (عجائب الآثار) وتوسع قليلا في ترجمته. [161]

(53) - جاء في آخر الرحلة قصيدة من ثلاثة عشر بيتا مطلعها:

عرج (794) بمنعرج الكثيب الأعفر * بين الفرات وبين شط الكوثر [162]

فقال المحقق: « 794 - تركنا هذا الشعر بدون تعليق رغم أن فيه ما يستحق التنبيه،مثل الياء في آخر بعض الأبيات،والبيت السابع الذي لم نستطع إصلاحه،كما أننا لم نستطع العثور على قائل هذه الأبيات».

- وأقول:أما البيت الذي لم يستطع إصلاحه فهو:

والنهر مرقوم الأباطح والربا * بمصند لبن زهره ومعصفر

وصححته كما بدا لي ثم وجدته كذلك في (نفح الطيب)[163]:

وَالنَّهْرُ مَرْقُومُ الأَبَاطِحِ وَالرُّبَى * بِمُصَنْدَلٍ مِنْ زَهْرِهِ وَمُعَصْفَرِ

والصَّنْدَلُ كما في (تاج العروس) «خشب معروف طيب الريح».[164]

وقائل القصيدة كما في (نفح الطيب) هو محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم من أهل جزيرة شقر يكنى أبا عبد الله ويعرف بـ(ابن مَرْجِ الكُحْلِ)[165]، وفي (المغرب في حلى المغرب:» أبو عبد الله محمد بن الدمن المعروف بـ(مرج كحل)». [166]

هذه بعض الملاحظات على تحقيق وتعليق ودراسة الدكتور سعد الله على رحلة ابن حمادوش، ولا تزال هناك ملاحظات غيرها، ولكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، والقصد كما قلت من هذه الملاحظات التنبيه

إلى وجوب احترام أغراض التحقيق،وبخاصة للنصوص التراثية،لأن أيدي الناسخين لعبت بها عن قصد أو عن غير قصد،وأهم ما يجب أن يحرص المحقق على إنجازه بتحقيقه هو استعادة صورة النص الأصلية،حتى يمكن الاستفادة منه،وأما إذا ترك النص على ما هو عليه من أخطاء النساخ فمنفعته تكون قليلة غير ذات جدوى.

وقد يشفع للدكتور سعد الله فيما وقع فيه من أخطاء أنه غير مختص في التحقيق،لأنه هو القائل في مقدمة تحقيقه (منشور الهداية) للفكون:»ثم اقتنعت بفائدة تحقيقه،فعزمت على ذلك،رغم أنني لم أكن من المحققين بالمعنى الفني للكلمة».[167]

هوامش البحث:

1. تحقيق النصوص ونشرها - عبد السلام محمد هارون – مؤسسة الحلبي وشركاه – ط2 – 1385هـ - 1965م - ص39

2. رحلة ابن حمادوش:ص35

3. تاريخ الجزائر الثقافي. د.أبو القاسم سعد الله. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. 1981م:2/421، هامش رقم:24

4. الممتع في شرح المقنع. محمد بن سعيد السوسي. طبعة أحمد بن مراد التركي. الجزائر. ص2.

5. انظر:معجم المطبوعات:1/1063.وعندي نسخة منه مخطوطة.

6. الممتع:ص5.

7. تاريخ الجزائر الثقافي:2/421 هامش رقم:24

8. الرحلة:ص61

9. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات . عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني . تحقيق:إحسان عباس . دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط2. 1982م. 2/564

10. الرحلة:ض63

11. الرحلة:ص63

12. العلوم الرياضية في الحضارة الإسلامية. جلال شوقي وعلي الدفاع. دارجون وايلي وأبنائه. نيويورك. شيشستر. بريسبين. تورنتو. سنغافورة. 1985م. ص43

13. الرحلة:ص64

14. موسوعة أعلام المغرب. تنسيق وتحقيق:محمد حجي. دار الغرب الإسلامي. ط1. 1417هـ. 1996م. 5/1900

15 . الموسوعة:5/1884

16 . الموسوعة:5/1901

17 . إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضر مكناس . ابن زيدان السجلماسي . تحقيق:د.علي عمر . مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة . ط1 . 1429هـ . 2008م . 1/392

18 . الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى . أحمد بن خالد الناصري السلاوي . تحقيق وتعليق:ولدي المؤلف الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري . دار الكتاب . الدار البيضاء . 1954م . 1/3

19 . طبقات الشافعية الكبرى . تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي . تحقيق:د.محمود محمد الطناحي،د.عبد الفتاح محمد الحلو . هجر للطباعة والنشر والتوزيع . ط2 . 1413هـ . 4/35

20 . نيل الابتهاج بتطريز الديباج (في هامش الديباج لابن فرحون) . أحمد بابا التنبكتي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ص26

21 . البداية والنهاية . ابن كثير . تحقيق:علي شيري . دار إحياء التراث العربي . ط1 . 1408هـ . 1988م . 5/373

22 . نفس المرجع:14/22

23 . طبقات الشافعية الكبرى:4/35 .وانظر: (الفتاوى الفقهية الكبرى:10/201) لابن حجر الهيتمي.

24 . نيل الابتهاج بتطريز الديباج:ص26

25 . البداية والنهاية:14/22

26 . الرحلة:ص65

27. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب . أحمد بن يحي الونشريسي . تحقيق:د.محمد حجي . دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1401هـ. 1981م. 4/230.

28. نفس المرجع

29. الرحلة:ص65

30. تجديد علم المنطق في شرح الخبيصي على التهذيب. عبد المتعال الصعيدي . المطبعة النموذجية . شركة الشابوري بالحلمية الجديدة . الطبعة الخامسة.

31. كشف الظنون. حاجي خليف. مكتبة المثنى. بغداد. 1941م. 1/516.

32 . هدية العرفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين . إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي . طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في طبعتها البهية إسطنبول 1951م . أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث الإسلامي. بيروت. لبنان .1/650

33. الرحلة:ص66

34. نفس المرجع

35. نفس المرجع.ص68

36. نفس المرجع.ص69

37. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. محمد أمين بن فضل الله المحبي. دار صادر. بيروت. 2/414.

38. الرحلة.ص69

39. العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية. عبد الرزاق المناوي. قام بتصحيحه والتعليق عليه:إسماعيل الأنصاري. مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي. القاهرة. ط2. 1406هـ. 1986م. ص10.

40. الرحلة:ص70

41. المجموع الكامل للمتون. جمعه وصححه:محمد خالد العطار. دار الفكر. بيروت. الطبعة الأولى. 1425/1426هـ. 2005م.ص796.

42. الرحلة/ص70

43. REVUE AFRICAINE – NUMERO 50- ANNEE 1906- P261-296

44. الحاوي للفتاوي. السيوطي. عني بنشره جماعة من طلاب العلم. سنة 1352هـ. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1408هـ. 1988م. 2/202

45. المجموع الكامل للمتون:ص263

46. الرحلة:ص70

47. انظر: هدية العارفين: 1/374 فقد ذكر (أضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة) فقط.

48. المطلع شرح إيساغوجي. الشيخ زكريا الأنصاري. مطبعة بولاق. تصحيح:محمد الصباغ. 1283هـ. ص4

49

50. الممتع.ص33.

51. وانظر:244:PAGE. – NUMERO:50 – REVUE AFRICANE ANNEE 1906

52. الرحلة:ص83

53. فقه اللغة وسر العربية. الثعالبي. حققه:حمدو طمَّاش. دار المعرفة. بيروت. لبنان. ط1. 2004م. 1425هـ. ص143

54. الرحلة:ص86

55. الممتع.ص34.

56. وانظر: REVUE AFRICANE – NUMERO:50 –. PAGE:362 ANNEE 1906

57. الرحلة:ص107

58. نفس المرجع.ص120

59. المقدمة. العلامة ابن خلدون. دار الكتاب اللبناني. بيروت. ط3. 1967م. ص928.

60. الرحلة:ص84

61. معجم المصطلحات العلمية والفنية. إعداد وتصنيف:يوسف خياط. دار الجيل ودار لسان العرب. بيروت. وهو المجلد السابع للسان العرب المحيط. دون. ص602:

62. كشف الرموز في بيان الأعشاب. الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري. طبع أحمد بن مراد التركي وأخيه الكتبي في رُورَنْدُونْ 13. الجزائر. ص76.

63. نفس المرجع.ص90

64. نفس المرجع.ص87

65. عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة. رواه أبو يعلي والطبراني ورجاله رجال الصحيح.(مجمع الزوائد:3/251).

66. الرحلة:ص87

67. انظر فيما يخص حساب الجمل وأيقش والتأريخ بهما أو بأحدهما (زخارف عربية:ص59،وص63). نوردين صمودي. نشر الشركة التونسية

للتوزيع.

68. الرحلة:ص103

69 . انظر:تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك . قدري حافظ طوقان . دار الشروق . بيروت . 1963م . ص461

70. تلخيص أعمال الحساب . ابن البناء المراكشي . حققه وترجمه وعلق عليه:الدكتور محمد السوسي . منشورات الجامعة التونسية . المطبعة الرسمية . تونس . 1969م.ص65.

71. نيل الابتهاج بتطريز الديباج .ص66.

72 . رحلة القلصادي . أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي . دراسة وتحقيق:محمد أبو الأجفان . الشركة التونسية للتوزيع . دون.ص41.

73. الرحلة:ص154

74. معجم المؤلفين:7/230.

75. (نسخة مخطوطة في موقع مكتبة المصطفى الإلكترونية عن مكتبة جامعة الملك سعود:قسم المخطوطات برقم:4765 ف 51964).

76. الرحلة:ص106

77. معجم المؤلفين:5/179.

78. الرحلة:ص107

79. نفس المرجع.ص110

80. تاريخ التراث العربي . فؤاد سيزكين . نقله إلى العربية:د.محمود فهمي حجازي . أشرفت على طباعته ونشره:إدارة الثقافة والنشر بالجامعة . الرياض . 1411هـ . 1991م . 1/308

81. الرحلة:ص111

82 . معجم المطبوعات العربية والمعربة . يوسف بن إليان موسى سركيس . مطبعة سركيس . مصر . 1346هـ . 1928م . 1/156.

83 . انظر:المجموع الكامل للمتون.ص643

84 . الرحلة:ص111

85 . انظر: معجم المؤلفين . عمر رضا كحالة . مكتبة المثنى . بيروت . دار إحياء التراث العربي . بيروت . 9/14

86 . الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام (وبهامشه حاشية ابن رحال) . محمد بن أحمد ميارة . دار الفكر . ص3

87 . معجم المؤلفين:9/14

88 . انظر:معجم المؤلفين:2/16.

89 . الرحلة:ص120

90 . كشف الرموز.ص15.

91 . كشف الرموز.ص169.

92 . الرحلة:ص120

93 . انظر:هدية العارفين:1/500،ومفتاح السعادة ومصباح الزيادة . طاش كبرى زادة . مراجعة وتحقيق:كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور . مطبعة الاستقلال الكبرى . القاهرة . دون . 1/304 . 305.

94 . انظر: نيل الابتهاج:ص67

95 . الرحلة:ص123

96 . الجامع الصحيح . البخاري . تحقيق:د.مصطفى ديب البغا . نشر مشترك:موفم للنشر . الجزائر /دار الهدى . عين مليلة . 5/2128

97 . الرحلة:ص125

98. مقدمة فتح الباري. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. 1/466

99. الرحلة:ص133

100. حياة الحيوان الكبرى. الدميري. دار الكتب العلمية. بيروت. ط2 1424هـ. 1/183.

101. سير أعلام النبلاء. الذهبي. تحقيق:مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة. ط3. 1405هـ. 1985م. 21/60. 61.

102. الرحلة:ص149

103. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. ابن فرحون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. :1/47

104. نفس المرجع

105. المجموع الكامل للمتون. جمعه وصححه محمد خالد العطار. الطبعة الأولى. 1425. 1426 /2005 م. دار الفكر. ص67.

106. انظر:مجمع الأمثال. أبو الفضل الميداني. تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد. دار المعرفة. بيروت. لبنان. :2/135

107. فهرس الفهارس. 1/186.

108. الرحلة:ص158

109. عون المعبود شرح سنن أبي داود (ومعه حاشية ابن القيم). العظيم آبادي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط2. 1415هـ. 1/172

110. الرحلة:ص159

111. السنن الكبرى. أبو بكر البيهقي. تحقيق:محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط3. 1424هـ. 2003م. وفيه قال:«هذا مرسل، وقد روينا معناه موصولا في حديث المغيرة بن شعبة». 1/100

112. الرحلة:ص165

113. القاموس المحيط. الفيروزآبادي. مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. إشراف:محمد نعيم العرقسوسي. ط8. 1426هـ. 2005م. 1/251

114. حياة الحيوان الكبرى. دار الكتب العلمية. بيروت. ط2. 1424هـ 1/509.

115. حيواة الحيوان الكبرى:2/221

116. نفس المرجع.1/41

117. المعتمد في الأدوية المفردة. السلطان الملك المظفر الأشرف يوسف بن عمر بن علي بن رسولا الغساني صاحب اليمن. دار الكتب العربية الكبرى. مصطفى البابي الحلبي وأخويه. مصر. 1/168.

118. الرحلة:ص166

119. التكملة لكتاب الصلة. ابن الأبار. تحقيق:عبد السلام الهراس. دار الفكر للطباعة. بيروت. 1415هـ. 1995م. 2/162 و2/271

120. الأعلام. الزركلي. دار العلم للملايين. ط15. أيار/مايو. 2002م. 4/161

121. الرحلة:ص167

122. انظر:الاكتفاء في أخبار الخلفاء:2/404،و تاريخ الخلفاء للسيوطي:1/8،وحياة الحيوان الكبرى:1/79.

123. الرحلة:ص172

124. الأغاني. أبو الفرج الأصفهاني. 1/334 و4/397

125. الفرج بعد الشدة :1/338

126. المحاسن والأضداد. الجاحظ. دار ومكتبة الهلال. 1423هـ. 1/266

127 . تزيين الأسواق في أخبار العشاق . داود الأنطاكي :1/110

128 . الزهرة لابن أبي داود:1/54

129 . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير . أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي . المطبعة الأميرية . القاهرة . ط6 . 1925م . ص291

130 . الرحلة:ص192

131 . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . ابن الجوزي . تحقيق:محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية . بيروت . ط1 . 1412هـ . 1992م . 13/202

132 . صلة تاريخ الطبري . القرطبي . :1/71

133 . انظر:الاكتفاء في أخبار الخلفاء:2/414.

134 . الرحلة:ص194

135 . ديوان الحلاج . ترجمه من العربية وقدم له:لويس ماسنيون . طبعة Seuil 27 rue jacob.paris 6e

136 . قصائد صوفية (أشعار الحلاج) . ترجمه إلى الفرنسية وقدم له:سامي علي . طبعة :Sindbad 1 et 3 rue Feutrier paris 18

137 . ديوان الحلاج ويليه أخباره وطواسينه . سعدي ضناوي . دار صادر . بيروت . ط3 . 1429هـ . 2008م.

138 . الرحلة:ص196

139 . زهر الآداب وثمر الألباب . الحصري . مفصل ومضبوط ومشروح بقلم:د.زكي مبارك . دار الجيل . بيروت . لبنان . ط4 . 1972م.3/722. وانظر:الاكتفاء في أخبار الخلفاء:2/428.

140 . الرحلة:ص201

141. نفس المرجع.ص224

142. الاكتفاء في أخبار الخلفاء:2/488. 489.

143. الرحلة:ص216

144. نسخة جديدة منقحة مصححة. جمعه وصححه محمد خالد العطار. الطبعة الأولى. 1425. 1426 هـ/2005 م. دار الفكر. بيروت. لبنان.

145. الرحلة:ص217

146. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. التهانوي. تحقيق:علي دحروج. إشراف ومراجعة:د.رفيق العجم. نقل النص الفارسي إلى العربية:د.عبد الله الخالد. الترجمة الأجنبية:د.جورج زيناتي. مكتبة لبنان ناشرون. بيروت. ط1. 1996م. 1/568.

147. كشف الظنون. حاجي خليفة. 1/744

148. الرحلة:ص220. 224

149. نهاية الأرب في فنون الأدب. النويري. دار الكتب والوثائق القومية. القاهرة. ط1. 1423هـ. 14/86

150. عرائس المجالس في قصص الأنبياء. الثعلبي. (وبهامشه:مختصر روض الرياحين لليافعي). دون.

151. الرحلة:ص224

152. الجامع الصحيح. البخاري. نشر مشترك:موفم للنشر. الجزائر/ دار الهدى. عين مليلة. 1992م. 6/2535

153. الرحلة:ص236. ص237

154. انظر في هذه المسألة (بدائع الصنائع:5/391)،و(تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق:5/198)،و(فتح القدير:6/314).في الشاملة.

155. تاريخ الجزائر الثقافي:2/242

156. الرحلة:ص256

157. الرحلة:ص38

158 . الرحلة:ص112,وانظر ماذا قال الشيخ أبو راس المعسكري في (فتح الإله:ص23) عن نسبه الشريف وأن عالمين فاضلين شهدا له بذلك.

159. الرحلة:ص265

160 . إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون . الباباني . عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسى. دار إحياء التراث العربي. بيروت .لبنان 1/82

161 . عجائب الآثار في التاريخ والأخبار . الجبرتي . دار الجيل . بيروت . 1/130

162. الرحلة:ص307

163. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. المقري. تحقيق:إحسان عباس. دار صادر. بيروت. لبنان. طبعة جديدة. 1997م. 5/51

164. تاج العروس من جواهر القاموس. الزبيدي. تحقيق:مجموعة من المحققين. دار الهداية. 1/7243

165. نفح الطيب:5/51

166. المغرب في حلى المغرب. ابن سعيد المغربي. تحقيق:د.شوقي ضيف .دار المعارف. القاهرة. ط3. 1955هـ. 2/373

167. منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية . شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون. تقديم وتحقيق وتعليق:الدكتور أبو القاسم سعد الله . دار الغرب الإسلامي . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى . 1408 هـ . 1987م. ص22.

الجزائر في الشعر العُماني الحديث
المضمون و الأداء

أ. د.حواس بري
جامعة الجزائر2--

تتناول الدراسة الشعراء العُمانيين الذين اهتموا بالجزائر، وعاشوا معها بوجدانهم وبعطائهم، تعبيرا عن العلاقة الوطيدة التي تجمع بين البلدين الشقيقين .

قسم الباحث الدراسة إلى محاور ثلاثة :

أمّا المحور الأول فهو المحور الثقافي، ويجلّيه الدور الذي قام به العلاّمة القطب ، محمد بن يوسف إطفيش أحسن قيام. و اعتمادا عليه نجد أبا مسلم الرواحي يرثيه يوم وفاته رثاء بيّن فيه قيمة الرجل ومكانته. ولمّا كان لمعهد الحياة دوره الثقافي والديني، وما يزال مَعْلَما من معالم ذلك التواصل الثقافي. وجدنا الشاعر العُماني يقف وقفة تلائم هذا الصرح الحضاري ، ويصفه الوصف الدال على الأهمية التي يحضى بها في نفوس العمانيين.

أمّا المحور الثاني فتُمثِّله الثورة الجزائرية و تعاطف الشعب العماني معها، حيث كان الشعراء رُسُلَ ذلك الإحساس النبيل ، والعواطف التي تقطر مَحَبَّةً لهذا الشعب الذي أعاد سيادته على أرضه، وكان رمزا لتحدي الشعب المكافح لأعتى استدمار عرفته الإنسانية .

أمّا المحور الثالث فيمثله الشاعر الدبلوماسي ودوره في تنمية العلاقات العمانية الجزائرية بجميع جوانبها: الثقافية، والاقتصادية والقضايا ذات الاهتمام المشترك.

المحور الثقافي:

وهذا المحور - كما جلاه الشاعر العماني- يمثله علماء المذهب الإباضي في الجزائر، ويتجلى خاصة في معهد الحياة بالقرارة؛ بوصفه مَجمعا علميا وصرحا ثقافيا ، وقلعة من قلاع الجزائر المجاهدة. وفي الصفحات الآتية نقف عند هذين المبحثين اللذين سبق ذكرهما بالعرض والدراسة.

أما العلماء فشيخهم العلاّمة محمد بن يوسف إطفيش – رحمه الله- فهو الذي عُرف بعلمه وبغزارة إنتاجه ، وفي هذا السياق كتب المفكّر الإسلامي الكبير، مالك بن نبي - رحمه الله- في السجل الخاص بمكتبة القطب التي ضمّت تآليفه قال « إذا افتخرت مكتبات العالم بما حَوَتْه من مؤلفات فإنّ مكتبة القطب تفخر بأنّ ثلثها من تأليف صاحبها»[1] كما عُرف عن القطب – رحمه الله- مقاومته الاستدمار الفرنسي، دعا إلى المحافظة على الإسلام والالتفاف حوله في الجزائر؛ كونه صمام الأمان وقارب النجاة، إضافة إلى هذا وذاك فإنّ القطب مرجع المذهب الإباضي في زمانه ، مغربا ومشرقا. و قد كان لوفاته أثر عميق على الجزائر والأمة الإسلامية. وقع الخبر على الشاعر العماني ناصر بن سالم الرواحي المكنّى بأبي مسلم، كالصاعقة فرثاه بقصيدتين طويلتين [2]. نقتطف من الأولى ما يخدم الغرض؛ لأنّ المبحث المخصص لا يستوعب قراءة القصيدتين أو عرضهما معا.

قال أبو مسلم يصوّر كيف استقبل نبأ وفاة القطب :

لو دافع الصبر حزنا ثم أذهبه لكنت بين رجال الصبر كالجبل
لكن من الخَطْب خَطْبٌ لو يقاومه صبر الجليد انثنى بالدحض و الفشل
فقدتُ كَفْل اصْطِبار كان يكفلني في النائبات فخان الآن مكتفلي [3]

فقد تحلّى الشاعر بالصبر و تعوّد عليه لكنه بفقد شيخه تضعْضَع و تصدّع؛ لأن للفقيد مكانة عظيمة عند أبي مسلم، لذلك عدّ فقده نكبة بوصفه هوت عليه، وتشعر من هذا أن الشاعر فقد ركنا ركينا ، كان السند و بذهابه ذهبت آمال فساح، كان الشاعر يرجو أن تتحقق - وما أكثرها- في زمن كانت الشعوب العربية تحت نير الاستدمار مشرقا و مغربا، لذلك ناسب الشاعر أن يقول :

يا ناعي الغوث هل لاقيت من خلف ممن نعيت و هل قدرت من مثل
يا ناعيا سيد الأبرار هل تركت بالله فينا المنايا اليوم من بدل
نعيت فردا أم الدنيا بأجمعها إني أحس بدهش شامل جلل
تنعى ابن يوسف فتح السالكين وختْ مَ الواصلين مربّي الأنفس الكمّل
محمـــدا مـــدد الأمداد روحـهـم مـــروع النفـــس إن يعمل وإنْ يقل

لغة الكلام تكاد أنْ تتعطّل؛ لأن الشاعر تحت الصدمة ولذلك عمد إلى خصوبة الألفاظ و جزالة المعاني.

و بعد أن عدّد مناقب الفقيد، عرّج يذكر مؤلفاته - وما أكثرها- فقال:

تلك العلوم التي أوعيت جوهرها قلبا بحب جمال الله في شغل
مازلت تسبح في القرآن ملتقطا درر المعارف لم تضجر ولم تحل
حتى ملأت مراد العقل معرفة ممدودة الفيض حتى لحظة الأجل
وفزت بالسنة الزهراء محتويا على الإشارة و التفصيل و الجمل

وجئت بالدين والأحكام مكتشفا للنقل والعقل كشفا غير ذي دخل

مستنبطا أوجه التأويل راسخة على النصوص مصونات عن الزلل [4]

وبه تبيّن أنّ العلاّمة تمكّن من العلوم الشريعة وكان فيها حُجّة، فضلا عن علوم الوسيلة، كالنحو والصرف والبلاغة. وكان له فيها باع طويل بالشرح والتأليف والتعليق ثم انتقل يُبيّن مكانة العلاّمة بين تلاميذه ومُحبّيه من علماء العالم الإسلامي، إلى أنْ دعا له بالرحمة فقال:

سَقَى الإله ربوع الزّاب * ماطرة من رحمة الله بالأبكار والأصل

و باشرتْك هبات الله دائبة بعارض من عظيم الفضل مُنْهطل [5]

وبهذا التعبير الصادق اتضح بما لا يدع مجالا للشك أنّ الرجال لا يعرف قدرهم إلا أهلوهم، ولفرط حب الشاعر الشيخَ ذاب في تعبيراته عنه ، فأذاب الحواجز وطوى المسافاتِ وما أوسعها. وتحدّث عن هذه الشخصية العظيمة ليبدي لك أنه يعيش في الجزائر مع إخوانه بوجدانه؛ تسعده راحتهم ويشقى لحزنهم. وبه فالشعر وثيقة وشهادة يعتمدها المفكّر والمؤرّخ حين البحث أو الحديث عن العلاقات الثقافية أو الفكرية بين الشعوب، وقد جلاها الشعراء العمانيون - كما سنرى- في الصفحات الآتية على نحو أوسع .

هذا عن المبحث الأول من المحور الثقافي. أما المبحث الآخر فيمثله معهد الحياة الكائن بمدينة القرارة. ويُعَدُّ المعهد معقلا من معاقل الجزائر العلمية. تخرّجت في عرصاته الطاهرة وما تزال كوادر لا يحصيها العد ، ليس في الجزائر وحسب بل في الوطن العربي والعالم الإسلامي. وفي هذا المعهد تعلّم الطالب العماني والجزائري جنبا إلى جنب وتخرجا معا. وكان لهذا الصرح العلمي دوره ومازال في العلاقات العُمانية الجزائرية ،

في جانبها العلمي و الديني ويبدو واضحا في الزيارات التي يقوم بها الشيوخ وأساتذة من معهد الحياة إلى السلطنة بُغية تعزيز هذه الجوانب باللقاءات التي تجمعهم بعلماء عُمان و طلبة الجامعة [6] والمعاهد الشرعية وغيرها من المراكز الثقافية والعلمية. وبفضل العلماء الأعلام الكرام الذين قاموا بأعباء التدريس في معهد القضاء الشرعي سابقا

[7] وفي عهد عُمان الزاهر، عهد حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس - يحفظه الله ويرعاه- وجدنا عُمان ترد التحية باستقبال الطلبة المتخرجين في معهد الحياة إذْ تخصص لهم مقاعد دراسية في مركز السلطان قابوس للثقافة الإسلامية الذي يلعب دوره المتميز في تعزيز هذه العلاقة و العمل على تنميتها و الرقي بها إضافة إلى الزيارات التي يقوم بها العلماء من عُمان إلى الجزائر للتشاور و التعاون في الموضوعات ذات العلاقة [8].

و مادام معهد الحياة يكتسى هذه الأهمية، فيبين عنها الشيخ العلامة سالم بن حمد بن سليمان الحارثي [9] في أثناء الزيارة التي قام بها إلى معهد الحياة، وهناك التقى بالعلماء المرابطين للتدريس فيه، ففاضت قريحته بقصيدة ألقاها على طلبة و أساتذة المعهد، وخصّ بالذكر الشيخ العلامة إبراهيم بن عمر بيوض - رحمه الله- [10] فقال :

للمعالي فلْيعلُ من قد تعالى هكذا هكذا وإلا فلا لا
شرف ينطح النجوم بِرَوْقَيْهِ وعزيز لزل الأجبالا
أنت يا معهد الحياة سماء أشرقت شمسها ضُحًى تَتَلالى
طبت أصلا فطابت منك فروع عمّت الأفق بهجة وجمالا
عجبا أشرقت من الغرب شمس فأتتنا للشرق تكسو الجبالا

أعرب الشاعر عن مكانة معهد الحياة و دوره الريادي في نشر الثقافة الإسلامية مشرقا و مغربا وقد وجد الشاعر سالم بن حمد الحارثي في تلك المقولة التي كان يرددها ابن حزم الظاهري " إنما أنا شمس ولو أشرقت من مغربها " [11] وجد فيها ضالته، فاستضافها لوصف معهد الحياة الكائن في الجزائر بيْد أن إشعاعه العلمي يجوب الآفاق:

عجبا أشرقت من الغرب شمس فأتتنا للشرق تكسو الجبالا [12]

و هذا التعبير الجامع يتوافق مع مقولة ابن حزم السالفة الذكر

وقيمة هذا المعقل بأعلامه وعلمائه الكرام؛ لذلك أتى الشاعر يذكر منهم العلامة الشيخ إبراهيم بيوض ويدعو له بمديد العمر للدور الذي كان يقوم به في الحقل العلمي ، و يتوزع إلى تدريس طلبة المعهد و دروس مخصصة للتفسير و أخرى لعامة الناس قبل صلاة العشاء أو غيره من الأوقات ، فضلا عن الإصلاح الاجتماعي الذي تشرف على تسييره هيئة علمية تُعرف بـ: العزّابة و هي التي لعبت دورا كبيرا في التكافل الاجتماعي و أعطت و ما تزال الصورة المُثلى للدين الإسلامي؛ بوصفه دينا مثاليا في ذاته واقعيا في تطبيقه. قال الشاعر يثني على الشيخ بيوض ومن معه من علماء المعهد:

ربِّ مَتِّعْ بيوضَ عُمْرا طويلا نتحلّى بالقرب منه كمالا

وتقبلْ إخلاصه وعناه و أنِلْ ناصريْه منك نوالا

بارك الله في حياتكم و خُطاكم وكَساكم مَهَابة و جلالا

وتولاكم بركن شديد و حماكم من كل سوء تعالى [13]

ولا ينسى الشاعر الوطن الأم لمعهد الحياة، فيقدم له التحايا والتهنئات للدور المتميز في إثراء الثقافة الإسلامية،وخدمة الإسلام، انطلاقا من

معهد الحياة ثم معاهد التعليم الأصلي و ملتقيات الفكري الإسلامي؛ حيث كان يُخَصص لكل دورة محورا يدور حوله الملتقى على مدار أسبوع كامل ويحضره علماء متخصصون من جميع بقاع العالم الإسلامي. ولهذا الدور وغيره قال الشاعر:

قصرت عنك يا جزائر مدن وسبقت الأمصار رجالا فحالا

قل لمن رام شأوه لا تفكر كيف يعلو للعز قوم كسالى [14]

وهيهات يحصل ذلك! وهكذا تبيّن بما لا يدع مجالا للشك أنّ الشاعر العماني كان حريصا على إبراز تلك المعالم الثقافية وأعلامها الكرام الذين لعبوا دورا كبيرا، حرصا منهم على نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة في البلدين الشقيقين الجزائر و عُمان. وعلى اعتبار أنّ المذهب الإباضي قائم مشترك بينهما و تتوسع الدائرة لتشمل اهتمامات البلدين فيما اتصل بالقضايا ذات العلاقات المشتركة الأخرى وهذا ما نلمسه كل يوم للعلاقات المتميزة بين الشقيقتين تسعى إلى تنميتها الوفود التي تتبادل المشورة، فيما يخدم البلدين وعلى جميع الأصعدة. وعلاقات التواصل دائبة لمتابعة القضايا المشتركة، ويشرف على مواصلتها ومتابعتها سفراء البلدين .

المحور الثاني : الثورة الجزائرية و الشعراء العمانيون

تظل الثورة الجزائرية بعطائها الزخم و تأثيرها العميق نموذجا لكل حر، و نبراسا لكل من يَهوى الحرية و يعشق الحياة في ظل الكرامة. وقد وجد أدباء العرب و غيرهم من أدباء العالم في الثورة الجزائرية الأنموذج الحي للإنسان المنتصر على ذاته، ثم على الذي سلب أرضه واعتدى على مُقَدَّساته. وبقدر ما تعاطفوا معها جعلوها مرجعية لكل من يريد أن يتحرر في العالم. كانت قوية بإيمان شعبها بمدى عدالتها؛ و من ثم حرّكت و جدان

الشاعروقلم الكاتب ويراع الدبلوماسي،ففرضت نفسها على أرض الواقع، في الجبال و السهول و الصحارى، في المدينة و القرية والحي والحارة. وعلى هذا النحو جاب صوتها آفاق الدنيا بالحنكة الدبلوماسية التي تمتع بها أولئك الدبلوماسيون الذين أوتوا تجربة خصبة في كيفية حوار العدو، وفي تفنيد ادعاءاته و إقناع المناصر بتلك الأدلة و الحيثيات التي لا تقبل التبديل أو التحويل؛ لأنها تصدر عن قناعة راسخة ثابتة، تؤكد عدالة القضية و تقيم الحجة على الظالم المغتصب؛ لأن حججه واهية، و لا أساس لها من صحة بل هي محض افتراء. ومن هنا وقف إلى جانب القضية الجزائرية الشقيق في مشارق الأرض و مغاربها، و تعاطف معها الصديق في جميع أقطار الدنيا...

وكان للكلمة دورها الذي لا يُنْسى على مستوى التبليغ و التأثير فالإقناع . لخّص شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا - رحمه الله- دور الشاعر، حين يهز النفوس ويدغدغ المشاعر ويدعو للقضية بل يكون» سفيرها بلا أوراق اعتماد» (*)وعن هذا الدور العظيم عنون إحدى قصائده بهذا العنوان : "رسالة الشعر في الدنيا مقدسة".

ومادامت الكلمة المناصرة للثورة التحريرية المظفّرة تستمد قدسيتها من قدسية القضية الجزائرية، فكان لها وقعها عند الذين آمنوا بأن الحرية تؤخذ و لا تعطى ؛إذ لم يفرّقوا بين المجاهد بالبندقية أو بالقلم أو بالكلمة. ومن هنا تأتي قضية الالتزام بالدفاع عن الثورة الجزائرية ومؤازرتها من قبل الشعراء العُمانيين الذين ساهموا بشعرهم تحية للثوار الذين واجهوا أعتى استدمار عرفته البشرية و في تلك المضامين التي جعلوها لمناصرة الجزائر، زاوجوا فيها بين الجلال و الجمال.

أما الجلال فيمثّله الثبات والتحدي اللذان تحلى بهما المجاهدون، وهم يواجهون العدو وكلهم عزيمة. و أما الجمال فتجلّيه تلك العواطف الأخوية النبيلة، الدالة على الحب و الانتصار للشعب الجزائري في محنته. فهذا الشعور النبيل و الإحساس بالمسؤولية التي تمليهما الأخوة وتقررهما شريعة الإسلام، لا شك أنها تعمّق العلاقة الأخوية.

و قد لمست الجزائر شعبا و قيادة هذا التضامن من قبل الأشقاء العُمانيين ممّا عزّزها

و ثبّتها و سارت قُدُما لتقرير مصيرها لإيمانها بأنها ليست وحدها في الميدان وبتلك المحنة عرفت أن الدم لا يصير ماء وكان لسان حالها يردد :

أخاك أخاك فإنّ من لا أخاً له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

وحول هذا التضامن ومعانيه السامية تكون لنا هذه الوقفة مع الشعراء العُمانيين الذين جعلوا الثورة الجزائرية إحدى مضامينهم الشعرية.

و من أولئك الشعراء الكرام : الشيخ عبد الله الخليلي - رحمه الله - والشاعر الشيخ سليمان بن خلف الخروصي، والشاعر القاضي الشيخ، حميد الله بن حميد الجامعي المُكَنَّى بأبي سرور.

أما الشاعر الكبير عبد الله الخليلي فنظم قصيدة هنّأ فيها الشعب الجزائري بمناسبة استعادة حريته وقد اختار لها عنوانا يدل على العلاقة الوطيدة بين الشعبين العُماني والجزائري (إلى إخواننا في الجزائر). وليس بدعا أنْ يتفاعل الشاعر بهذه المناسبة ، وينظم هذه القصيدة التي أقرَّ فيها أنّ النصر على الأعداء لم يأت دون مقابل ، بل تحقق بالجماجم وقد جعلت جسورا وبالدماء وكانت معبرا لساحات الحرية والاستقلال، لذلك مَهّد الشاعر بالحديث عن الثّمن قبل التهنئة بيوم النصر فقال:

يا حادي العيس هُنِئْتَ السرى فاحمد صباح العزواستجْلِه
أصبحَ بأفياء بني عمّنا حيث حُسام الموت في نصله
حيث دم النجدة تجري دما من مَقْتَل الغاصب في تلّه
حيث حسامُ الشم من قلبه أجرى ولوكان على قتله [15]

وبعد أنْ قدّم أسباب النصر و مسوّغاته ، و قد مثّلتها الأبيات السابقة وأخرى تلتها . شرع يُهنِئ الشعب الجزائري بنصره الذي افتكّه من المستدمر الفرنسي فقال:

جزائر النجدة هذي العلى جاءتك كالأشقر في شكله
جاءتك و الأيام في غيظها كموقد النار على جزله
تنساب في استعمار هامية تدمدم الشعب على أهله
لكنه شعب أبيٌّ أبى أنْ يبرد الحوض لمحتله
كالليث في غابته حاذر أنْ يصل الضر إلى شبله
يفترّ للغاصب عن مُرهف يقذف بالحق على بطله
لله منه حججا خاضها ثمانيا لم يغف عن ذخله [16]

هكذا شارك الخليلي الشعب الجزائري فرحة استقلاله وعرّف أنّ الحرب التي خاضها مع العدو الغاشم دامت ثماني سنين أذاق بها الشعب المجاهد العدوَّ مرارة الهزيمة .اعتمد الشاعر في الإعراب عن ذلك بالتكثيف اللغوي وتوظيف الطبيعة المتحرّكة مُمَثّلة في حيواناتها المفترسة وزواحفها الماكرة. وثمّن الشاعر الطبيعة بوصفها صورا معبّرة وأحسن توظيفها.

أما الشاعر الشيخ، سليمان بن خلف الخروصي، فهنّأ الشعب الجزائري يوم استقلاله كذلك . ورأى استدمار فرنسا الجزائر كان عنوة لكن الشعب الجزائري لم يقف مكتوف الأيدي بل ذبّ عن وطنه و دافع

عن بيضة الإسلام فيه؛ لأنّ الحرب الدائرة بين الجزائر و فرنسا أيّامئذ كانت بين الصليب و الهلال. و يرى الشاعر أنّ للجزائر مجدا واسعا هو الذي حركها فرفضت المهانة ، ودافعت عن الوطن المفدىّ، والمجد الذي بناه الآباء عبر تاريخ الجزائر الحافل بالبطولات. و عن هذه المعاني قال الشاعر الخروصي:

هو المجد حيث الجد حيث العزائم وحيث المذاكي و القنا و الصوارم
هو المجد حيث الطائرات أمامها قنابل فيها الموت أَسْوَدُ قاتم
هو المجد حيث المدفع الضخم إنْ رمى أزال الرواسي فهو للشم هادم
هو المجد حيث السيف يلمع ضاحكا تسيل دما منه الرُّبى و المعالم
هو المجد حيث الحرب يحمي عرينها ليوث مقاديم كماة ضراغم
كشعب أبي في الجزائر قد غدا يناضل حقا و الشهود العوالم

اتّكأ على كلمة المجد يرددها ؛ كونها المنطلق . والمحافظة عليها هي الهدف ، ثم جاء بحيثُ الظرفيةُ يكررها بغية تعريف المجد بأنه ... حيث ... ليدلك أنّ المجد المتحدّث عنه لم يُصْنع من فراغ بل تكوّن وتحقق حيث العزائم، و القنا، و الصوارم. واستمر على هذا الأسلوب يذْكر المجد و يربطه بأسبابه فتأمّله يقول :

هو المجد حيث المدفع الضخم إنْ رمى أزال الرواسي فهو للشم هادم
هو المجد حيث السيف يلمع ضاحكا تسيل دما منه الرُّبى و المعالم

إنّ المجد برأي الشاعر لا يُحافَظ عليه إلا بالمدفع، حين يُحسَن استعماله، فإنّه إذّ ذاك تُدَكُّ به الجبال الرواسي و تهدم القلاع المُحصّنة. و إذا كان هذا تأثيره على مستوى الجماد الأنموذج [17] . فإنّ ما بعد هذا التأثير متروك للعدو أنْ يتحدث عنه. وللأخ والصديق أن يبارك و يثني ...

ثم ساق الشاعر صورة النصر تتحقق بالسيف اللامع الضاحك. و حَرِيٌّ به أنْ يزهو و يضحك، وجديربه ذلك، مادام في أياد طاهرة كريمة. تلك هي الصورة الجميلة الوديعة لهذه الآلة لكن لها وجه مُفْزِعٌ مخيفٌ يتجلى في قول الشاعر سليمان بن خلف الخروصي: تسيل دما منه الربى و المعالم وهنا ، من الملائم أن نشير إلى الاستعارة و علاقتها بالنظم ، و يبدو ذلك في التشريع بمستوييه اللغوي والأسلوبي. أما اللغوي فقد استعار الشاعر فعل سال للروابي و العوالم. وهو مخصص للموائع و السوائل والفعل من حيث مؤداه اللغوي لازم لكن الشاعر عداه بـ)مِن(التي جاءت هنا بمعنى باء السببية. وبه أعطى التركيب دلالة أسلوبية مفادها أنّ السيف أدمى الجماد بعلاقة المحلية وهو أقوى في الأداء التعبيري، فضلا على أن البيت تَضَمَّنَ ما يسمى بالثنائية الضدية [18] ممثلة في التعبير المجازي الوارد في أسلوب التشبيه الضمني، فإذا أنعمت النظر فيه وجدته لامعا يدخل السرور على النفس لكن إذا استعملته للقطع و البتر وجدته حادا.

وفي النص أبكى وأضحك، في آن ، و تلك دلالة على أنّ العبرة ليست بالسلاح بل بحسن استعماله. وفي هذا المعنى يقول المتنبي:

إنّ السلاح جميع الناس تحمله وليس كل ذوات المِخْلَب السَّبُعُ

ثم جاء الشاعر إلى البيت الموالي وعمد إلى التكثيف اللغوي حين بيّن أنّ المجد والحرب متلازمان فقال:

هو المجد حيث الحرب يحمي عرينها ليوث مقاديم كماة ضراغم

أبان أنّ الشعب الجزائري كان في مستوى التحدي ، وصار بذلك الشعب كله أسودا ضياغمَ ضراغمَ ؛ لأن افتكاك النصر - في مثل هذه المواقف - لا يكون حليفا إلا للقادرين عليه . وأعلاهم في الدفاع والهجوم

والكر والفر الأسود وكذلك كان الشعب الجزائري. واستأنف الشاعر يعدد مناقب الشعب الجزائري المجاهد ، إلى أن انتهى يهنئه بهذه المناسبة الغالية فقال:

فلله يا أهل الجزائر أنتم أسود صناديد حماة قشاعم
رقوتم على هام السماك بجدكم فجاءتكم هذي العلى و المكارم
وقد نلتم كل المرام بعزمكم على قدر أهل العزم تأتي العزائم
أهنيك يا شعب البطولة والعلى فقد نلت ما أمّلت والعرض سالم

إلى أن يقول:

إليكم يا بني العرباء مني تحية وتهنئة جادت بما الحب كاتم
لعلي أؤدي بعض واجب حقكم وخير فعال المخلصين الخواتم [19]

هكذا شارك الشاعر سليمان الخروصي الشعب الجزائري فرحة استقلاله. ولا يفوت أن نشير إلى أنّ الشاعر هزّه الحدث وحرّكه من أعماقه. ووجد في قصيدة المتنبي التي مطلعها: على قدر أهل العزم تأتي العزائم – متنفسا لتدفقه الشاعري

فبنى على منوالها، وكان بذلك مشدوها بالحدث ومشدودا إلى القصيدة التي عارضها. ومهما يكن فإن الشاعر – وإن تأثر بالمتنبي – استطاع أن يحافظ على خصوصياته التي وقفنا على بعض معالمها. كما لا يفوتنا أن نشير إلى أن بعض أبيات القصيدة طغت عليها الخطابة والمباشرة. وهذا حال شعر الثورات يهتم بتسجيل الحدث و مسايرة الوقائع و متابعتها، وليس يُعنى بالبناء الفني الذي يحتاج فيه الشاعر إلى وقت كي يراجع ويجوّد ما نظمه. وشعر الثورات بعامة تلامسه الخطابة و المباشرة . غير أننا نجد بعضهم يتنزه عن الصفتين السابقتين ،ويصوغ شعره جامعا بين صياغة العبارة وجودة التركيب .

أما الشاعر القاضي أبو سرور [20] ، فقد عَشْعَشَتْ الثورة الجزائرية في عقله و قلبه مما حدا به أن يتابعها و يتلقف أخبارها في الصحافة المكتوبة والمسموعة وظل على تلك الوتيرة حتى جاء يوم النصر فاستمع إلى المذيع يبشر بانتصار الجزائر على العدو وإعادة استقلاله، سمع هذا النبأ السار – و هو يجني الرطب من على نخلة، فكتب قصيدة "مليون النصر" على كلتا يديه،لمّا لم يجد قرطاسا. ب وفيها بيّن أنّ النصر لم يُقَدّم هدية ، بل تحقق بعد جهد مضن و أرواح و دماء قدمت جميعها عربونا لهذا الوطن الغالي، فقال:

المجد يزهو ويزكو روضه النضر حيث القنابل لا تُبقى و لا تذر
حيث العزائم أدهى من قنابلها حيث الممات و حيث الورد و الصدر
حيث السياسة شورى بين قادتها إمامهم نور ما جاءت به السور.

إن الشاعر اختار لهذا المقام الألفاظ الدالة على الجمال ، والكلمات المعبّرة عن الجلال، وفي تلك المزاوجة دلالة على المعاناة الممزوجة بالأمل المعقود بالنصر أو الشهادة ، و في كل خير، فمن تلك الألفاظ المشحونة بمعنى الجلال : كلمة (المجد) إنها برأي الشاعر – ليست مجردة عن معناها كونها مصحوبة بقرائن تثبت مجد هذا الشعب وعظمته ثم سرعان ما يريك هذه العظمة تتحول إلى الجمال يوم انتصار الجزائر. فقال: "المجد يزهو ويزكو روضه النضر". في هذا الثوب الذي ترى فيه الجزائر وهي فرحة بيوم عيدها ولكن هذا العيد لم يأت بالخُطب الرنانة والكلام الذي لا يجدي نفعا ، بل تحقق بالقنابل التي لا تُبقي و لا تذر. ولا معنى للسلاح من غير رجال آمنوا بعدالة قضيتهم و من ثَم رأى أن عزيمة الرجال الذين أصروا على الاستقلال أشد وطأ من القنابل و أحكم أثرا من استعمال الآلات

الحربية، و أعرب عن ذلك ولخصه في المنهج الذي سار عليه المجاهدون وقد تمثل في إحدى مصادر التشريع الإسلامي، ألا وهو الشورى . ويتأكد نجاح العمل بها عندما اهتدى المجاهدون إلى تطبيقها بوصفها نورا من نور الوحي المنزل على الرسول الأعظم - صلى الله عليه وسلم -.

ويرى أبو السرور أن الشعب الجزائري برمّته ولد مجاهدا فحارب العدو المغتصب أينما كان و حيثما وجد على أرض الجزائر، ومن ثم تصور الشاعر هذا الشعب العظيم يعانق نيران العدو ويتلظّى سعيرها بل جعلها لباسا يتلحّفه، فنرى في هذا التعبير الاستعاري الجميل والمعبر عن معنى جليل. فقد وفق الشاعر في التصوير عبره توفيقا جيدا، ثم يعود لتصوير رسالة الجندي الجزائري في المعركة فيقول:

سقوا عدوّهم من سيفهم سقرا حربا ضروسا و ما أدراك ما سقر

وصارعوا طائرات الخصم حاضنة شرَّ القنابل يرميهم بها البطر

فعانقوها وما هانوا وما ضعُفوا وما استكانوا وكانوا الصّبَر فانتصروا[21]

استطاع الشعب الجزائري الباسل أن يلحق الهزيمة بالعدو ويذيقه العذاب المهين وقد أوْعد الله به الكافرين.

إنّ الشاعر كان متحكما في ناصية اللغة ، انطلاقا من الألفاظ التي يختارها ثم يؤلف بينها فتبدو ملتئمة في سياق النظم معبرة تعبيرا فنيا محكما: فانظره وقد اختار عبارة" **سقوا عدوهم سقرا** " إنّ هذه الهزيمة التي أذاقوا مرارتها العدو هي من قبيل ما أوعد الله به الكافرين في قوله سبحانه "**سأصليه سقر**" (المدثر،26). ولكن الشاعر أفاد من التعبير القرآني، لكنه في الوقت ذاته لم ينف فعل الإرادة البشرية التي تصر على الانتصار. فأبان أنّ إذاقة العدو تكون من السيف بوصفه أداة من أدوات

الحرب – وكما ترى – فإن (من) البيانية أفادت أنّ السلاح لا معنى له دون جندي جسور . ثم أعقب الجملة الأولى جملة بيانية أخرى ، فقال **"حربا ضروسا وما أدراك ما سقر"** وبها أبان أن مفعول سقوا: (سقرا) في الجملة الأولى و تأتي الجملة الثانية بيانا للأولى لتُفْهِمَنا أن (سقرا) ليست يوم القيامة التي أوعد الله بها كل كافر وظالم بل هي **"سقر"** التي صنعها المجاهدون الجزائريون بالحرب التي خاضوها على العدو - دون هوادة . وإذا أثنى الله تعالى على جهنم التي أعدها لأهلها، فإن أبا سروريجد الثناء عينه لجهنم التي أوقد نارها الجنود البواسل . وبه وظف الألفاظ القرآنية لهذا الغرض لفظا و معنى- كما هو بيّنٌ في قوله تعالى **" وما أدراك ما سقر"** (المدثر،27).

ثم ينتقل الشاعر ليبيّن للمتلقي كيف يتحدى المجاهدون العدوَّ في ساحة الشرف؟ إنهم يعانقون القنابل وما عرَف الوهَن أو الاستسلام إلى نفوسهم سبيلا وما عرَفوا طريقا إلى التقهقر والتناكص، بل كانوا يتقفّون أثر العدوّ ويبحثون عنه لمنازلته في ساحة الشرف .

و نعود لنقف وقفة متأنية حول معانقة المجاهدين النارَ – كما أبداها الشاعر. فنقول : إنّ المُعَانقة -ههنا- ليست من قبيل الصورة النّمَطية، بل هي من قبيل التشريع اللغوي الذي يضيف للتركيب خصوصيته التي تجدها في التمييز؛ إذ المعانقة لا تعدو أنْ تكون للحظاتٍ. بيْد أنّ اللباس يلامس الجسد بصورة مستمرة دائمة حال ارتدائه. فدلّ لفظ (لباسا) في سياق النظم وقد ورد (تمييزا) أنّ الجزائري الذي آمن بالحرية أملى عليه إيمانه أنْ يجعل النارلباسه. وكما نجد جمال التعبيريتحقق من وجهة ثانية تمثلها الجملة الحالية قوله (وهي تستعر) و المعنى أنّ مواجهة الجزائري

النارَ، لم يكن آنيا أو لساعة من نهار، بل ظل يتلحفها وهي تشتعل . وهذا يؤكد معنى اضطراد الإصرار و المصابرة على الجهاد و التطلع عبرهما إلى النّصر. ولذلك فليس عجبا أن يكون الثمن باهظا ويتقدم مليون و نصف المليون من الشهداء، إيمانا منهم بأنّ الجزائر عطشى للدماء؛ فأمطروها دما حتى صارت مخضرّة، بعد أن كانت محترقة وصارت طَروبا بعد أن كانت مكفهرّة وفي هذه المعاني قال أبو سرور :

لله قوم -على حرب العدا - وُلدوا فعانقوها لباسا وهي تستعر
مليون شَهْمٍ من الأبطال قد قُتِلوا في نيل حرية حبّذا الوَطَر
قالوا الجزائر عَطْشَى للدما شرفا فأمْطَروها دمًا فاخضرَّت الجُزُر

ونلحظ دقة استعمال الشاعر الألفاظ و نجاحه في نظمها، في السياق الذي ترد فيه – كما في قوله:

لله قوم -على حرب العدا- ولدوا فعانقوها لباسا وهي تستعر [22]

إنّ الملاءمة كائنة بين الولادة و المعانقة، و الجملة الاعتراضية -على حرب العدا- تجدها في بداية السياق مشدودة الصلة بالجملة الحالية (وهي تستعر) و أما اختياره لفعل (خالوا) فالفعل في هذا النظم يشرّع له الشاعر معنى جديدا ؛ فلم يعد بمعناه الطبيعي المتعارف عليه وهو (الشك)- بل أعطاه معنى الظن القلبي، وبدا ذلك حين ميّزه بقوله (شرفا) فتأمّله (خالوا الجزائر عطشى للدما شرفا).

ولما كان هذا اعتقادا قلبيا و إيمانَ عقلٍ وعقيدة ؛ فالنتيجة أنْ جَعَل المجاهدون الجزائر ترتوي بدمائهم.

إن اللفظ الاستعاري و التمييز -ههنا - أبديا زُهد الجزائريين في الحياة ماداموا يرون الجزائر هي الأمل و الهدف و الغاية المنشودة . و هذا التعبير

هو من قبيل الاقتصاد اللغوي. وإحكامُ النظم ودقته تجدهما من وجهة أخرى ، وهي فاء السببية التي تأتي في هذا السياق لتُبدي النتيجة والمحصّلة (فاخضرّت الجزر). فقد كانت عطشى، فأُمْطرت دما. وبذلك استعادت سيادتها وافتكّتها بجدارة وصارت الجزائر مخضرّة . ومن قبلُ كانت أرضا محروقة بفعل العدُو، وقد انتهجها سياسة- كما لا يخفى- وبالنصر والاستقلال أصبحت مملوءة بالحركة حافلة بكل ما هو جميل.

ثم يعرج الشاعر ليبيّن أنّ الذين أوتوا هذا لإصرار كله، وتحلوا بتلك الصفات السابقة صاروا همُ الصبر. و ماداموا على تلك الأخلاق العالية والإقدام العجيب، فلا شك أنّ الله ناصرهم، ثم بيّن أبو سرور أنّ مَنْ يَمُتْ في سبيل الله ، أحرى أنْ يُعّزَز ويُكَرّم ويكون نموذجا يُحتذى في صناعة المجد ، وفي تحقيق كل ما هو سامٍ وشريف .

ثم يلتفت إلى خطاب فرنسا الظالمة الطاغية المستبدّة.و الخطاب ههنا يرد في أسلوب إنشائي فيقول:

يا غاشيا أرضنا حربا و مغتصبا ظُلما ألمْ تُغْنكَ الآياتُ و النذر

أمَا قرأتَ عن الماضي صحائفنا بأنّها الموتُ لا بردٌ ولا خَوَر [23]

نادى الشاعر العدوّ الغاشم وكثّف الألفاظ الدالة عليه فقال :

(يا غاشيا أرضنا حربا ومُغتصبا ظُلما). وهذه الطرائق مجتمعة مارسها الفرنسيون لإذلال الشعب الجزائري؛ فقد اغتصبوا الأرض ظُلما وعلُوا وزرعوا أبناءهم فيها بالحرب ،واغتصاب الأملاك، وبمحاولة ثنْي الشعب عن الالتفاف حول ثورته بكل الطرق. ولكنْ هيهات تُجدي وسائلهم نفعا ، أمام شعب صمَّمَ على الحياة بعزّة أو الموت بكرامة. ولذلك سأل الشاعر العدوَّ محتقرا (ألمْ تُغْنِكَ الآياتُ والنذر؟).

ثم ينتقل إلى استدعاء الماضي: أعلاما و مواقف و تاريخا فيقول :

أمَا قرأت عن الماضي صحائفنا بأنّها الموتُ لا برْد و لا خَوَر

نحن الألى دَوَّخوا الدنيا كما هويت رماحنا لا كما شاءت لنا عصر

ألذُّ شيءٍ على الأحرار موتهم في عزّهم نطق الرصاصُ لا الوَتَرُ [24]

ذكّر الشاعر فرنسا بسنام الإسلام وذروته وهو الذي به تحقق عز الإسلام و المسلمين؛ إنه الجهاد في سبيل العقيدة و الوطن. لخص أبو سرور ذلك كله بأنّ المسلمين كتبوا صفحات تاريخهم بالجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق ولم يسجلوها بالخضوع والخنوع للأعداء! وهم من سلالة أصحاب بدر، أعطوا درسا حيّروا فيه الورى بالطريقة التي اختاروها وبالمنهج الذي اخترعوه وهو إعلان الحرب على العدوّ بلا هوادة إنهم وجدوا في الموت لذة لا تُضاهى، فعشقوا الشهادة واتخذوا من رنّة البارود وزنا لرقصتهم. وتحية لتلك العزة وذلك الشموخ دَوَّى الصاروخ عاليا وسكت الوتر!؟

وبعد هذا الوصف الجامع لِمَا أبداه الشعب الجزائري من تحدٍ لفرنسا عاد الشاعر يطلب إليها أنْ ترد على حُجَجِه التي قدمها -إذا كان في مُكْنتها أن تجيب!- ثم يعفيها من الإجابة ساخرا (وما جواب قتيل ما له أثر!) ويقرر الشاعر حقيقة مفادها: إنّ الذلّ لم يُخْلَق للأحرار لكنّه خليق بالظالمين وحريٌّ بالمعتدين. ثم يخيّر الذين ظلموا: إمّا أنْ يفارقوا الدنيا بضربة لازب .ومن شاء أن يعيش منهم، فلْيعلمْ أنّ البطرَ و الادّعاء لا ينفعان أمام المدفع والبندقية. وفي هذه المعاني مجتمعة قال أبو سرور:

فيا فرنسا أجيبي ما أقول به وما جواب قتيل ما له أثر

لم يخلق الذل للأحرار في زمن لكن لمن ظلموا الأحرار أو بطروا

فمن يشأ فارق الدنيا بمدفعنا ومن يشأ العيش لم يطمح به البطر

وينهي الشاعر قصيدته بأنْ تحيا الجزائر عزيزة سعيدة. وكم كان يرجو أن لو كان بمعيّة إخوانه و الحرب حامية الوطيس فقال:

تحيى الجزائر في عزٍّ و في شرف سعيدةً وعدوُّ الله مندحر

يا ليتني معكم و الحرب كاشرة عن نابها وبكفّي الصارم الذكر

وهكذا اتضحت معالم الحب ودلائل التقدير و الإجلال للشعب الجزائري من قِبَل هذا الشاعر، وقد استطاع بحسّه المرهَف وأدبه الفيّاض أنْ يحقق جمال المعنى وجلاله في الإطار التراثي للقصيدة العربية، التي تؤكّد عمق التجربة والتحكم في اللغة. و الموهبة هي الكفيلة بتحقيق هذا النجاح. و في كل وقت وفي كل حين.

المحور الثالث: الشاعر الدبلوماسي

وتأتي الدبلوماسية لتلعب دورها في التعبير عن التكامل الوحدوي بين الشعوب العربية، انطلاقا من أنّ العروبة ثقافة - كما يقول الدكتور زكي نجيب محمود - وهنا أقف وقفة احترام وتقدير للدبلوماسي المحنّك والأديب الشاعر، سعادة السفير الأسبق لسلطنة عُمان في الجزائر، الأستاذ هلال السيابي [25]، وقد مثّل السلطنة في الجزائر أحسن تمثيل ووجدنا آثار ذلك التمثيل في الثناء الذي كان يقرؤه الزائر لسفارة السلطنة من المثقفين والشعراء والكتاب وغيرهم. بل وجدت من حدثني وكان يكرر الثناء ولا يمل؛ كون الثناء في حق السفير الأنموذج حلو المذاق في فم مردده. سمعت عن الرجل، لكن حينما قرأت قصيدته « وداع الجزائر « وجدتها تلخّص ما أودّ أن أشرك القارئ وأطلعه عليه؛ لذلك سأقف عندها الوقفة القمينة بها .

قسّم الشاعر هلال السيابي قصيدته السالفة الذكر إلى أربعة لوحات، تناول في اللوحة الأولى تعلّقه بالجزائر التي أسِرتْه بجمالها الأخّاذ. نَظَم ذلك في أسلوب تركيبي بديع، كما تحدث عن ذكرياته التي عاشها في وادي ميزاب؛ بوصفه مَعْلما من معالم النهضة الثقافية، ومَعْقلا من معاقل الثورة الجزائرية وفي معهد الحياة « تخرجت كوادر جزائرية وكوادر عُمانية ومن هنا كان اللقاء.

أما اللوحة الثانية، فقد ظل الشاعر مُعَلَّقا قلبُه بالجزائر، ولا يحسَب الرحيل عنها إلى عُمان رحلة بلا عودة، بل يرى وداعَه إياها ضربا من العبث؛ كونه يتنقّل كالطفل بين أمّهاته، يودّع هاته لتستقبله تلك، في الوطن العربي الكبير .

أما اللوحة الثالثة، فيتحدث فيها مرة أخرى عن جمال الجزائر وقد شُغِف بها حبا، ثم يعرّج إلى الثورة الجزائرية يذكرها بوصفها المرجعَ الذي يعود إليه، مَن شاء أنْ يتحرّر مِن الغُزاة؛ كونها الملهمَ، وتاريخها دليل يعود إليه كلُ من يسعى إلى الحرية والانعتاق .

أما اللوحة الرابعة، فضمّنها تجربته مع المحنة التي عاشتها الجزائر في العشرية السوداء –لا أعادها الله- وابتُلي الشاعر البلاء الحسن، ومع ذلك كان بُلبلا وديعا وطيرا خفيفا، يتنقّل بين أغصان الشجرة الوارفة الظلال، وفي آن معا، كان الصقر الذي يُطْلَب للمهام الصعبة فيجيب بأنّه لها والدبلوماسي المحنّك ؛حين يُسْأل عن المحنة فيجيب بأنّها المنْحة، وهكذا الرجال.

هذا مُلخص ما ورد في القصيدة وقد تضمّنت تجربة جديرة بالتحية والتقدير، وآية شاهدة على الدبلوماسي الواعي والشاعر المبدع.

ومن حق الشاعر على القارئ أنْ يضيف إلى نصه ما ينبغي أن يضاف إليه؛ ليس على سبيل الإضافة الاعتباطية، بل يَلجُ النصّ ليقف على معالم الجمال فيه ، ثم يقرأه قراءة تنطلق من اللغة لتعود إليها . وذلك ما سنحاول القيام به.

يقول الشاعر هلال السيابي في اللوحة الأولى مخاطبا الجزائر:

بيني وبينك عشق عابق وندي فلست عنك – وإن أرحل- بمبتعد
ولي بواديك أصداء مؤرجة تنساب كالعطر بين القلب و الكبد
ترف منها غوالي الذكريات فما إلا الروائع تحكي روعة البلد
تكاد تلك السهول تعرفني لحْنا يَمَسُّ عذارى الحي بالغيد
أهفو إلى ظلها الممدود منشرحا فيرجع القلب مزهوًّا من المدد
فها هنا وهنا كانت مجالسنا مع الخمائل بين الزهر و البرد
وها هنا وقفة كانت لمركبنا يشدها المجد مزهوا يدا بيد [26]

استهل الشاعر بما يؤكد تلك العلاقة الوطيدة ، والوشيجة الحميمية بينه وبين الجزائر. ولم يعتمد التعبير الخطابي الذي يبدو في غاية الضحالة وضيق الأفق، بل وظف الكلماتِ الدالةَ على المحبّة ومنها: (العشق ،الندي، العابق).

وإذا كان العشق-على هذا النحو- فإنّ البينونة على ما بين الشاعر ومعشوقته تظل وشائجها مترابطة لا يعتريها الوهَن و الضعف. لذلك لم يعتمد الشاعر الظرفَ المُعَلَّق (بيْن) بل تخطّاه واستعاض عنه بقوله: فلست عنك – وإن أرحل- بمبتعد. فدلت الجملة الاعتراضية أنّ الشاعر، وإنْ رجع إلى موطنه الأصلي عُمان ، فقلبه معلق بالجزائر، ويحيا على ذكرياته فيها. وهيهات أن ينساها وقد عشقها وأحبها حُبا منقطع القرين أو يكاد.

ثم يسوق تجربته ويجعلها في وادي ميزاب، فيذكره بوصفه القاعدة الخلفية للعروبة و الإسلام، ويجد من أهله الدفء و الحنان والكرم الحاتمي. وتلك صفات جُبلوا عليها وهي فيهم ديدن وطبيعة. صاغ الشاعر هذا الانطباع بتلك الأصداء التي تنساب كالعطر بين القلب و الكبد.

وهاك تراه يشرّع للغة على مستوى الوظائف التي أحدثها، فالأصداء- عادة- ما تكون قوية بيْد أنها – ها هنا- على غير طبيعتها (منسابة) فتحوّل بها من الارتداد إلى الانسياب تمهيدا للعطر، لا لغيره من السوائل لِمَا له من قيمة ذاتية وأخرى تعبيرية .

وأين ينساب هذا العطر أللجسم كله؟ لا، بل ينساب بين القلب والكبد. إنّ اختيار الشاعر لهاتين المُضغتين من الجسم اختيار موفق؛ ذلك أنّ القلب مناط نظر الرب سبحانه، ومَكْمَنُ العشق السابق الذكر والهُيَام المُوَزَّع بين ثنايا القصيدة. ولا معنى للحب خارج القلب، وفي هذا المعنى يقول الشاعر مصطفى بكر بن رحمون:

والحب إنْ لم يكن في القلب منبعه فهو محض تقليد وبهتان

والشعر إنْ لم يكن في القلب مضجعه فهو محض تقطيع وأوزان [27]

وأما الكبد فهي المضغة التي تزوّد الإنسان بالدم. وبه فهي البنك المُعَوَّلُ عليه في الضخ، ولذلك عُنِي الشاعر بهما فجعل العطر ينساب بينهما لما لهما من علاقة تدل على الوفاء وأخرى تضْمُنُ الاستمرار.

وللشاعر في وادي ميزاب ذكريات غالية، وفيه لم تقع عينه إلا على ما يروق من الروائع المحكية والمشاهدة، ثم التي عاينها بنفسه- كما قال- وقد أحبَّ الشاعر، هلال السيابي الوادي وهام بجماله حتى نشأت بينه وبين سهوله المخضرة علاقة وطيدة:

تكاد تلك السهول تعرفني لحنا يمس عذارى الحي بالغيد

أما في اللوحة الثانية فيتساءل الشاعر:

أ راحل أنا؟ لا والله لا رحلت روحي وإن جاب في الآفاق بي جسدي

أرض العروبة أرضي أينما ذهبت ركائبي فهي لي كالأم والولد

فما أغادر في أرضي ولا وطني إلا إلى وطني والله أو بلدي

تساءل الشاعر عن رحلة العودة إلى الوطن الأم عُمان؟

يستفهم ويجيب أنّ الرحلة وإنْ كانت، فهي بالجسد لا بالروح؛ حيث تظل روحه وفية للجزائر التي قضى فيها سنوات من عمره، كما تظل هذه الروح وفية لكل مكان عربي؛ فأرض العروبة داره أينما حل أو ارتحل. فهي بالنسبة إليه كالأم والولد يغادر أمه في هذا القطر ليجدها في القطر العربي الآخر تنتظره بدفئها وعطفها وحنانها.

وهكذا يتأكد لنا أنّ العروبة فعل ثقافي، يمارسه المبدع ويحافظ على استمراره الدبلوماسي، وقد جمع الشاعر، هلال السيابي بين الوظيفتين فكان مُثَقفا يشعر بانتمائه ويدرك الدور الذي يجب أن يلعبه في العلاقات العربية العربية.

أما اللوحة الثالثة، فخصَّصَها للجزائر وخاطبها لحظة الوداع فقال:

جزائر المجد إن أرحل فما رحلت روحي ولا ملهمات الشعر من كبدي

هذي الفتون الغوالي فيك تسكنني فمن لنفسي بالترحال من خلدي

سحر الطبيعة يغريني بصبوته فكيف بالمجد فوَّارا من الأبد

عشقت فيك الرماح السمر مشرعة تردي عن الوطن الميمون كل ردي

عشقت فيك السيوف الزهر لامعة والموت يقطر بين الدرع والزرد

أستغفر الله ما كانوا سوى نفر بيض الأسرة والأعراف والصيد

أضواء عقبة ما زالت بأوجههم شهبا تضيء وخلقا وارف الرشد

خاطب الشاعر الجزائر وعرّفها بأنّها المجد؛ كونها صنعته وعُرِفتْ به حتى صار اسمها مقرونا به، ثم عاد يقلب صفحات الثورة الجزائرية فوجدها مكتوبة بالدماء و الأشلاء، فعشق الجمال و الجلال معا فقال: أنا إن أرحل جسدا عنك يا جزائر، فستظل روحي تسكن ديارك و ستظلين مصدرا من مصادر إلهامي الشعرَ؛ لأنّه يسكنني كل شيء فيك فاتن وجميل، وأنّى للنفس أن تتفصّى عن وعائها. وكل شيء منك صار من مُكوّنَاتي الذاتية. لذلك فإنّ الرحلة الجسدية لا معنى لها، مادام القلب مُعلقا بمَن تيّمه .

عشق البطولة - في تصوّر الشاعر- ليس في السلاح ذاته لكن في حسن توظيفه واستعماله ، وبه عشق الموت وقدّم الجثث و الأشلاء دفاعا عن الوطن ؛ لأنها خامات يُنْسَجُ بها المجدُ وتُبْنَى على هاماتها دعائم النصر ودروب الانتصار. يقول:

عشقت فيك الرماح السمر مشرعة تردي عن الوطن الميمون كل ردي

عشقت فيك السيوف الزهر لامعة و الموت يقطر بين الدرع و الزرد

هكذا بدأ الشاعر قصيدته بالحب الذي يكنّه للجزائر، وأنهاها بما يؤكّد أنّ الحب لا يتجزأ ولا يتعدد، كما أنه لا يتأثر بالقوارع و النوازل ولا يعبأ بالزلازل، فكان كروانا صقرا وبُلبلا غضنفرا. دخل المحنة من أجل المعشوقة التي اكتوى بنارها فوجد في ذلك لذة الانتصار عن الذات و عن الآخر. وبه فإنّ الشاعر هلال السيابي كان شاعرا شاهدا، وفنانا مؤرخا للعلاقة الجزائرية العُمانية المتينة والتي لا تزيدها الأيام إلا تماسكا وتطورا نحو الأفضل.

ومثلما وقف الشاعر على معالم النصر وأسبابه وقف على الجمال والآيات الدالة عليه فلخّصها في أسلوب شاعري بديع ، ثم عاد يحدثك عن

عشق الآخر؛ لأنه لم يعشقه لذاته بل عشق فيه بطولته . وهكذا العربي يحب ولكنه يعشق القوي أو كما يقول الدكتور علي زيعور» إن العربي كالمرأة تحب زوجها، لكنها تريده قويا». وكذلك الشاعر مع الفارق يحب من يحقق أمانيه وطموحاته، وكذلك كان المتنبي مع سيف الدولة الحمداني؛ حينما وجده يُحَقّق انتصاراتِه على الروم، عكف يمدحه، وجعل شعره سجلا لبطولاته التي كان يحققها على الأعداء،حتى صار وثيقة لا يمكن الاستغناء عنها عند التأريخ لسيرة سيف الدولة.

وهذه لفتة وددت التنبيه إليها كون الشاعر هلال السيابي عاشقا للبطولة مُتَيَّما بمن وجده يحققها. وليس ذلك غريبا عليه وهو الشاعر العُمَاني المُلْهَم ، أعطى آباؤه وأجداده دروسا للغزاة الذي مروا من عُمان، الوطن المفدّى. وسجلها التاريخ بأحرف من نور لا ينساه المُعتدي، ومرجعا تستلهم منه الأجيال الدروس لتنطلق منها وهي تساهم في بناء عمان، وفي عهدها الزاهر، عهد حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس المعظم يحفظه الله ويرعاه.

أما بعد فقد تبيّن من هذه الدراسة أنّ العلاقة العمانية الجزائرية تضرب بجذورها في الأعماق، وقد جلّى هذا التقارب حضور الشاعر العُماني في الجزائر، مُهْتمًا عاشقا، ومغتمّا منفعلا. واتّضح أنّ الشعر وثيقة من الوثائق التي لا يمكن تجاهلها أو الاستغناء عنها من قبل الباحث الاجتماعي أو المؤرخ والسياسي.

وأجمعت القصائد موضوع الدراسة عن الحب المتبادل بين الشعبين الشقيقين العُماني والجزائري. وقد ترجم هذا الحب ، وذلك التعاون الثقافي المثمر وتجلى في تخريج الطلبة العمانيين في معهد الحياة . ويلعب مركز

السلطان قابوس للثقافة الإسلامية) معهد القضاء الشرعي (سابقا الدور نفسه؛ حيث يتخرّج فيه الطلبة الجزائريون. وقد شهد الشعراء جميعهم بالمجد التليد والتاريخ الحافل بالبطولات لجزائر التاريخ و الثورة، كما تبيّن أنّ الشعراء سفراء بلا أوراق اعتماد، وكانوا وما يزالون هم الصوت العربي الداعي إلى الوحدة والتضامن بين الشعوب العربية؛ لأن العروبة ثقافة، بل هي الفعل الثقافي الذي مازال يؤكّد هوية العرب وانتماؤهم .

كما تبيّن من خلال هذه القراءة، أنّ النص الشعري في صورته التراثية بمُكْنَته معالجة القضايا التي يتناولها، ولا يضيق بها ذرعا بل تتسع لها آفاقه بمكوّناته التي يقوم عليها. وقد لمسنا هذا الاستيعاب في نص أبي سرور، ونص هلال السيّابي مما حدا بنا إلى الوقوف عند كلٍ من النّصيْن وقفة دعت إليها الأدبية التي شاعت معالمها في النصين معا، كما اتضحت مقدرة الشاعرين على التصوير والتشريع في آن وفق رؤية تحدد المعالم الأسلوبية الخاصة لكل منهما .

هوامش و مراجع

1 - ينظر سجل مكتبة القطب، اطلعت عليه في جوان 1984 ببني يزقن، وقد أسعدني الاستقبال الذي حظيت به من القيمين على المكتبة -يومها- ، وبالمناسبة أدعو بالرحمة لساحب الفضيلة الشيخ صالح بزملال الذي غمرني بعلمه وكرمه ، كما أشكر ابنه الأستاذ أحمد. وقد راعني ما كتبه الأعلام الذين زاروا المكتبة من رؤساء و سفراء عرب و أجانب .

2 - ينظر ديوان أبي مسلم ،وزارة التراث القومي و الثقافة 1987 من ص 314 إلى 327.

3 - ناصر بن سالم عديّم الرواحي , ديوان أبي مسلم ص 316 وزارة التراث القومي و الثقافة, سلطنة عمان 1987.

4 - ديوان أبي مسلم، ص 320.

* يشير إلى وادي ميزاب حيث يتركز أبناء المذهب الإباضي الكرام

5 - ديوان أبي مسلم، ص 320

6 - لقاءات الشيخ ناصر مرموري- رحمه الله- مع طلبة جامعة السلطان قابوس، والزيارات التي كان يقوم بها إلى محافظات السلطنة .

7 - للدكتور محمد ناصر حضور متميز في هذا المعقل الثقافي و قد تخرج على يديه طلبة كثيرون في عُمان ، إضافة إلى دوره العلمي الرائد ويتمثل في المؤلفات التي خصّصها للمذهب الإباضي و أعلامه فضلا عن مؤلفاته عن شعراء عمان وأدبائها وعلمائها .

8 - زيارة العلامة سماحة المفتي العام للسلطنة، حمد بن أحمد الخليلي للجزائر في مناسبات كثيرة . وهو شخصية علمية سامقة ، كان لي شرف لقائه في زيارة لمكتبه في ماي 2013مع أساتذة من الجامعة الجزائرية، فله الشكر على حسن الاستقبال الذي حظينا به

9 - سالم بن حمد بن سليمان الحارثي , يعود نسبه عبر التاريخ إلى الحارث بن عبد الله المطلب الهاشمي القريشي, ولد سنة 1351 هـ / 1933 م في بلدة المضيرب بالمنطقة الشرقية، ينظر ديوان الحارثي ص 3 مطابع النهضة عمان 1995

10 - من مقدمة القصيدة بتصرف.

11 - دكتور رفعت الشرقاوي، فلسفة الحضارة الإسلامية. مكتبة الشباب ، القاهرة1984

12 - ديوان الحارثي ص 16.

13 - ديوان الحارثي ص 16 17-

14 - ديوان الحارثي ص 16 17-

*- ينظر مفدي زكرياء ديوان اللهب المقدّس الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1983

15 - الشيخ عبد الله الخليلي، من وحي العبقرية، ص275

16 - الشيخ عبد الله الخليلي، من وحي العبقرية، ص275

17 - وقد أمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام أن ينظر إلى الجبل؛ كونه الجماد الأمثل. قال تعالى: "فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا"(الأعراف،143)

18 - تجد هذا المعنى في قول المتنبي يصف سيف الدولة و هو يتفقد جيشه ميمنة وميسرة وصدر

ضحوك إلى الأبطال و هو يروعهم وللسيف حد حين يسطو و رونق.

19 - القصيدة مخطوطة و أشار إليها الطالب سعيد بن سليمان العسائي في دراسته, تطور الأبعاد العربية و الإسلامية في الشعر العماني الحديث مخطوط رسالة ماجستير – قسم اللغة العربية – جامعة السلطان قابوس 2001.

20 - هو أبو سرور حميد الله بن حميد الجامعي ولد في منتصف العقد السادس من القرن الرابع عشر للهجرة، نشأ بولاية سمائل و تتلمذ على كبار أعلامها. بدأ ينظم الشعر في سن مبكرة تكوّن تكوينا علميا رصينا في علوم الشريعة و علوم اللغة , تولّى التدريس ثم القضاء، تنوعت مؤلفاته بين علوم اللغة و علوم الشريعة فضلا عن نبوغه في نظم الشعر. وافته المنية يوم 21سبتمبر2014.بلغنا نبأ وفاته ونحن نراجع البحث قبل إرساله للمجلة .رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

21 - ديوان أبي سرور 6/2

22 - ديوان أبي سرور 2/6 و7

23 - ديوان أبي سرور 2/6 و7.

24 - ديوان أبي سرور 2/6 و7.

25 - هلال بن سالم بن حمود السيابي ولد في مدينة نخل بسلطنة عمان سنة 1947عمل في التدريس, وتقلد بعد ذلك العديد من المناصب القيادية في الصحافة و الإعلام وكان آخرها سفير للسلطنة في الكويت ثم الجزائر فدمشق

26 - موسوعة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري, مختارات من الشعر العربي الحديث في الخليج و الجزيرة العربية، المجلد الخامس، الأمانة العامة للجائزة- الكويت1996ص 507 – 508

27 - مصطفى بكر بن رحمون ، ديوان مصطفى بكر بن رحمون ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1982

جهود الأفراد والجماعات في وضع معاجم مصطلحات الحاسوبيات في اللغة العربية.

الأستاذة : مسعودة بن النوي.

جامعة: الجزائر - بوزريعة -2.

ملخص:

نحاول في هذا العمل عرض الموسوعات والمعاجم المتخصصة في مجال الحاسوبيات في اللّغة العربية، ووصفها باختصار، والتي نظن أنها المعاجم الموجودة في هذا المجال، المؤلفة على الورق، والموجهة إلى المتّخصصين في مجال الحاسوبيات ومستعملي مصطلحاته في المدة الزمنية ما بين سنة 1990م 2011م، بغض النّظر عن تلك المعاجم المصورة التي يمكن العثور عليها في شبكة الإنترنت. وقد رتبنا هذه المعاجم بحسب سنة نشرها، وبحسب مؤلفيها إن كانت صادرة عن مركز أو مجمع علمي نصنفها ضمن جهود الجماعات، وإن ألفّها مؤلّف واحد ندرجها ضمن الجهود الفردية، والغرض من هذا العمل محاولة الاطلاع على جهود الأفراد والجماعات في وضع معاجم مصطلحات الحاسوبيات في اللغة العربية، لأهمية هذا الموضوع ليس للمتخصصين في هذا المجال فقط، بل حتى التلاميذ في

المدرسة وعامة المثقفين الذين هم بحاجة لهذه المصطلحات طالما صار الحاسوب ولوازمه من الوسائل الضرورية والمستعملة يوميا لدى هذه الطبقات من المجتمع.

1) جهود الأفراد:

1.1) معجم مصطلحات الكمبيوتر والمعلوماتية 1994م:

عام أربعة وتسعين تسع مائة وألف (1994م)، ألّف إ. و. حدّاد مؤلّفين الأوّل عنونه بـ: معجم مصطلحات الكمبيوتر والمعلوماتية (انجليزي – فرنسي – عربي)، والثّاني قاموس مصطلحات الكمبيوتر والمعلوماتية (فرنسي - انجليزي – عربي)، وكلا العملين صادر عن مكتبة لبنان.

وقد ألّف هذا المعجم استجابة لأهمية تكنولوجيا الكمبيوتر والمعلوماتية في العصر الحديث، إذ يرصد مصطلحات هذين العلمين، حتّى يسهم في تعميم المعرفة العلمية في العالم العربي.

ورتّب ترتيبا ألف بائيا بمراعاة اللّغة الانجليزية، فعلى يسار الصفحة رتبت المصطلحات باللّغة الإنجليزية ويقابلها في وسط الصفحة نظائر مفاهيمها باللّغة الفرنسية ليقابلهما من جهة اليمين المصطلح المقابل باللّغة العربية. وقد جاءت مصطلحات هذا المعجم على هذا الشّكل في حوالي ثمان وثلاثين صفحة بعد الثلاث مائة، من دون إيراد لشروحات مفاهيمها باللّغة العربية.

2.1) معجم مصطلحات الحاسب الآلي 1999م:

معجم من الحجم الصغير، ثنائي اللّغة (انجليزي – عربي)، وضعه فاروق سيد حسين، وهذا المعجم من منشورات دار راتب الجامعية،

بيروت – لبنان، صدر سنة 1999م، جاء مؤلّفا في مائتين واثنين و ستين (262) صفحة، مُلْحَقًا بأهم المراجع، التي اعتمد فيها على أربع منها باللّغة الانجليزية، ومرجع واحد باللّغة العربية هو قاموس مصطلحات الحاسبة الالكترونية لفراس حسون علي. واستهل معجم مصطلحات الحاسب الآلي بمقدّمة من توقيع واضعه يقول فيها: « بعد زيادة التعامل مع الحاسب الآلي وأعقب ذلك نمو استعمال شبكة الانترنيت في جميع أنحاء الوطن العربي، فقد ظهرت تعبيرات إنجليزية في هذا المجال قد تختلف عن معانيها المتعارف عليها لدينا وليست موجودة في القواميس المعتادة. وقد جعل هذا الأستاذ راتب مدير عام دار راتب الجامعية أن يكلفني بوضع هذا الكتاب عن مصطلحات الحاسب حتّى يمكن سد هذا النقص اللّغوي لدى بعض المستعملين للحاسب.»[1]

وقد رتبت مصطلحات هذا المعجم من اليمين إلى الشمال ترتيبا ألفبائيا، حيث أخذ فاروق سيد حسين بعين الاعتبار في ترتيبه هذه المصطلحات اللّغة الانجليزية، إذ يورد من الشّمال بخط سميك وبلون أسود داكن المصطلح باللّغة الانجليزية ويقابله من اليمين المصطلح المقابل باللّغة العربية، بخط سميك وبلون أسود داكن أيضا، ثم يشرح مفهوم المصطلح باللّغة العربية في بضعة أسطر، وهكذا يرتب بقية المصطلحات الأجنبية، وإن لم يجد مقابلاتها باللّغة العربية يعمد إلى شرح مفهومها من دون إيراد المقابل العربي.

3.1) معجم مصطلحات الكمبيوتر (عربي - فرنسي – انجليزي): 1999م

هذا المعجم من إصدارات سلسلة المعاجم العلمية في عددها التاسع، أعدّه خليل أحمد خليل، وهو مؤلّفٌ من منشورات دار الفكر العربي، بيروت – لبنان، صدر في طبعته الأولى سنة 1999م. معجم من الحجم الصّغير، ثلاثي اللّغة (عربي – فرنسي – انجليزي)، بلغ عدد صفحاته مائتين وواحد وثلاثين صفحة (231)، رتّبه الباحث ترتيبا ألفبائيًا من الألف حتى الياء باللّغة العربية حيث أورد المصطلح باللّغة العربية من اليمين بلون أسود داكن، وقابله المصطلح الأجنبي باللّغة الانجليزية بلون أسود داكن أيضا في وسط الصّفحة، ثمّ في أقصى الشمال يورد المصطلح المقابل باللّغة الفرنسية باللّون نفسه الذي وضعت به المصطلحات المقابلة بالانجليزية والعربية، ثمّ يسرد المصطلحات المشتّقة من الكلمة نفسها مرتّبة ترتيبا ألف بائيا باللّغة العربية وما يقابلها باللّغتين الانجليزية والفرنسية، ويورد شرحها باللّغة العربية باختصار. وقد استعمل فيه شرح بعض مفاهيم المصطلحات الواردة فيه بالتّوضيح برسومات.[2]

4.1) معجم شبكات الحاسب (عربي - انجليزي):

ألّف هذا المعجم وائل إبراهيم الغنيمي، وهو مؤلَّف من منشورات دار راتب الجامعية، بيروت - لبنان، ولم ترد سنة نشر المعجم في معلومات نشره. وهو معجم من الحجم المتوسط، سميك، جاء في حوالي أربعين صفحة بعد الست مائة (640)، مما يدّل على كثافة المادة المصطلحية فيه، وقد كتب على ظهر الغلاف، ما يلي:

• أكبر مرجع في شبكات الحاسب باللّغة العربية.

• شرح وافي لأحدث التّقنيات الشّبكية.

• عدد كبير من الأشكال التوضيحية والجداول الإرشادية.

وقد اعتمد في ترتيب مصطلحاته باللّغة الانجليزية على التّرتيب الألف بائي. واستهل هذا المعجم بتقديم يتحدّث فيه مؤلّفه عن الصّعوبات التي يتلقّاها القارئ في فهم المصطلحات المستغلقة في هذا المجال يقول: « سعيا منا لإيجاد حلّ لتلك الصّعوبات فقد حاولنا جمع أكبر عدد من المصطلحات الخاصة بشبكات الكمبيوتر في معجم شامل يشرح ويبسط معاني هذه المصطلحات بلغة عربية بسيطة، وقد استعنا في سبيل ذلك بكمّ هائل من المراجع الإنجليزية من كتب وموسوعات وكذلك العديد من منشورات الشّركات الكبرى المتخصصة في مجال شبكات الكمبيوتر».[3]

وقد ابتدأ المؤلّف من الشّمال إلى اليمين بفهرس للموضوعات باللّغة الإنجليزية، مرتبا ترتيبا ألف بائيا باللّغة الأجنبية أيضا.

أمّا عن متن هذا المعجم الضخم فقد اعتمد مؤلّفه على إيراد المصطلح الأجنبي على شمال الصفحة مكتوبا بخط سميك أسود داكن، ثمّ قام بشرح المصطلح مباشرة باللّغة العربية مستعينا بالمصطلحات الأجنبية الشّائعة لدى المستعمل، كما لجأ إلى التّوضيح ببعض الرّسوم في بعض الأحيان.[4]

5.1) موسوعة مصطلحات الكمبيوتر والإنترنت1999م:

موسوعة ألّفها عبد الفتّاح مراد، مستشار ورئيس محكمة الاستئناف بمصر، متحصّل على دكتوراه في القانون المقارن مع مرتبة الشّرف الأولى،

أستاذ ومحاضر بالجامعات، وقد ورد في الصّفحات الأولى من المُؤَلّف التّعريف بالباحث ومؤهلاته العلمية وخبرته

العملية [5]. حصلت موسوعته على جائزة مؤسسة الأهرام المصرية لأفضل مؤلف علمي موسوعي عام 1999م.[6]

هذه الموسوعة هي مجلّد واحد ضخم، يبلغ عدد صفحاته ألفين ومائتين وستة وخمسين صفحة، طبع طبعتين هذه التي نحن بصدد وصفها الطّبعة الورقية، والطبعة نفسها أدخلت إلى الحاسوب فصارت طبعة مصوّرة.

أمّا عن منهج ترتيبه لمصطلحات الحاسوبيات، فقد رتبت «حسب التّرتيب الألفبائي الانجليزي لمجمل حروف المدخل سواء أكان مؤلّفا من كلمة واحدة أو من عدّة كلمات أو مختصرا».[7] كان يأتي بالمصطلح باللّغة الإنجليزية مرتبا ترتيبا ألفبائيا يورده في أقصى الشّمال ويقابله باللّغة العربية في أقصى اليمين مقابله العربي، وكلا المدخلين - المصطلح الأجنبي والعربي - كتبا بلون أسود، ثمّ يمد سطرا تحت المصطلحين الانجليزي والعربي وتحت السّطر من الشّمال يورد المؤلّف المصطلحات المرادفة للمدخل الرئيس بالانجليزية أو الاختصارات، « وبجوار المصطلح العربي وردت المترادفات العربية المتداولة في مصر وأقطار العالم العربي» [8]، ثمّ يشرح باختصار وبدقة ووضوح، مفهوم تلك المصطلحات، ويستعمل في بعض شرحه التّوضيح بالرّسوم [9]، وقد سهلّ المؤلّف على الباحث في هذه الموسوعة البحث عن أي مصطلح بإيراده فهرسا للمداخل المرجعية باللّغتين العربية والانجليزية، في نهاية الموسوعة « فيختار من رؤوس المواضيع التي في ذلك الفهرس العنوان الذي يمكن أن يدخله إلى الموضوع

الذي يريده أو إلى أقرب المواضيع له». [10] رغم ضخامة هذا المؤلّف وأهميّته البالغة إلاّ أنّنا لم نعتمد عليه في بحثنا لسبب أنّنا حاولنا العمل على معجم موّحد بين أقطار الوطن العربي، فكان اختيارنا للمعجم الموحد في مصطلحات المعلوماتية، حتى نحاول بعدها الوصول إلى مدى توحيد الاستعمال الكتابي للمصطلحات المستعملة في المؤلفات في هذا المجال. وكانت سنة صدور المعجم الموحّد بعد سنة تكريم هذه الموسوعة بعام والمدّة التي حددناها انصب فيها عملنا على ما ألّف بعد سنة نشر المعجم الموحد بعامين فكانت هذه الموسوعة خارجة عن مدونتنا. وقد حاولنا في هذا المبحث ذكر الجهود الفردية والجماعية لتوفير معاجم التّخصص في مجال المعلوماتية.

6.1) معجم المبرق (فرنسي – عربي):2004م

ألف هذا المعجم محمود إبراقن، وهو عضو في هيئة التدريس بجامعة الجزائر (بكلية العلوم السياسيّة والإعلام)، وهذا المؤلّف من منشورات المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، صدر سنة 2004م، ونال جائزة اللّغة العربية لسنة 2001م على إثر المسابقة التي نظّمها المجلس.

فهذا المعجم متخصص في مجال علوم الإعلام والاتصال، موّجه بالدّرجة الأولى للباحثين في علوم المجتمع والاتصال، والعاملين في قطاع الإعلام والاتّصال والثقافة بمختلف مضامينها ووسائطها.

وقد خاض المؤلّف في حقل مترامي الأطراف، ومتشعب المسالك، وهو حقل التنظير والتطبيق في علوم المجتمع، وعدد من فروعها الأكثر تطوّرا وحيوية، ألا وهي علوم الإعلام والاتّصال التي عرفت في العقد الأخير تطوّرا مذهلا، وأصبحت مرادفة للعولمة التي تغطي كوكب الأرض، وتدفق

وسائطها بطوفان من المعلومات المتهاطلة، عن طريق الصوت والصّورة، وشبكات المعلوماتية والبريد الإلكتروني....

وأصبحت مع الذكاء الاصطناعي والهندسة الجينية من أعظم الإنجازات المعرفية، وقاطرة الحداثة والتفوّق في مستهلّ القرن الواحد والعشرين.

ونظرًا لأهمية هذا المؤلّف الجزائري، فقد حرص المجلس مع الناشر محمّد الطاهر قرفي على إخراجه في أفضل صورة ممكنة، وتمكين المعنيين من اقتنائه عبر كلّ أرجاء الوطن وعلى المستوى المغاربي والعربي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذا المعجم ليس متخصصا في مصطلحات الحاسوبيات، بل يشملها ضمن حقل أوسع هو علوم الإعلام والاتصال، لذا فقد أدرجناه هنا للتنويه بأهميته باعتباره معجما يضم مصطلحات الحاسوبيات.

2) جهود الجماعات:

1.2) معجم مصطلحات الحاسبات الالكترونية: 1987م

معجم الحاسبات الالكترونية (إنجليزي عربي/ عربي إنجليزي)، هو مؤلّف صدر عن مركز الأهرام للترجمة بالقاهرة - مصر، في طبعته الأولى سنة 1987م، خاص بمصطلحات الحاسبات الالكترونية (الحاسوب) باللّغتين الانجليزية والعربية، ويتميّز بقدر من الإحاطة يفوق أيّ محاولة سابقة، تحدوه إلى ذلك اعتبارات كثيرة أهمّها:

1 – إيمان المركز بأهمية علم الحاسبات وضرورة استخدام الحاسبات في جميع فروع الحياة الإنتاجية والعلمية والعملية.

2 – الخبرة الطويلة التي دانت للمركز على امتداد ما يزيد عن عشر سنوات من العمل في حقل التّرجمة والتّعريب، ترجم خلالها مئات من

كتب وأبحاث العلوم والتّكنولوجيا، منها العديد في مجال علوم الحاسب الآلي وحدها.

وقد حرص المركز على أن يلحق بكل كتاب منها مسردًا صغيرا بكل ما ورد فيه من مصطلحات عربية مقابلة لنظيرتها الأجنبيّة، كذلك فقد تولى المركز مهمّة ترجمة مصطلحات الحاسب الآلي لبعض كبرى شركات الحاسبات الآليّة.

شرع المركز في الاضطلاع بهذا العمل، وحشد له نخبة من أساتذة الجامعات المتخصصين في مجال الحاسبات وخبراء مركز الأهرام للترجمة والنّشر، وتمّ حصر أكبر قدر من المصطلحات الأجنبيّة في مجال الحاسبات، وتطبيقاتها والتحكّم الأوتوماتيكي، والاتصالات ومعالجة البيانات، واجتهدوا في وضع أدق المصطلحات العربية التي تعبّر عنها.

ضمّ هذا المعجم ما يزيد عن ثلاثة وعشرين ألف مصطلح، وهو ينقسم إلى ثلاث أقسام:

-القسم الأول: انجليزي – عربي.

-القسم الثاني: عربي – انجليزي.

-القسم الثالث: خصصت فيه ست عشرة صفحة تمثّل ملحقا لترتيب المصطلحات المختصرة، وقد رتبت ترتيبا ألفبائيا آخذين بعين الاعتبار ترتيب المصطلحات باللّغة الانجليزية.

2.2) معجم مصطلحات الحاسوب 1995م:

هو معجم ثنائي اللّغة (عربي – انجليزي، انجليزي – عربي)، من إعداد مركز التّعريب والبرمجة، نشرته الدار العربية للعلوم، في طبعته الأولى سنة

1995م، كتاب متوسط الحجم، مرتّب من اليمين إلى اليسار ترتيبا ألفبائيا من الألف إلى الياء آخذا بعين الاعتبار المصطلحات باللغة العربية مرتبة ترتيبا ألفبائيا، وما يقابلها باللغة الانجليزيّة.

وخصصت إحدى وستون صفحة للمختصرات من المصطلحات باللّغة الانجليزية مرتّبة ترتيبا من (A-Z) .وخصصت ثمان وثمانون صفحة رتبت فيها المصطلحات باللّغة الانجليزية ترتيبا ألفبائيا أيضا وما يقابلها باللّغة العربية.

3.2) معجم الحاسوب الموحّد 1998م:

هذا المؤلّف من إنتاج الهيئة العليا للتّعريب، وإصدار سلسلة المعاجم العلمية، في طبعته الأولى سنة 1998م، عن دار الأصالة للصحافة والنّشر بالخرطوم، بالسودان. قام بمراجعته والتّدقيق فيه الأساتذة الدكاترة: دفع الله عبد اللّه التّرابي، وزكريا الحاج علي، وهاشم الأمين مصطفى.

وقد صدر عن هذه السلسلة معاجم متخصصة في مجالات علمية مختلفة، منها: معجم الكيمياء الموحّد، معجم الفيزياء الموحّد، المعجم الهندسي الموحّد، معجم الرياضيات الموحّد، المعجم الموحّد لمصطلحات علوم الأرض.

أمّا عن هذا المعجم فقد جاء في خمس وتسعين صفحة بعد المائة(195)، وملحق بقائمة المراجع المعتمدة فيه. أمّا من حيث الشّكلُ الخارجي فهو من الحجم الكبير والسّمك الصّغير جدّا. كما جاء المعجم مقسما إلى العناصر التالية: التّصدير، مقدّمة المعجم، التّمهيد، (أ) معايير اختيار المصطلح الصادرة عن اتحاد مجامع اللّغة العربية، (ب) معايير اختيار

المصطلح الصادرة عن مكتب تنسيق التّعريب. (ج) منهجية وضع المعجم. اللّجنة الدّائمة لتعريب مصطلحات الحاسوب، مسرد المصطلحات، ثمّ المختصرات، وأخيرا الملاحق.

ويتضمن المعجم مسردا للمصطلحات ابتداء من الصفحة التاسعة عشرة حتى الصفحة الثالثة والسبعين بعد المائة، حيث رتّبت هذه المصطلحات ترتيبا ألف بائيا باعتبار اللّغة الإنجليزيّة، وفي مقابل المصطلح الإنجليزي يوضع المقابل باللّغة العربية ثمّ في الصفحة الخامسة والسبعين بعد المائة خصص جزء من المعجم للمختصرات مرتب أيضا باللّغة الإنجليزية وفي الجهة المقابلة للمصطلح باللغة الإنجليزية توضع المقابلات باللّغة العربية، وجاء جزء المختصرات هذا في خمس صفحات (من ص:177 إلى ص: 181.)، ليتبع بملاحق جاءت فيها مواضيع مرتبة حسب عناوينها كما يلي:

1 – خصائص الحواسيب حسب الأجيال.

2 - بغض اللّغات المشهورة للبرمجة.

3 – رموز مخططات الانسياب.

4 – الدّارات المنطقية.

5 – جدول الأنظمة العددية.

6 – أنظمة تمثيل الأحرف والرّموز:

أ – النظام العشري المشفر بالثّنائي.

ب - النظام العشري المشفر بالثّنائي الممتد لتبادل المعلومات.

ج – الشفرة القياسيّة الأمريكيّة لتبادل المعلومات.

د – الشفرة العربيّة الموحدة لتبادل المعلومات.

وفي آخر هذا المعجم فهرس للمراجع المستعملة جاء في ثلاث صفحات (ص: 197 – 199).

4.2) المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية:2000م:

المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية معجم ثلاثي اللّغة (انجليزي – فرنسي – عربي)، من منشورات المنظمة العربية للتّربية والثّقافة والعلوم، سلسلة المعاجم الموحدة، في رقمها السّابع والعشرين، من إصدارات مكتب تنسيق التّعريب، بالدّار البيضاء، المغرب، في طبعته الأولى سنة 2000م، وهي الطّبعة الوحيدة من تلك السّنة إلى يومنا هذا، رغم إشارة أعضاء المكتب إلى إصدار طبعات أخرى لهذا المعجم، في التّقديم الذي عرض في أول صفحة منه.

أمّا عن شكل المعجم فهوكتاب من الحجم المتوسط يشبه في شكله بقية معاجم سلسلة المعاجم الموحدة، التي أصدرها مكتب تنسيق التّعريب، مثل المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات... وغيرها من معاجم السلسلة. بلغ عدد صفحاته سبعا وأربعين ومائتين، بالإضافة إلى اثنتين وثمانين صفحة من اليمين إلى الشّمال استهل فيها المعجم بتقديم، ثمّ بتنبيه فكّت فيه الرّموز التي وضعت للدّلالة على أمور قد تستغلق على مستعملي هذا المعجم، ووضع بعده فهرس عربي رتبت فيه المصطلحات باللّغة العربية ترتيبا ألف بائيا مرفقة بأرقام المصطلحات باللّغة الإنجليزية التي تشكّل قائمة مصطلحات المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية، وقد رتبت من الشّمال إلى اليمين ترتيبا ألف بائيا باللّغة الإنجليزية حتى مائتين وعشرة مصطلحات بعد الثّلاثة آلاف مصطلح (3210 مصطلحات)، حيث بلغت

سبعا وثمانين ومائة صفحة (187)، يورد فيها المصطلح باللّغة الانجليزية مرقما وبخط أسود سميك ويقابله المصطلح المقابل باللّغة العربية بخط أسود سميك أيضا، وأسفل المصطلح باللّغة الانجليزية يورد المصطلح باللّغة الفرنسية بخط أسود رفيع، وأردف هذا بفهرس للمصطلحات باللّغة الفرنسية مرتّبة ترتيبا ألف بائيا من الصّفحة الثّامنة والثّمانين بعد المائة حتى الصّفحة السابعة والأربعين بعد المائتين.

وقد اتبع مكتب تنسيق التّعريب لإعداد هذا المعجم منهجا محدّدًا يقوم على خطوات أربع هي [11]:

1 – مراسلة جميع الدّول العربية من خلال مؤسساتها العلمية والتّعليمية المتخصّصة ومراكزها الحاسوبية لموافاة المكتب بما لديه من مصطلحات بالإنجليزية والفرنسية وما تداوله من مقابلات عربية.

2 – تعيين فريق عمل من أساتذة متخصصين وتكليفهم بتحضير مسودة عن مشروع المعجم، وقام بتشكيل هذا الفريق المدرسة المحمّديّة للمهندسين بالرباط (جامعة محمّد الخامس) تحت إشراف يحيى هلال مدير مختبر المعلومات والعلاج الآلي للعربيّة بالمدرسة نفسها.

3 – تمّ عرض المشروع بعد إنجازه على بعض الهيئات المتخصّصة في الوطن العربي لدراسته وإبداء الملاحظات عليه.

4 – ثمّ عقدت بعد ذلك ندوة خبراء لدراسة المشروع وتنقيحه، وذلك بالتعاون مع المجمع التّونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة).

هذه لمحة مختصرة عن مواصفات المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية.

5.2) قاموس لمصطلحات المعلوميات (فرنسي – انجليزي – عربي)2011م:

هذا المؤلّف من منشورات المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، تمّ إصداره سنة 2011م، وهو عبارة عن دليل وظيفي في عدده السادس، حيث يختص هذا العدد بمصطلحات مجال الحاسوبيات.

أمّا عن شكله فهو مؤلّف من الحجم الكبير، قليل السمك فقد جاء في ست عشرة صفحة بعد الثلاث مائة(316) متبوعة بفهرس موضوعات. صمّم هذا الدّليل وأخرج من قبل مؤسّسة كليك للنّشر لخدمات الحاسوب، وقدّ تمّ نشره على ورق فاخر من النّوع الجيّد الأملس، والوزن الثّقيل.

أمّا عن محتواه فقد تناول هذا الدّليل عدّة جوانب مهّمة في مجال الحاسوبيات، وفي دعم استعمال المصطلحات باللّغة العربية في هذا المجال، وذلك بالتّوضيح بالصّور إضافة إلى اللّغة، حتّى يسهل على المستعملين التعرّف على بعض مفاهيم مصطلحات الحاسوبيات الشّائعة في الاستعمال باللّغات الأجنبية، وتعليم بعض تقنيات العمل على أنظمة الحاسوب، وتعلّم بعض تقنيات البحث في الشّبكة العنكبوتية عن المعلومات، وهذا كلّه بالتّوضيح بالصّور.

استهلّ هذا الدّليل بكلمة أولى من توقيع وزير البريد وتكنولوجيا الإعلام والاتّصال، التّي أثنى فيها على هذا الجهد المبذول، وشكر للمجلس وللخبراء هذا الإنجاز، الذي قال فيه: «إنّنا نرى في هذا الدّليل مساهمة قيّمة لسد الفراغ الملاحظ في مجال مصطلحية المعلوماتية باللّغة العربية، وإثراء المكتبات الوطنية وكذا لغة سيبويه في بلادنا» [12]، وثمّن فيها هذا البحث

في قطاع البريد وتكنولوجيات الإعلام والاتصال راجيًا أن يكون هذا العمل خطوة من شأنها تعزيز مسار تحقيق الجزائر الالكترونية، وأن يتبع هذا العمل بأعمال أخرى تسهل مسار تحديث الإدارة الإلكترونية بما يخدم المواطنين بوجه عام، والشّباب من خريجي المدرسة الجزائرية الذين يتعلّمون باللّغة العربية بوجه خاص.

ثمّ أتبع هذا بكلمة لرئيس المجلس الأعلى للغة العربية، التّي يعرّف فيها بهذا الدّليل بكونه الدّليل «السادس في سلسلة الأدلّة الوظيفية المخصّصة لخدمة المعرفة والتّقانات وتسهيل العمل بلغتنا الجامعة في الحياة العامّة للمواطنين من ناحية الاستعمال والتّداول والتّكوين والصّيانة، لدى مستخدمي التكنولوجيات الحديثة» [13] والهدف من هذا الدّليل – على حدّ تعبير رئيس المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر- هو التّرغيب والتّشجيع على استعمال اللّغة العربية في الإدارة وفي مختلف مستويات التّكوين الفنّي والتّقني.

وكذا تقديم الدّعم والتّسهيلات الضّرورية لأعوان الإدارة في علاقاتهم بالمواطنين للحدّ من الأخطاء التّي قد تنجم نتيجة الاستعمال السيئ للمصطلح، وتيسير استخراج الوثائق بالعربية في أسرع وقت وبأقلّ كلفة. ثمّ ينوّه إلى أهمية هذا الدّليل في إمكانية تسهيله العمل «على توحيد المصطلح باللّغة العربية في مجال الحاسوبيات، وذلك بعد استعمال هذه المصطلحات والتّرويج لها لتصبح متداولة»،[14] ومن ثمّة قد يسهم هذا الدّليل – على حدّ رأيه – في تحديث مضامين اللّغة العربية وترقية استعمالها على شبكة الإنترنت. ويختم رئيس المجلس كلمته بشكر كلّ من أسهم في إنجاز هذا العمل من أساتذة جامعيين مختّصين في المعجمية وفي

ترجمة المصطلح وفي تكنولوجيا الحاسوبيات، ومن مسيرين متمرسين من وزارة البريد وتكنولوجيا الإعلام والاتّصال....

وبعدها وضع خبراء المجلس مقدّمة لهذا الدّليل موضحين فيها أهمية هذا الدّليل والهدف منه، وملخصا عن محتواه، راجين أن يلقى هذا العمل استحسان المستفيدين من خدماته، وأن يسهم في تذليل بعض الصعوبات التي تواجه خاصّة المبتدئين في مجال الحاسوبيات، وألحقت هذه المقدمة بنسختين عنها مترجمتين إحداهما باللّغة الإنجليزيّة والأخرى بالفرنسيّة.

وإذا حاولنا إلقاء نظرة خاطفة على محتوى هذا الدّليل، نجده مقسّما إلى أربعة أجزاء هي:

1 – قاموس (فرنسي – انجليزي – عربي).

2 – مسرد عربي.

3 – مصطلحات مرئية.

4 – لوحات وظيفية.

حيث يحتوي القاموس الثّلاثي اللّغة على خمسين مصطلحا بعد التسع مائة والألفين (2950)، في مجال الحاسوبيات ورتّبت هذه المصطلحات ترتيبا ألف بائيًا باللّغة الفرنسية فمن الشِّمال ترتّب المصطلحات باللّغة الفرنسية تقابلها في وسط الصّفحة المصطلحات المقابلة لمفاهيمها باللّغة الإنجليزية، ثمّ على اليمين وضع المصطلح المقابل باللّغة العربية.

وتضمّن الدّليل مسردًا للمصطلحات باللّغة العربية مرتبةً ترتيبا ألف بائيا بهدف تسهيل البحث انطلاقا من المصطلح باللّغة العربية.

واحتوى هذا الدّليل أيضًا «على مواد جديدة ومبتكرة تمثّلت في تقديم أجزاء مرئية (36 مكوّنا رقميًا من مكوّنات الحاسوب بالصّورة والشّروح

بالعربية)، ولوحات وظيفية ضرورية ومفيدة»،[15] خاصة بالنّسبة للمبتدئين في مجال الحاسوبيات، والمتعلمين باللّغة العربية.

3) المعاجم المتخصصة في مجال الحاسوبيات في اللّغة العربية، المؤلفة في الفترة ما بين (2000-2011م):

* / دراسة تحليليّة نقديّة مقارنة:

إنّ أوّل تساؤل تبادر إلى ذهني لمّا تقرر خوضي غمار هذا البحث، هو محاولة الوصول إلى المعاجم المتخصّصة في مجال الحاسوبيات، والموجّهة إلى مستعمليها الباحثين والمتعلمين والقرّاء باللّغة العربية، فما توصلت إليه - بغض النّظر عن تلك المعاجم الإلكترونية المبثوثة في الشّبكة العنكبوتية، والتّي تكون في غالب أمرها نتاج اجتهادات فرديّة، ينقصها التّوحيد والتّنسيق بين أقطار الوطن العربي -، هو هذه الجهود التي عرضناها في هذا المبحث من الفصل الثّاني، فإذا استثنينا منها الجهود الفرديّة لسبب واحد هو انعدام شرط توحيد مصطلحاتها بين أقطار الوطن العربي، والجهود الجماعيّة المؤلّفة قبل سنة 2000م، لأنّها تخرج عن حيّز المدّة الزّمنية التي حدّدناها في بحثنا، نجد أنفسنا أمام معجم واحد في طبعته الأولى، والتي لا ثاني لها لحدّ الساعة،[16] هو المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية الصّادر عن مكتب تنسيق التّعريب بالمغرب، سنة 2000م، وقاموس لمصطلحات المعلوميات، من إصدار المجلس الأعلى للّغة العربية بالجزائر، سنة 2011م، وفي مدّة زمنية قدرها أحد عشر عاما، نتساءل فيها عن واقع صناعة المعاجم المتخصّصة باللّغة العربية، خاصة في مجال الحاسوبيات، الذي يهتزّ العالم بأسره على وقع مستحدثاته العلمية والتّقنية؟.

لقد ارتأيت مقارنة المصطلحات الواردة في الاستعمال الكتابي باللّغة العربية في مجال الحاسوبيات مع ما وُضع في هذا المعجم، لأنّ ما وضع فيه من مصطلحات جاءت بالتّنسيق بين أقطار الوطن العربي، وعلى هذا الأساس يفترض أن تستعمل مصطلحات في واقع الاستعمال بالرّجوع إلى هذا المعجم على الأقل فيما وضع فيه من مصطلحات لا تزال مفاهيمها سارية المفعول، دون النّظر إلى ما استحدث من مفاهيم لم توضع مصطلحاتها بعد لأن المدّة ما بين تأليف المعجم الموّحد وقاموس المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، تعتبر شرخا زمنيا إذا ما قارنا بين المصطلحات المنتجة في مجال الحاسوبيات وبين ما أنتج ولا يزال ينتج كلّ عام من مسميات حديثة في المجال نفسه.

ويجدر بنا قبل البدء في الدّراسة التّحليلية النّقدية المقارنة لما يتعلق بمتن المؤلَفين، الإشارة إلى بعض الاختلافات في المصطلحات المعنونة لها، فقد ورد مصطلح "المعلوماتية" و"المعلوميات" على ظهر غلاف المؤلفين، ويراد بكلا المصطلحين مفهوم واحد هو (Informatique) بالفرنسية و(Informatics) بالإنجليزية، وبالرّجوع إلى تلك المعجمات المتّخصصة في هذا المجال، والتي أوردناها في المبحث الثّاني من هذا الفصل تبيّن لنّا أنّها تنقسم قسمين، حيث إنّ أغلب هذه المعجمات - والتّي هي من تأليف مؤلّف واحد، أي الجهود الفردية- تجمع على أنّ مقابل هذا المفهوم في اللّغة العربية هو معلوماتية،[17] في حين تقابل المعجمات الموحدّة هذا المفهوم في اللّغة العربية بمصطلح: معلوميات وعلم المعلومات،[18] ويجمع قاموس المجلس الأعلى للغة العربية بين المصطلحين فيجعلهما مترادفين لمفهوم واحد.[19]

والغريب في الأمر كيف يقع واضعو المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية بمركز تنسيق التّعريب في هذا الخلل؟ حيث يورد في المتن مصطلح "معلوميات" مقابلا لمفهوم (Informatics) باللّغة الإنجليزية و(Informatique) باللّغة الفرنسية، في حين يوضع على غلاف المعجم عنوان: «المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية»، حيث لا يوجد في متن المعجم الموحّد مصطلح معلوماتية على الإطلاق مقابلا للمفهوم الأجنبي نفسه. وحتّى إذا اعتمدنا قول عبد الرّحمان الحاج صالح بأنّ المصطلحات الدّالة على مفاهيم العلوم تكون بإضافة ألف وتاء آخر الاسم، مثل رياضيات، ولسانيات، وصوتيات،[20]...، ونحاول تبرير هذا الخلل الذي وقع فيه واضعو المعجم الموحد، فنقول ربّما قصدوا بمصطلح معلوماتية الجانب العملي من هذا الميدان العلمي، إلاّ أنّنا نلاحظ من خلال اطلاعنا على المعجم أنّ أغلب مصطلحاته تدّل على مفاهيم تجريدية تدخل ضمن مصطلحات الرّياضيات والمنطق،...، لا على مسميات معدّات هذا المجال من حاسوب وملحقاته.

أمّا النّقطة الثانية التّي تكتسي جانبا من الأهمية، هي أنّ مؤَلّف مركز تنسيق التّعريب وسم بـ«المعجم» (المعجم الموحد لمصطلحات المعلوماتية)، في حين وظف المجلس الأعلى للغة العربية ضمن دليله الوظيفي مصطلح «قاموس» ويُقصد به قاموس مصطلحات المعلوميات، في حين أنّ كلا العملين تمّ فيهما سرد المصطلحات الأجنبية الدّالة على مفاهيم هذا العلم، وفي مقابلها المصطلح المقابل باللّغة العربية، وإذا حاولنا تطبيق كلّ آراء الباحثين اللّغويين في شأن الفرق بين المعجم والقاموس، التّي أوردها علي القاسمي في مقال طويل،[21] نجد أنفسنا عاجزين عن تحديد الفرق بين هذين المؤلّفين، متسائلين في الآن نفسه عن سبب اختلاف التّسمية،

في حين أنّ كلا العملين متعدد اللّغات (عربية – فرنسية – انجليزية)، وحتّى الفارق العددي في عدد المصطلحات بينهما ليس كبيرا إلى درجة وسم الأوّل بالمعجم والثّاني بالقاموس، أو العكس، حيث بلغ عدد مصطلحات المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية مائتين وعشرة بعد الثّلاثة آلاف (3210)، ومصطلحات قاموس الدّليل الوظيفي في المعلوميات تسعمائة وخمسين بعد الألفين (2950)، فيكون الفارق بينهما ستون مصطلحا بعد المائتين، فإن كانا شيئا واحدا فما سبب اختلاف التّسمية؟ وإن كانا مختلفين فأين يكمن الاختلاف؟ والذي لفت انتباهي – ومن منطلق أنّه لا فرق بين المعجم والقاموس، ولا بين هذين المؤلّفين من حيث المتنُ ومنهجيةُ ترتيب المصطلحات فيه- أنّ مجال الحاسوبيات مجال حديث، وفي تطور كبير، بمستحدثاته التّي تنتج باستمرار وبكثرة هائلة، وهذا يفترض إنتاجية مصطلحات حديثة يفوق عددها في قاموس الدّليل الوظيفي عددها سنة ألفين ميلادية (2000م)، في ما جمعه المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية، غير أنّني أفاجأ بانخفاض عدد المصطلحات سنة ألفين وأحد عشر (2011م) بقرابة ستين مصطلحا بعد المائتين، فإن حاولت تبرير هذا الاختلاف، بافتراض أنّ الدّليل الوظيفي عمل يقتضي إرشاد مستعمليه إلى مفاهيم أحدث المصطلحات في مجال الحاسوبيات، بغض النظر عن تلك المصطلحات الدّالة على مفاهيم ظهرت إلى الوجود منذ نشأة الحاسوبيات، وصنّفت في المعجم الموحد سنة ألفين (2000م)، واصطلح على مقابلها في اللّغة العربية، ولإثبات هذا الافتراض أو نفيه لابد من الانطلاق من إجراءات علمية والمتمثلة في إجراء مقارنة بين بعض المصطلحات التّقنية الواردة في المعجم الموحّد وفي قاموس المعلوميات والدّالة على المفهوم نفسه، على النّحو الآتي:

المفهوم	المصطلح المقابل باللّغة العربية في المعجم الموحّد:	المصطلح المقابل باللّغة العربية في قاموس المعلوميات:
Abacus Abaque	/	معداد
Abort procedure	إبطال الإجراء	إجراء الإبطال
Accessories Accessoires	ملحقات، متمّمات	لواحق.
Accumulator Accumulateur	مركِم	مركِم تحصيل البيانات.
Adapter Adaptateur	مكيّف	مكيِّف
Alarm Alarme	إنذار	إنذار.
Anti – virus Anti – virus	/	مضاد للفيروسات.
Bidirectional printer Bidirectionnel le (imprimante -)	/	طابعة ثنائيّة الاتجاه.
Brace Accolade	حاصرة	حاضنة.
Button Bouton	زر	زر

زر الأوامر.	زر الأوامر	Command button Bouton de commande
تحصيل البيانات.	تحصيل البيانات.	Data acquisition Acquisition de données
مكتب.	مكتب.	Desk Bureau
مسرّع التّحميل عن بعد.	/	Downloading Accelerator Accélérateur
سلك، كبل.	حبل، حزمة، أسلاك، موصل	Cable Câble
حاسب.	حاسبة	Calculator Calculateur
حاسبة.	/	Calculator Calculatrice
بطاقة	بطاقة	Card Carte
بطاقة ذاكرة.	/	Memory card Carte memoire
بطاقة أم.	/	Motherboard Carte mère

إنّ أوّل قراءة لهذه الجداول تستدعي ثلاث ملاحظات أولاها تؤكّد فعلا أنّ هناك مفاهيم جديدة لم تكن موجودة من قبل في المعجم الموحد لمصطلحات المعلوماتية سنة 2000م، وهذا ما نسبته (35%) من مجموع

المصطلحات الواردة في هذه الجداول، كما نلاحظ وجود مصطلحات سبق وضعها في المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية لسنة 2000 م، لكن لم يتم العمل بها في قاموس المعلوميات لسنة 2011م، ونسبة هذه المصطلحات من مجموع ما هو موجود في الجداول (30%)، أمّا الملاحظة الثّالثة فتتمثل في وجود مصطلحات تمّ وضعها من قبل في المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية وتطابقت مع ما وضع من مصطلحات للمفاهيم نفسها في قاموس المعلوميات لسنة 2011م، وهذا نسبته (35 %) من مجموع المصطلحات الموجودة في الجداول أعلاه. وللتّوضيح أكثر نمثل لهذه النّتائج بالشّكل الموالي:

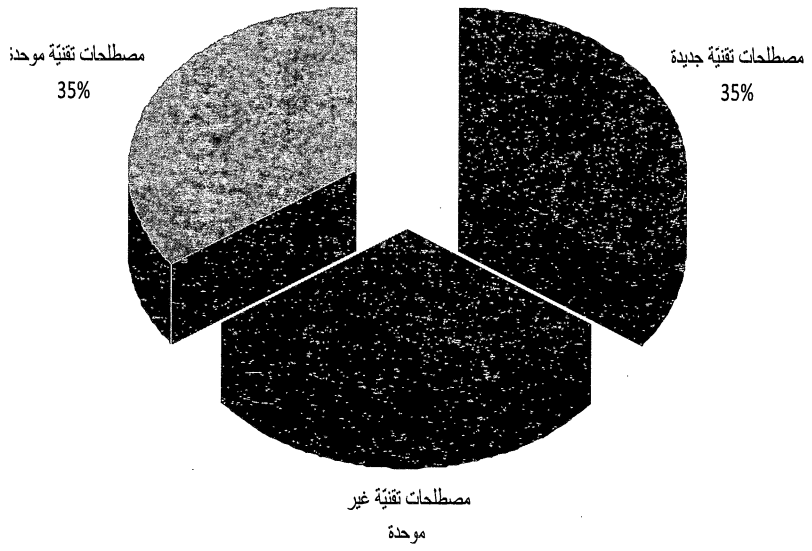

قد تتطلب هذه الدّراسة الإلمام بكل المصطلحات التّقنية الموجودة في المعجم الموحد وقاموس المعلوميات، للتحصّل على نتائج أكثر دقّة وشمولية، ولكن السؤال الذي يثير فكري فعلا، هل هذه الأعمال القيّمة هي تكملات بعضها لبعض في مسار وضع المصطلح العلمي في مجال الحاسوبيات، أم أنّها اجتهادات منقطعة بعضها عن بعض؟.

وفي محاولة للإجابة عن هذا التّساؤل حاولت التّركيز على المفاهيم المرتبطة بالجانب النّظري التّجريدي من هذا الميدان، وهي المصطلحات العلمية (22)التي كانت النّواة الأولى لنشأة علم المعلومة، من مصطلحات الرّياضيات، والمنطق الرّياضي، والفيزياء والإلكترونيك...، والتي جمعت أمثلة عنها في جدول على النّحو الآتي:

المفهوم:	المصطلح المقابل باللّغة العربية في المعجم الموحّد:	المصطلح المقابل باللّغة العربية في قاموس المعلوميات:
Algebra Algèbre	جبر	جبر.
Boolean Algebra Algèbre de Boole	جبر بولياني	جبر بولياني.
Algorithm Algorithme	خوارزميّة	خوارزميّة
Apostrophe Apostrophe	فاصلة عليا	فاصلة عليا

Basic Basic	بيسك (لغة برمجة)	بيسك (لغة برمجة)
Baud Baud	/	بود (وحدة قياس سرعة البث)
Binary digit (bit) Chiffre binaire	ثنائيّة	رقم ثنائي.
Binary tree Arbre binaire	شجرة ثنائيّة	شجرة ثنائيّة.
Bit Bit	ثنائيّة	بِت (بِتّات)
Data base Base de données	قاعدة البيانات	قاعدة البيانات.
Distributed Approximatif	/	خوارزميّة موزعة.
Inaccurate Approximatif	غير صحيح	تقريبي.

يتضح من خلال نتائج الجدول أنّ عدد المصطلحات الموحّدة بين المعجم الموحّد وقاموس المعلوميات حوالي (53.33%)، في حين تبلغ نسبة المصطلحات العلمية الجديدة قرابة (26.66%)، أمّا المصطلحات العلمية غير الموحّدة بين المعجمين فنسبتها (20%)، ولمزيد من التّوضيح نمثل لهذه النتائج بالمخطط التّالي:

والذي يؤكد أنّ هذه الأعمال جاءت مكملة لبعضها بعضا قول طاهر ميلة المشرف على لجنة الدّليل الوظيفي في المعلوميات، وهو أحد الباحثين اللّغويين الذين قاموا بإنجاز هذا العمل بالمجلس الأعلى للغة العربيّة، حيث يقول: «انطلقنا في عملنا مما ألّف من قبل من معجمات، وإذا لم نجد المصطلحات فيما سبق من هذه الأعمال نرجع إلى المعجمات التي ألّفها الأفراد، أو نبحث عمّا هو مستعمل، أي ما هو شائع في الاستعمال». (23) كما أنّ تحليل نتائج الجدول ينطبق على خلاصة هذا القول، فأغلبية المصطلحات العلمية جاءت موحّدة عدا مصطلحان اثنان فيهما بعض التغيير، فالأول جاء فيه تغيير في الصيغة المصطلح عليها (ثنائيّة/ رقم ثنائي)، والمصطلح الثّاني فضّل واضعو قاموس الحاسوبيات استعمال المصطلح الدّخيل (بت/ بتات)، بدلا من المصطلح الذي وضعه المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتيّة (ثنائيّة)، ربما يعود السبب إلى شيوع

المصطلح في الاستعمال، علما أنّها كلّها مصطلحات مقابلة لمفهوم أجنبي واحد هو(Bit)، التي قابله قاموس الحاسوبيات مرة بمصطلح (رقم ثنائي)، ومرّة بمصطلح (بت/ بتّات). في حين نرجح وقوع واضعي المعجم الموحد صصطلحات المعلوماتيّة بالرباط في ترجمة مصطلح (Inaccurate/ Ap-proximatif) ونفسر هذا بتقارب المصطلحين الأجنبيين في النّطق، غير أنّ المصطلح الذي وضعه واضعو قاموس الحاسوبيات هو المقابل الصحيح للمفهوم الأجنبي (Inaccurate/ Approximatif)، الذي يقصد به تقريب،(25) وليس (غير صحيح) التي تقابل(Incorrecte).

هوامش البحث:

1 - فاروق سيد حسين، معجم مصطلحات الحاسب الآلي (انجليزي – عربي)، داراراتب الجامعية، بيروت – لبنان،

(د ط)، 1999م، ص: 1.

2 - ينظر: خليل أحمد خليل، معجم مصطلحات الكمبيوتر (عربي – فرنسي – انجليزي)، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1999م، ص ص: 33، 35، ... وغيرها.

3 - الغنيمي وائل إبراهيم، داراراتب الجامعية، بيروت – لبنان، (د ط)، (د تا)، ص: 1.

4 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 22، ص: 83، ص: 97، ص: 368... وغيرها.

5 - ينظر، عبد الفتاح مراد، موسوعة مصطلحات الكمبيوتروالإنترنت، انجليزي – عربي، مصر، ط1، 1999م، ص: 2252.

6 - لم ترد في المؤلّف سنة نشره ووردت سنة حصوله على جائزة أفضل مؤلف علمي موسوعي لذا اعتمدنا هذا التاريخ تاريخ صدور هذا المؤلّف في تهميشنا لمعلومات نشره.

7 - عبد الفتّاح مراد، موسوعة الكمبيوتروالإنترنت، ص: 28.

8 - عبد الفتّاح مراد، موسوعة الكمبيوتروالإنترنت، ص: 28.

9 - ينظر: المرجع نفسه، ص ص: 1695 ، 1726، 1729، 1737، وغيرها....

10 - المرجع نفسه، ص: 28.

11 - ينظر: مكتب تنسيق التّعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية، ص: 5.

12 - ينظر: المجلس الأعلى للغة العربيّة، دليل وظيفي في المعلوميات، الجزائر، ط1، 2011م، ع:6، ص: 3.

13 - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

14 - المجلس الأعلى للغة العربية، دليل وظيفي في المعلوميات، ع:6، ص:3.

15 - المجلس الأعلى للغة العربية، دليل وظيفي في الحاسوبيات، ص: 7.

16 - تمّ التأكد من ذلك من زيارة لمركز تنسيق التعريب بالرباط، التي قام بها أساتذة من جامعة الجزائر في منحة علميّة في أواخر سنة 2011م، حيث تحصل فيها الأستاذ عبد النور جميعي على نسخة من المعجم الموحد لمصطلحات المعلوماتية في طبعته الأولى سنة 2000م، والتي تأكد فيها من عدم صدور طبعة ثانية لهذا المعجم.

17 - ينظر: خليل أحمد خليل، معجم مصطلحات الكمبيوتر، ص: 208. وفاروق حسين، معجم مصطلحات الحاسب الآلي، ص: 115. وحدّاد إ. و، معجم مصطلحات الكمبيوتر والمعلوماتيّة، ص: 147، وقاموس مصطلحات المعلوماتيّة، ص: 144.

18 - ينظر: مكتب تنسيق التّعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتيّة، ص: 79. وينظر: الهيئة العليا للتّعريب، معجم الحاسوب الموحّد، راجعه ودقّق فيه: دفع الله عبد الله التّرابي، وزكريّا الحاج علي، وهاشم الأمين مصطفى، سلسلة المعاجم العلميّة، دار الأصالة، الخرطوم – السودان، ط1، 1998م، ص: 83.

19 - ينظر: دليل وظيفي في المعلوميات، المجلس الأعلى للغة العربيّة، الجزائر، ع:6، ص: 90.

20 - قال هذا في الحلقات التي درسناها عنده في دفعة ماجستير 2010م، بجامعة الجزائر 2، وكرر قوله هذا في عديد من الحلقات العلميّة التي حضرتها، آخرها كان بتاريخ: 7 ماي 2012م، يوم مناقشة الطالبة، مسعودة قاسمي، بقسم اللّغة العربيّة بجامعة الجزائر.

21 - ينظر: علي القاسمي، المعجم والقاموس (دراسة تطبيقيّة في علم المصطلح)، مجلّة اللسان العربي، ع: 48، ص:21.

22 - لقد أوردت أكبر عدد ممكن من هذه المصطلحات العلمية في ملحق آخر هذا البحث، بهدف الحصول على نتائج أكثر دقّة وشمولية.

23 - سجلت كلامه هذا من لقاء أجريته مع الأستاذ طاهر ميلة يوم: الخميس: 21/ 06/ 2012م، بمكتبه بعمادة جامعة الجزائر1، على الساعة: 15:00.

24 - المعجم الموحد لمصطلحات المعلوماتية، ص:77.

25 - سهيل إدريس، المنهل، قاموس فرنسي – عربي، ص: 86.

طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية - الجزائر-
2015
Achevé d'imprimer sur les presses
ENAG, Réghaïa
-Algérie-
Bp 75 Z.I. Réghaïa Tél: (023) 96 56 10 /11

الإيداع القانوني : 1513–2005
ISSN : 1112-65-23 ردمد